

مجلة دورية علمية محكمة - تصدر عن مركز المسيرة للدراسات والنشر

● العلم التجريبي في المشروع القرآني: من التبعية المعرفية إلى التصنيع والردع السيادي (دراسة سوسيولوجية في أطروحات الشهيد القائد وتطبيقات قائد الثورة)

د. طارق مطهر محمد مطهر

● واقع البحث العلمي في العلوم الإنسانية بين المنهجية والممارسة (دراسة تحليلية نقدية)

أ.د/ عبد الحكيم عبد المجيد أحمد الهجري

● الذكاء الاصطناعي وبنية التهديدات المتعددة الأبعاد من الاختراق البرمجي إلى تقويض المنهج العلمي

د. محمد الأيوبي

العلمية

«العلمية» دورية علمية ثقافية محكمة تصدر عن مركز المسيرة للدراسات والنشر اليمن - صنعاء، وتهتم بنشر الدراسات والأبحاث والأوراق في مختلف المجالات والشئون وبمراعاة المنهجية العلمية الرصينة، وتتناول القضايا التي تهم الأمة العربية والإسلامية وتلامس قضاياها العامة، وتعمل على الإسهام في البناء الفكري الراشد والمستنير وتقديم الرؤية التي تعزز الاستبصار والوعي حول واقع الأمة والتحديات والتهديدات التي تواجهها والحلول التي تمكنها من تجاوزها، كما تعمل على التصدي للتضليل الفكري والإعلامي الذي يمارس من قبل الإعداء ومن أدواتهم في المنطقة.

العلمية

مجلة دورية علمية محكمة - تصدر عن مركز المسيرة للدراسات والنشر

العدد الرابع - أكتوبر 2026م



مركز المسيرة للدراسات والنشر

Al-Masirah Center for Studies and Publishing

هيئة التحرير

رئيس مركز المسيرة للدراسات والنشر
أ. محمد محمد الدار

رئيس التحرير
أ.د عبد الملك محمد عيسى

أعضاء التحرير
د. سالم صغير الوائلي
د. عبد الله حسن الرازحي
د. بشرى عبد الكريم راوي

جميع الحقوق محفوظة

 almasirahspt

 almasirahsp

 almasirahsp@gmail.com

 967 774911044

المحتويات

العلم التجريبي في المشروع القرآني: من التبعية المعرفية إلى
التصنيع والردع السيادي (دراسة سوسيولوجية في أطروحات الشهيد
القائد وتطبيقات قائد الثورة) 7

واقع البحث العلمي في العلوم الإنسانية بين المنهجية والممارسة
(دراسة تحليلية نقدية) 93

الذكاء الاصطناعي وبنية التهديدات المتعددة الأبعاد من الاختراق
البرمجي إلى تقويض المنهج العلمي 125

افتتاحية العدد

رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين. يأتي صدور العدد الرابع من المجلة العلمية التابعة لمركز المسيرة للدراسات والنشر امتداداً لجهود المركز في دعم البحث العلمي وتنمية الوعي المعرفي وتشجيع الدراسات الجادة التي تنطلق من قضايا المجتمع وتحدياته وتسعى إلى تقديم معالجات علمية تسهم في بناء الإنسان وتطوير المؤسسات وتعزيز مقومات النهوض الحضاري.

إن البحث العلمي لا تقتصر أهميته على إنتاج المعرفة وتراكم المعلومات بل تتجلى قيمته الحقيقية في قدرته على تفسير الظواهر والكشف عن أسباب المشكلات واستنباط الحلول وتحويل المعرفة إلى قوة فاعلة في واقع الحياة، فالأهم لا تحقق تقدمها بمجرد امتلاك المؤسسات التعليمية والبحثية وإنما بمدى قدرتها على توجيه هذه المؤسسات نحو إنتاج معرفة أصيلة وتوظيف نتائجها في تحقيق التنمية والاستقلال والاكتفاء الذاتي.

ومن هذا المنطلق فإن المركز يؤمن بأن البحث العلمي مسؤولية معرفية ووطنية وأخلاقية وأن بناء نهضة علمية حقيقية يستلزم تجاوز النظرة التقليدية التي تختزل البحث في الحصول على المؤهلات الأكاديمية أو استيفاء متطلبات النشر والترقية إلى اعتباره أداة لفهم الواقع وتغييره ووسيلة لإنتاج المعرفة التي يحتاج إليها المجتمع في مختلف المجالات.

هنا تبرز أهمية إعادة النظر في العلاقة بين المنهجية العلمية والممارسة البحثية فليس كل بحث يستوفي المتطلبات الشكلية بحثاً يحقق إضافة علمية كما أن كثرة المراجع والصفحات لا تمثل بذاتها دليلاً على جودة البحث وأصالته إن المعيار الحقيقي لقيمة الإنتاج العلمي يتمثل في وضوح المشكلة البحثية وسلامة المنهج ودقة الأدلة وموضوعية التحليل ومنطقية النتائج، ومدى الإضافة المعرفية التي يقدمها البحث.

كما أن الحاجة إلى بناء استقلال معرفي وتقني أصبحت أكثر إلحاحاً في ظل التحولات المعاصرة وما تفرضه من تحديات علمية واقتصادية وسياسية فالاستقلال الحقيقي لا يكتمل بالتححر السياسي وحده بل يتطلب امتلاك القدرة على إنتاج المعرفة وتطوير التقنيات وتوطين الصناعات وتسخير الإمكانيات العلمية لخدمة احتياجات المجتمع وحماية سيادته.

وفي هذا الإطار يفتح العدد الرابع آفاقاً للنقاش العلمي حول عدد من القضايا المتصلة بوظيفة المعرفة في بناء المجتمع ومن بينها الرؤية المعرفية للعلم التجريبي في المشروع القرآني وعلاقتها بالاستقلال والتصنيع والردع السيادي إلى جانب إشكالية الفجوة بين المنهجية العلمية والممارسة الفعلية في البحوث الإنسانية وما تثيره من تساؤلات بشأن الموضوعية والأمانة العلمية ومعايير جودة الإنتاج البحثي.

وعلى الرغم من اختلاف مجالات هذه القضايا ومداخل تناولها فإنها تلتقي عند قضية جوهرية تتمثل في ضرورة الانتقال بالبحث العلمي من دائرة التنظير إلى مجال الفعل والتطبيق وربط إنتاج المعرفة باحتياجات المجتمع وتحدياته غير أن تحقيق هذه الغاية يتطلب الالتزام الصارم بأصول البحث العلمي والتمييز بين القنوات الفكرية والنتائج التي تثبتها الأدلة والانفتاح على النقد والمراجعة بوصفهما شرطين أساسيين لتراكم المعرفة وتطورها.

وإننا في هيئة تحرير المجلة ندرك أن مسؤوليتنا لا تقف عند إتاحة الفرصة لنشر البحوث والدراسات بل تمتد إلى الإسهام في ترسيخ ثقافة بحثية تقوم على الأصالة والموضوعية والنزاهة العلمية وتشجيع الباحثين على تناول القضايا ذات الأولوية وتقديم دراسات لا تكتفي بوصف المشكلات بل تسعى إلى تفسيرها واقتراح المعالجات الممكنة لها.

كما نتطلع إلى أن تكون المجلة فضاء علمياً للحوار الجاد وتبادل الرؤى ومنبرا للباحثين والمفكرين تساهم من خلاله الدراسات المنشورة في إثراء النقاش المعرفي وتطوير الممارسة البحثية وتقريب المسافة بين المؤسسات الأكاديمية والواقع الاجتماعي والتنموي.

ونأمل أن يمثل هذا الإصدار إضافة نوعية إلى مسيرة المجلة وأن يساهم في تحفيز المزيد من البحوث الجادة التي تجمع بين أصالة الفكرة ورصانة المنهج وفاعلية النتائج انطلاقاً من قناعة راسخة بأن النهضة الحقيقية تبدأ ببناء الإنسان الواعي وترسخ بإنتاج المعرفة وتتجسد في القدرة على تحويل العلم إلى عمل يخدم المجتمع والأمة.

والله ولي التوفيق،،،



العلم التجريبي في المشروع القرآني: من التبعية المعرفية إلى التصنيع والردع السيادي

(دراسة سوسيولوجية في
أطروحات الشهيد القائد
وتطبيقات قائد الثورة)

د. طارق مطهر محمد مطهر

أستاذ علم الاجتماع المساعد

جامعة صنعاء - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الملخص التنفيذي

تتناول هذه الدراسة إشكالية الفصام المعرفي التاريخي بين هداية الوحي الإلهي وميادين البحث العلمي التجريبي وعمارة الأرض، وما ترتب عليه من استبطان لعقدة العجز والدونية في الوعي الجمعي للأمة الإسلامية وتكريس التبعية للمنظومة الاستكبارية الغربية.

وتهدف الدراسة إلى تأصيل رؤية المشروع القرآني للبحث العلمي التجريبي بوصفه عبادة استخلافية وفريضة جهادية ملزمة، وبيان كيف تسهم هذه الرؤية في هدم مرتكزات المركزية الغربية وتفكيك إرث الارتهان المعرفي والتقني، لتأسيس نهضة تصنيعية واكتفاء ذاتي وبناء منظومات الردع الشامل.

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي السوسيولوجي التكاملي، مستعينة بأدوات تحليل الخطاب النقدي للمتون التأسيسية للمشروع القرآني، ومقاربة نزع الاستعمار المعرفي والتثليث المنهجي للبيانات: (المعياري القرآني، والتنظيري الوثائقي، والإمبيرقي الميداني).

وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، أبرزها: تأسيس المشروع القرآني لأبستمولوجيا توحيدية تنفي القطيعة بين الوحي وسنن الطبيعة، وتأصيل التلازم المصيري بين هداية «الكتاب» وبأس «الحديد» في إقامة القسط وحماية المستضعفين، ومشروعية الهندسة العكسية لكسر الأبارتهايد التكنولوجي الاحتكاري، والبرهنة الإمبيريقية عبر التجربة التطبيقية اليمينية على أن المعرفة الحقيقية تتولد من واقع المسؤولية والميدان، حيث مكن هذا المسار من تشييد ثلوث تسليحي متطور (صاروخي، ومسير، وبحري) فرض معادلات ردع استراتيجية غير مسبوقة.

وتوصي الدراسة بإصدار قانون للهندسة العكسية السيادية، وتفعيل الأبحاث التعاقدية الميدانية، وتأسيس الهيئة الوطنية للأمن المعرفي، وإعادة توجيه الموارد الوقفية والشرعية نحو مراكز الأبحاث التطبيقية.

الكلمات المفتاحية: المشروع القرآني، البحث العلمي التجريبي، إبستمولوجيا الاستخلاف، فقه الحديد الأمن المعرفي تفكيك التبعية الردع الشامل.

Abstract:

This study investigates the historical epistemological rupture between divine revelation and empirical scientific research, which entrenched an inferiority complex and structural dependency in the Muslim collective consciousness toward Western hegemony. It aims to theoretically establish the Quranic Project's paradigm of empirical science as a mandatory vicegerency and productive jihad, illustrating how this vision dismantles Western-centric paradigms, eradicates psychological defeat, and establishes independent manufacturing and comprehensive strategic deterrence.

Methodologically, the paper employs an integrated sociological analytical approach utilizing critical discourse analysis and decoloniality perspectives, backed by empirical data triangulation.

The findings demonstrate that the Quranic vision establishes an integrative epistemology binding divine guidance with cosmic laws, anchors the symbiotic necessity between the "Book" and "Iron" to enforce justice, and legitimizes reverse engineering to break international technological apartheid. Empirically, the Yemeni application substantiates that authentic knowledge is generated from field responsibility and blockade conditions, creating a formidable defense triad (ballistic, drone, and naval systems) that reshaped regional power dynamics. The study recommends legislating sovereign reverse engineering, operationalizing field-contracted academic research, establishing a National Knowledge Security Authority, and redirecting endowment revenues toward applied technological laboratories.

Keywords: Quranic Project; Empirical Scientific Research; Epistemology of Vicegerency; Jurisprudence of Iron; Knowledge Security; Deconstructing Dependency; Comprehensive Deterrence.

أولاً: إشكالية الدراسة وتسؤولاتها

أفرزت سيادة الفلسفة الوضعية الغربية نموذجاً علمياً تجريبياً مفصلاً عن الغايات الأخلاقية والقيم التوحيدية، محوِّلة العلم من أداة لتحقيق الاستخلاف وعمارَة الأرض إلى وسيلة للهيمنة، والاحتكار، وإخضاع الشعوب عبر منظومة استعمارية مركبة تحتكر المعرفة وتمنع انتقالها.

وفي المقابل، عاش الفكر الإسلامي عبر عصور انحطاطه حالة من الانكفاء السكوني التاريخي والانفصال المفتعل بين علوم الدين وعلوم الطبيعة؛ مما ولّد شعوراً عميقاً بالعجز، واستلاباً معرفياً، وتبعية بنيوية شلت فاعلية الأمة الحضارية وجعلتها مستهلكاً عاجزاً على هامش الحضارة الغربية.

وفي هذا المنعطف الحرج، ينبثق المشروع القرآني بوصفه بديلاً معرفياً وتحريراً يستعيد التوازن المفقود، معيداً ربط السنن الكونية بالتوجيهات الإلهية، ومؤسساً لقاعدة علمية وتصنيعية تعيد بناء الذات الجمعية للأمة على قاعدة العزة، والاستقلال، والفاعلية الجهادية المنتجة.

وتتأسس إشكالية الدراسة عبر تفكيك حالة الانفصام الجذري بين النص القرآني الداعي للتسخير والشهود الحضاري، وبين واقع الارتهان والتبعية الذي تعيشه الأمة نتاج خلل مزدوج يُكبّل فاعليتها هما:

١. مسار الجمود الداخلي والتعطيل الإيماني للسنن نتيجة شيوع ثقافة دينية انكفائية عطلت آيات السنن والتسخير الكوني، وأخرجت التجريب والملاحظة واستثمار المادة من دائرة القربات، مما أفرز حالة من تبلدا في العقل الجمعي واستسلاماً لعقدة الدونية.

وقد شخص الشهيد القائد هذه الإشكالية ببيان أن الانحراف بدأ حين استهلكت الجهود الفكرية في مجادلات نظرية وترف كلامي عقيم لم يثمر أثراً وجدانياً ولا واقعياً، بينما ترك ميدان الحياة وقوانين المادة التي أودعها الله في الكون، مبيناً أن هذا التيه يشبه تماماً ما وقع فيه بنو إسرائيل حين أضاعوا علوماً حضارية كبرى كانت مسخرة لهم في عهد نبي الله سليمان، واستبدلوها بملاحقة الخرافات والطلاسم والسحر للتفريق بين المرء وزوجه نتيجة إعراضهم عن هدي الله.

٢. مسار الهيمنة الاستكبارية والارتهان التقني الناجم عن ممارسة المنظومة الاستكبارية سياسة ممنهجة تقوم على احتكار مفاتيح العلوم المتقدمة، وسلب إرادة الشعوب عبر خلق نمط استهلاكي يُكرس التبعية، واستخدام التقنيات كسلاح للابتزاز السياسي، إعمالاً للقاعدة القرآنية الكاشفة لنواياهم: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥].

ويتجلى ذلك بوضوح في استهداف الكفاءات العلمية للأمة واغتيال العقول والمبتكرين أو احتوائهم وتفريغ بلدانهم منهم، كما جرى استهداف وتصفية علماء العراق ومصر وإيران وغيرها لضمان عدم نهوض الأمة كقوة مصنعة وحرمانها من امتلاك أي معرفة حساسة تؤهله لمغادرة مربع التبعية.

السؤال الرئيس للدراسة

تمثل السؤال الرئيس للدراسة في: ما هي الرؤية التي يؤصلها المشروع القرآني للبحث العلمي التجريبي كرافعة إيمانية واستراتيجية؟ وكيف تُسهم هذه الرؤية في تفكيك إرث التبعية المعرفية وعقدة العجز السيكولوجي، لبناء نهضة تصنيعية وتكنولوجية مستقلة تحقق الاكتفاء الذاتي وترسي معادلات الردع العسكري الشامل في مواجهة الهيمنة الاستكبارية؟!

الأسئلة الفرعية، وتتمثل في:

١. المسار الإبستمولوجي: كيف يُعيد المشروع القرآني صياغة الصلة التكاملية بين الوحي والسنن المادية انطلاقاً من حقيقة استخلاف آدم وعمارة الأرض، وما هي ركائز نقده للنزعة الوضعية؟
٢. المسار السيكولوجي والسوسيولوجي: ما الآليات المفاهيمية التي اعتمدها المشروع القرآني لتفكيك عقدة الدونية والعجز الجمعي، وما الدروس المستفادة من التجارب المقارنة، كالتجربة اليابانية لكسر احتكار التقنية؟
٣. المسار المؤسسي والتنموي: كيف يؤسس المنظور القرآني لربط المؤسسات التعليمية بحقول الإنتاج والقرار السيادي وفق نموذج «مثلث التكامل»، وما هي أولويات البحث في قطاعي الغذاء والدواء؟

٤. المسار الاستراتيجي والردعي: ما التأسيس الفقهي والاستراتيجي لمركزية «الحديد» في إقامة الحق، وما مشروعية كسر القيود الاحتكارية الغربية عبر الهندسة العكسية لبناء منظومات الردع الشامل؟
٥. المسار الجيو-سياسي والتكاملي: ما آفاق بناء شبكة أمان معرفية ودبلوماسية تكنولوجية مشتركة بين دول وشعوب محور المقاومة لتبادل الخبرات وتأمين سلاسل الإمداد بدلاً عن المنظومات الدولية الخاضعة للنفوذ الاستكباري؟

ثانياً: فرضيات الدراسة

الفرضية الرئيسة

يؤسس المشروع القرآني لنموذج إبستمولوجي وتطبيقي متكامل للعلم التجريبي، يفكك التبعية البنيوية للمركزية الغربية، ويحوّل الحصار ومقتضيات الاستخلاف إلى محرك لتوطين التقنية، والتصنيع السيادي، وبناء الردع الاستراتيجي الشامل.

الفرضيات الفرعية، وهي:

١. يؤدي تفكيك الانفصال بين الوحي والسنن الكونية في الفكر القرآني إلى استئصال عقدة النقص التاريخية وتحرير العقل المسلم من التبعية الوضعية.
٢. تمثل دلالة «تعليم الأسماء» و«سنن التسخير» أساساً تشريعياً وعقدياً يلزم الأمة بامتلاك ناصية العلوم التجريبية كفعل استخلافي وجهادي واجب.
٣. تشكل الرابطة البنيوية بين «الكتاب» و«الحديد» شرطاً سوسيولوجياً لتحقيق العدالة الاجتماعية وحماية المستضعفين من تغول القوى الاستكبارية.
٤. تسهم ممارسة الهندسة العكسية وتوطين التقنية التكيفية في ظل ظروف الحصار في كسر الأبارتهايد التكنولوجي وبناء قاعدة تصنيعية دفاعية رادعة.
٥. يضمن ربط البحث العلمي الأكاديمي بالحاجات الميدانية الملحة للأمنين الغذائي والدوائي بناء سيادة وطنية مستدامة وتحقيق الأمن المعرفي الشامل.

ثالثاً: أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى:

١. استجلاء المنطلقات القرآنية للعلم التجريبي بوصفه فريضة استخلافية، وتفكيك الانفصال الوضعي بين التقنية والأخلاق.
٢. دراسة منهجية تفكيك «عقدة العجز والهزيمة النفسية» في خطاب المشروع القرآني، وتحويل عقيدة الثقة بالله إلى طاقة دافعة للابتكار، بالاستئناس بالنماذج المقارنة.
٣. التنظير لنمط مؤسسي تكاملي يربط الجامعات بمصانع الإنتاج ومراكز القرار، وتوجيه أولويات البحث نحو سد ثغرات الأمن الغذائي والدوائي.
٤. تقديم تأصيل شرعي واستراتيجي لمركزية التصنيع الدفاعي وتلازم الكتاب بالحديد ومشروعية الهندسة العكسية لبناء معادلات الردع.
٥. وضع رؤية استراتيجية لبناء تحالف وتكامل علمي وتقني بين قوى ومحور المقاومة لكسر العقوبات وتحقيق استقلال سلاسل الإمداد للتقنيات المتقدمة.

رابعاً: أهمية الدراسة

تتوزع أهمية الدراسة على مسارين متكاملين:

١. الأهمية المعرفية والنظرية:

- الإسهام في سد الفجوة المعرفية عبر تفكيك مقولات المركزية الغربية، وتقديم إطار نظري إسلامي يدمج العلم التجريبي بالرؤية التوحيدية والاستخلاف القرآني.
- رفد حقل علم الاجتماع المعرفي ونظريات نزع الاستعمار بمقاربة أصيلة توضح كيف ينعكس الوعي الديني المقاوم على استرداد الفاعلية الحضارية والتصنيعية.

٢. الأهمية الاستراتيجية والتطبيقية:

- توثيق وتحليل التجربة التطبيقية اليمينية في بناء صناعات دفاعية وتقنية متقدمة في ظل العدوان والحصار الشامل، كنموذج عملي قابل للتعميم في بلدان الجنوب المقاوم.
- تزويد المؤسسات السيادية والبحثية بمصفوفة سياسات إجرائية لربط الأبحاث الأكاديمية بمسارات الاكتفاء الذاتي في الغذاء والدواء والتصنيع العسكري.

خامساً: المنظومة الاصطلاحية والمفاهيم الإجرائية

١. العلم التجريبي (Empirical Science):

- **التعريف الاصطلاحي:** نسق معرفي منظم يعتمد على الملاحظة الحسية والتجربة المختبرية لاكتشاف القوانين الطبيعية وصياغتها رياضياً وتطبيقها تقنياً.
- **التعريف الإجرائي:** الممارسة العلمية والتقنية الموجهة بالسنن الإلهية لاكتشاف خواص المادة وتسخيرها تصنيعياً لتحقيق منعة الأمة واستقلالها كواجب جهادي.

٢. أبستمولوجيا الاستخلاف (Epistemology of Vicegerency):

- **التعريف الاصطلاحي:** نظرية المعرفة التي تحدد مصادر العلم ومعايير صحته وغاياته انطلاقاً من تكليف الإنسان بإعمار الأرض بالعدل.
- **التعريف الإجرائي:** الرؤية المعرفية القرآنية التي تدمج هداية الوحي بالسنن الكونية، وتعتبر البحث في قوانين المادة عبادة وفريضة لإقامة القسط.

٣. فقه الحديد (Jurisprudence of Iron):

- **التعريف الاصطلاحي:** المنظومة الفكرية والاجتماعية التي تُعنى بدراسة أدوات القوة الصناعية والتقنية في حفظ النظام القيمي المجتمعي.

- التعريف الإجرائي: التلازم البنيوي بين المنهج الإلهي (الكتاب) وامتلاك أقصى مقومات الردع التصنيعي والتسليحي (الحديد) لمنع الاستكبار وحماية السيادة.

٤. الأبارتهايد التكنولوجي (Technological Apartheid):

- التعريف الاصطلاحي: النظام الدولي الاحتكاري الذي يفرض قيوداً تشريعية ومادية لمنع نقل وتوطين التكنولوجيا المتقدمة لشعوب الدول النامية.
- التعريف الإجرائي: سياسات الحصار والعقوبات المفروضة على اليمن لحرمانه من التقنيات الحيوية، والمواجهة عملياً بابتكارات الهندسة العكسية.

٥. الأمن المعرفي (Knowledge Security):

- التعريف الاصطلاحي: قدرة المجتمع على حماية وإنتاج وتطوير بنيته المعرفية والتكنولوجية بمنأى عن التبعية والاختراق الخارجي.
- التعريف الإجرائي: تحقيق الاكتفاء الذاتي من الكوادر والبحوث والتقنيات في المسارات الاستراتيجية (التصنيع الدفاعي، الغذاء، الدواء).

سادساً: حدود الدراسة

١. الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة على التأصيل المعرفي للعلم التجريبي في نصوص ومحاضرات الشهيد القائد وموجهات قائد الثورة، وتطبيقاتها في التصنيع الدفاعي والأمن الغذائي والدوائي.
٢. الحدود المكانية: الجمهورية اليمنية بنطاقها الميداني وامتداد تأثيراتها الجيو-سياسية في البحرين الأحمر والعربي.
٣. الحدود الزمانية: تمتد من انطلاق مسار المشروع القرآني عام (٢٠٠٢م) وتتركز في المرحلة التطبيقية خلال فترة العدوان والحصار الشامل وتطور الصناعات الردعية (٢٠١٥م - ٢٠٢٦م)

سابعاً: الدراسات السابقة

١. دراسات الفلسفة ونقد الحضارة الغربية، كدراسات أبو الحسن الندوي (٢٠٢٠م) في «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» و«حديث مع الغرب»، وأبحاث علياء العظم (٢٠٢٣م) حول «السنن الإلهية في بناء الأمم والحضارات»، وقد اتسمت هذه الدراسات بالتركيز على النقد القيمي والأخلاقي الكلي للحضارة الغربية دون ربطه ببرامج تصنيعية وهندسية وإجراءات حوكمة واقعية للمؤسسات البحثية.

٢. دراسات الصناعات الدفاعية وتوطين التقنية، كدراسات جان لو سمعان (٢٠١٩م) في «صعود الصناعة الدفاعية في الخليج»، وتقارير مركز الإمارات للدراسات والبحوث (٢٠٢٣م) حول «استراتيجيات التوطين وسلاسل الإمداد»، وقد عالجت الظاهرة من منظور السوق الرأسمالي والتحديث التابع، وتجاهلت البعد الهوياتي والتحرري وخصوصية الإنتاج تحت وطأة الحصار.

٣. دراسات الفكر الاستراتيجي للمشروع القرآني، كدراسة عبد الله حسن الرازحي (٢٠٢٤م) حول «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد»، والتي قاربت البعد السياسي والتربوي للهوية، دون التوسع في التأصيل الإبستمولوجي للعلوم التجريبية والهندسة العكسية والأمن المعرفي.

تتميز هذه الدراسة بمحاولتها تقديم نموذج تكاملي يربط التأصيل الإبستمولوجي القرآني بالواقع التطبيقي، مبرهنَةً كيف تحول النص الديني إلى صواريخ رادعة، ومسيرات ذكية، واستقلال تصنيعي في الميدان.

ثامناً: المنهجية البحثية وأدوات الرصد والتحليل

تعتمد الدراسة المنهج التحليلي السوسيولوجي التكاملي (Sociological Analytical Approach) بوصفه المنهج الإبستمولوجي الرئيس الحاكم للدراسة، وتنتظم تحت مظلته ثلاث أدوات نوعية تشمل:

١. أداة تحليل الخطاب والمضمون النوعي (Qualitative & Content Analysis) لاستقراء الآيات القرآنية الخاصة بالسنن والتسخير وإعداد القوة، وتحليل المتون الفكرية لمحاضرات الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي

وخطابات وموجهات قائد الثورة السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي -رضوان الله عليهم-.

٢. أداة النقد السوسيولوجي ومدرسة نزع الاستعمار المعرفي (Decoloniality)

لتشخيص آليات الهزيمة النفسية واستبطان التبعية وتفكيك المركزية الغربية.

٣. أداة دراسة الحالة والتحليل المقارن (Case Study & Comparative Analysis):

لاختبار تجربة اليمن في التصنيع التكيفي وكسر الحصار التكنولوجي ومقارنتها بنماذج دول المنطقة والنماذج التاريخية المقارنة.

ولضمان الرصانة العلمية، تعتمد الدراسة على التثليث المنهجي (Methodological Triangulation) عبر المزاوجة بين ثلاثة مستويات من البيانات هي:

١. المستوى المعياري القرآني الحاكم لعمارة الأرض وإعداد المستطاع من القوة.

٢. المستوى التنظيري للمشروع المستند إلى التحليل الوثائقي للملازم والمحاضرات الفكرية.

٣. والمستوى الإمبريقي والواقعي القائم على الرصد الميداني والتقني لمنتجات الصناعات العسكرية والتنموية كشواهد مادية على كسر الحصار التكنولوجي وتجاوز معادلات العجز.

المبحث الأول التأصيل المعرفي والمنطلقات الإيمانية للبحث العلمي التجريبي في المشروع القرآني

شهد الفكر البشري عبر تحولاته التاريخية أزمت بنيوية حادة نتجت في جوهرها عن اضطراب نظرية المعرفة، فبينما غرقت فلسفات العصور الوسطى في الإغراق التأملي والجدل الميتافيزيقي السكولاستي المنقطع عن سبر قوانين الواقع المادي، اندفعت الحداثة الغربية وما بعد الحداثة إلى نقيض مادي راديكالي ألّه العقل الأدوات وحصر مصادر اليقين في الملاحظة الحسية والتجربة المختبرية النفعية^(١). أفرز هذا التشظي فصاماً نكداً بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وبين القيمة الأخلاقية الإلهي والمنجز التقني، مما جعل المعرفة الإنسانية إما معطلة عن الفعل في الشهود الحضاري، أو أداة طغيانية مسخرة للتدمير الإيكولوجي والاستكبار البشري^(٢).

في مواجهة هذا المأزق الفلسفي، تبرز الأبستمولوجيا القرآنية بوصفها نسقاً توحيدياً كلياً يلغي الثنائيات المتصارعة، ويصوغ مفهوماً تكاملياً يتعاقب فيه الوحي المعصوم مع السنن الكونية الصارمة^(٣). إن القرآن الكريم لا يقدم نفسه بديلاً تقنياً عن البحث العلمي التجريبي، بل يمنحه المظلة الوجودية، والموجه الغائي، والمحفز العبادي والمسؤولي الذي يدفع الإنسان لسبر مجاهل المادة وتسخير طاقاتها في سياق العمارة وإقامة القسط^(٤).

(1) Barbour, Ian G. 1990. Religion in an Age of Science: The Gifford Lectures 1989-1991. San Francisco: Harper & Row, pp. 17-25.

(٢) كانت، إيمانويل. ١٩٩٠. المبادئ الميتافيزيقية في العلم الطبيعي. ترجمة إرنست كاسير. باريس/بيروت: دار القلم، ص ١٤٢-١٤٦.

(٣) العظم، علياء. ٢٠٢٣. «حالة البحوث في السنن الإلهية في بناء الأمم والحضارات». مجلة الفكر الإسلامي المعاصر ٢٩: ١١-١٨.

(٤) الخري آبادي، محمد أبو الليث، وشجاع الدين رحمان، ورحمت الله عظيمي. ٢٠٢٥. «دراسة تحليلية للإعجاز العلمي في القرآن بين النصوص الشرعية والاكتشافات الحديثة». مجلة البرهان لدراسات القرآن والسنة ٩، عدد ٢: ١٣٨-١٤٢.

أولاً: النسق التوحيدي للمعرفة ونفي القطيعة الإبستمولوجية

تتأسس الأبستمولوجيا القرآنية على مبدأ وحدة الحقيقة والوجود، فالكون المنظور والوحي المسطور صادران عن مشكاة ربانية واحدة: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. يقتضي هذا النسق نفي أي قطيعة بين الغيب والشهادة؛ إذ يغدو استكشاف القوانين الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية الحاكمة للمادة امتداداً معرفياً خالصاً للتوحيد، وتصبح معرفة السنن وسيلة متجددة لتعميق الإيمان بعظمة الخالق وتديره^(١).

لقد انزلت المدارس الفلسفية القديمة والحديثة في ثنائية المادة والروح، فاعتبرت الأولى حقلاً مدنساً أو منفصلاً، بينما يقدم القرآن رؤية متماسكة تجعل الإحاطة بخصائص المادة شرطاً وجودياً لاكتمال البعد الإيماني ذاته^(٢). فالله سبحانه وتعالى هو المحيط بكل شيء علماً، وهو عالم الغيب والشهادة، وواسع العلم^(٣) الذي تنبغي الاستجابة لأمره في قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤]. ويؤصل الفكر القرآني لهذه الحقيقة مبيناً أن الله واسع العلم ومن وسع كرسيه السماوات والأرض، وهو الذي يجب أن نلتفت نحوه ليعلمنا، مشيراً إلى أن كبار المخترعين والمبدعين عبر التاريخ، وأثناء تجاربهم المخبرية وسعيهم العلمي، كانوا يلمسون تدخلاً إلهياً وعوناً غيبياً يرشدهم لابتكار أشياء خارقة لم تكن حتى في حساباتهم المباشر وهم يجرون تجاربهم^(٤). ومن ثم، فإن التجريب العلمي يمثل في عمقه تجاوباً فطرياً مع نداء الهداية التكوينية العامة المودعة في الآفاق^(٥).

ثانياً: الاستخلاف وحوار الملائكة والدلالة المعرفية لـ «الأسماء كلها»

يبتدئ التأسيس القرآني لمركزية المعرفة المادية من المشهد التكويني لإعلان بدء الوجود الإنساني: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. إن التساؤل الاستشكالي الذي طرحته الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يعكس مقاربة معرفية محدودة اختزلت معنى

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. دروس من هدي القرآن الكريم: معرفة الله (الدرس الثاني). صعدة: مكتبة بدر، ص ١١-١٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ١١.

(٥) الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي (الدلالات والأبعاد)». مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية ١، عدد ٢: ٣١٢-٣١٥.

العبادة في «التسبيح القولي والتنزيه السكوني» المجرّد عن مواجهة خامات الأرض ومجاهيلها^(١).

يكشف التحليل الإبستمولوجي المعمق لنصوص الهدي القرآني عن دلالات جوهرية لهذا الحوار التأسيسي أبرزها الآتي: -

١. إن عبادة الصلاة والذكر لدى الإنسان تمثل نموذجاً مستخلصاً ومصغراً مما عليه الملائكة، فالملائكة، كما يصفهم الإمام علي بن أبي طالب -سلام الله عليه- في نهج البلاغة، سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون^(٢). فلو كانت الغاية النهائية من خلق الوجود وتديبر هذا الكون الشاسع هي مجرد التسبيح التعبدي المحض (ثلاث تسبيحات في ركوع أو سجود)، لكان الأولى والأجدر منطقياً أن تُسخر السماوات والأرض لهؤلاء الملائكة الذين لا يملون ولا يفترون عن العبادة المباشرة^(٣).

٢. سُخر هذا البناء الهائل المنزل الكبير: السماء والأرض وما بينهما للإنسان حصراً، لأن الدور المنوط بالمستخلف يختلف نوعياً، فهو دور مرتبط بمحتويات هذا الكون ومظاهر هذه الحياة المادية، إذ لا يتحقق الاستخلاف ولا تستقيم الشهادة بكمال الله وقدرته وحكمته إلا من خلال تعامل الإنسان المباشر مع مكونات الأرض وعناصرها وسننها^(٤).

٣. في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، لم يُعلم الله آدم «سبحان الله» ولا مجرد تسبيح وتقديس ألفاظ، ولا علمه أسماء الملائكة، بل علمه قائمة عينية بأسماء ومظاهر العالم الذي سيهبط إليه: هذه شجرة، وهذا جبل، وهذه صخرة، وهذا معدن، مع إفهامه طبائعها ووظائفها وكيفية التعامل معها وأدوارها^(٥). فالتعليم هنا هو تمكين إدراكي كلي يمنح العقل البشري القدرة على

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس من هدي القرآن الكريم: دروس رمضان (الدرس الثالث - المقطع الأول). صعدة: مكتبة بدر، ص ١٩.

(٢) ابن أبي طالب، الإمام علي. ٢٠١٢. نهج البلاغة. شرح محمد عبده. بيروت: دار المعرفة، الخطبة الأولى، ص ٢٤-٢٦. واستشهد به: الحوئي، حسين بدر الدين. دروس رمضان (الدرس الثالث)، ص ١٩-٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١١-١٢.

(٤) الحوئي، حسين بدر الدين. دروس رمضان (الدرس الثالث)، مرجع سابق ص ١٩.

(٥) الحوئي، حسين بدر الدين، نفس المرجع، ص ١٩.

تفكيك عناصر المادة وسبر خواصها الفيزيائية والكيميائية^(١).

٤. إن الإنسان كائن اجتماعي تتسع حاجاته المعيشية باضطراد كتشوع الصناعات الجلدية، واستخدامات أخشاب الأشجار، وتطويع المعادن^(٢). ومع كل تطور صناعي وتطويع لمظهر من مظاهر الحياة، تتجلى أسرار جديدة باللغة الدقة لقدرة الله وحكمته ولطفه وألوهيته؛ لدرجة أن الملائكة أنفسهم الذين استشكلوا في البداية يستفيدون وتتسع معارفهم بكمال الله مما يظهر ويتكشف على يد هذا الإنسان وهو يبدع ويصنع ويعمر الأرض^(٣). فالجهل بقوانين المادة هو إلغاء صريح لمقتضى الاستخلاف وإفقار للمعرفة التوحيدية ذاتها^(٤).

ثالثاً: التلازم بين الكتاب وبأس الحديد

يرتبط مبدأ الاستخلاف بالأمر الإلهي الحاسم في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، حيث استقر أئمة التفسير والأحكام الفقهية على أن صيغة «استعمركم» تفيد الطلب الجازم الدال على الوجوب الشرعي لعمارة الأرض وزراعتها وصناعتها^(٥).

غير أن التأصيل الذي يقدمه الشهيد القائد في المشروع القرآني يرتقي بهذا المفهوم إلى مستوى «التلازم المصيري بين الكتاب والحديد»^(٦)، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥] وتجلى ذلك في التالي: -

- توازي الإنزالين حيث قرن الله عز وجل إنزال الكتاب والميزان بإنزال الحديد، فالكتاب يمثل منظومة القيم والهداية والتشريع، بينما يمثل الحديد الذراع

(١) العسكري، أبو هلال. ١٩٩٨. الفروق في اللغة. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ص ٧٣-٧٥.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين، نفس المرجع، ص ٢٠.

(٣) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس من هدي القرآن الكريم: دروس مديح القرآن (الدرس الثالث). صعدة: مكتبة بدر، ص ٢

(٤) المرجع نفسه، ص ٢

(٥) الجصاص، أحمد بن علي الرازي. ١٩٩٤. أحكام القرآن. تحقيق محمد صادق قمحاوي. بيروت: دار الكتب العلمية، المجلد ١، ص ٤٥-٤٨؛ وانظر أيضاً: القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. ٢٠٠٦. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة، المجلد ٩، ص ٥٤-٥٨.

(٦) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس الثالث - المقطع الثاني)، ص ٢٠-٢١.

المادية والقدرة التقنية والصناعية الحامية لتلك القيم والمحقة للعدل في الواقع^(١).

- نقد الوعي الزهدي السلبي، نجد نقداً صريحاً للخطاب الديني التاريخي الذي ظل لقرون يعزّ الإنسان بالانصراف عن مظاهر الحياة المادية وعن الدنيا، فلما هجم الأعداء عسكرياً وثقافياً، عجز المسلمون واعتذروا بأن الخصوم يمتلكون العتاد والقوة! ويتساءل الفكر القرآني: بم تفوق هؤلاء الأعداء؟ تفوقوا بمظاهر هذه الحياة المادية نفسها؛ بالحديد والبلاستيك والمعادن التي طوعوها فصنعوا منها الطائرات والدبابات ومنظومات الاتصال، فشغلوا بها الباطل حتى فرضوا ثقافتهم الباطلة ومناهجهم المنحرفة إلى داخل مساجد المسلمين ومدارسهم^(٢).
- حتمية المادية التقنية، إن الكتاب السماوي لا يقوم في الفراغ، واستقامة الدين مرتبطة ارتباطاً بنوياً بمظاهر الحياة؛ فالحديد معدن مادي مودع في الأرض يجب استخراجُه وصهره وتصنيعه، فإذا عطل المؤمنون علم تصنيع الحديد وأهملوا بناء الطائرات والدروع والمعدات، استولى أهل الباطل على هذه الأدوات وقهروا المسلمين^(٣). ويلتقي هذا الفهم مع عهد الإمام علي بن أبي طالب لمالك الأشرحين ولاء مصر، حيث جعل عمارة الأرض واجباً مقدماً على جباية الخراج، محذراً من أن طلب الخراج بغير عمارة يخرب البلاد ويهلك العباد^(٤).

رابعاً: دينامية البحث العلمي وتوليد المعرفة من واقع المسؤولية والميدان

تصحح المنهجية القرآنية المفهوم الإستمولوجي للبحث العلمي وطرق تحصيل المعرفة، حيث تبين أن المعرفة الحقيقية لا تتولد عبر الاستغراق الذهني المجرد أو الأبحاث النظرية الساكنة التي تحاكي جدليات المدارس المتأخرة، بل تنبثق عبر المسيرة والحركة العملية الميدانية^(٥) من خلال:

- المعرفة وليدة اتساع المهام حيث يؤكد الشهيد القائد -رضوان الله عليه- إن

(١) المرجع نفسه، ص ٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠-٢١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢١.

(٤) ابن أبي طالب، الإمام علي. ٢٠١٢. نهج البلاغة. شرح محمد عبده. بيروت: دار المعرفة، الرسالة ٥٣ (عهده

لمالك الأشر النخعي لما ولاء مصر)، ص ٤٣٨-٤٤٠.

(٥) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس التاسع). صعدة: مكتبة بدر، ص ١١-١٢.

الطريقة الطبيعية للمعرفة هي ما يُعرف بالبحث العلمي، حيث لا يمكن للإنسان، بل ولا للأنبياء أنفسهم، أن يعرفوا كل شيء دفعة واحدة في شهر أو عام؛ إنما تتسع معارف الأمة بمقدار اتساع دائرة مسؤولياتها ومهامها الحضارية في مواجهة الأعداء وعمارة الواقع.

- الدافع العملي في ارتياد الفضاء ويتجلى هذا المبدأ في ارتياد الفضاء وصعود القمر من قبل القوى الكبرى كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، حيث لم يكن ارتيادهم للفضاء بدافع الفضول الترفي أو لمجرد معرفة كروية الأجرام وطبيعة ضوئها، بل كان نابعاً من مهام عملية ودوافع صراعية وسياسية حيوية، كالتفكير في استخدام الفضاء والقمر كمنصة لإطلاق الصواريخ وحل معضلات الوقود والتفوق الاستراتيجي^(١).

- نقد العقلية الاستهلاكية للعلوم في المقابل، ظلت المناهج والجامعات العربية تتناول الفضاء والقمر بوصفه نظريات جامدة وجدلاً صفيّاً محله، دون أن تستطيع تلك المدارس أن تضيف أطروحة عملية واحدة، لأنها معزولة عن الفعل والحركة والميدان، وتنتظر فقط ما يقذفه لها الآخرون من فتات اكتشافاتهم^(٢). ومن هنا يؤصل المنهج القرآني لقاعدة أن المعرفة تتبع الحاجة وتتطور في أتون المسؤولية؛ فالمؤمنون حين يستشعرون فريضة إعداد القوة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] يندفعون بوازع عبادي لابتكار الحلول الهندسية والطبية والتقنية، فتنامي معارفهم وتثمر حضارتهم.

خامساً: نقد الفلسفة الوضعية وأزمة التدمير البيئي الرأسمالي

دشنت الفلسفة الغربية منذ عصر النهضة وما تلاه من كتابات فرنسيس بيكون ورينيه ديكارت، ثم بلوغ الذروة مع الفلسفة الوضعية لأوغست كونت، تحولاً أبستمولوجياً خطيراً تمثل في استبعاد الميتافيزيقا ونزع القداسة عن الطبيعة، حيث تحولت الطبيعة من آيات دالة على الخالق إلى مجرد مادة امتدادية خرساء غايتها الوحيدة أن تُقهر وتُخضع لسلطان الإنسان.

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس التاسع) مرجع سابق، ص ١١. وكذا ودروس رمضان (الدرس الثالث)، ص ٢٢.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس التاسع)، مرجع سابق، ص ١١-١٢.

يحدد الشهيد القائد -رضوان الله عليه- مكنن الخلل في هذه الرؤية بأنها انطلقت من «دافع الفضول والحاجة النفسية والمطامع التوسعية»، متجردة بالكلية من «الدافع العبادي والضمانة الأخلاقية والروحانية»^(١). ورغم أن الغربيين أعملوا مبدأ التفكير في السنن المادية فتوصلوا إلى الاختراعات والصناعات المذهلة، إلا أن فراغ نفوسهم من التقوى وخشية الله جعل هذا العلم عينه يتحول إلى سوط عذاب للبشرية وإلى أداة عمياء بيد الطغيان الرأسمالي^(٢).

وقد شخص المفكر أبو الحسن الندوي هذا المأزق الحضاري مبيناً أن العلم والتكنولوجيا الغربية، رغم تطورهما الهائل، يعانيان من فراغ عقدي مدمر وفقدان لخشية الله واحترام كرامة الإنسان، مما أدى إلى ظواهر سوسيولوجية ونفسية خطيرة كالقلق الوجودي وتفشي الانتحار^(٣). ويشير الندوي إلى أن الاستعمار الغربي الحديث، المدعوم بالآلة العلمية والتقنية الصماء، أنتج خراباً في النفوس والعقول يفوق بمراحل تخريب الغارات التتارية القديمة؛ لأن التتار هدموا المدن المادية، بينما دمرت الحضارة الوضعية الغربية جوهر الإنسان وأفسدت فطرته وحولته إلى كائن استهلاكي مقطوع الصلة بربه^(٤).

يقدم الشهيد القائد -رضوان الله عليه- تحليلاً سوسيولوجياً وبيئياً بالغ العمق لأزمة التلوث البيئي الناتج عن المنظومة الغربية^(٥):

- إن الرأسمالية الوضعية تحركت في مسار الإنتاج الصناعي من منطلق تعظيم الأرباح وخفض التكاليف المادية بأي ثمن: «المهم هو أن يُنتج بأقل تكلفة»، دون أي اعتبار لحرمة الإنسان أو سلامة الكوكب؛ ومن هذه الذهنية الجشعة تولدت النفايات النووية، وتراكمت المخلفات الكيميائية السامة التي تهدد استمرار الحياة برمتها.

- أخلاقية الإنتاج الإيماني البديل وتتجلى هنا فرضية إبستمولوجية فارقة: ماذا لو كان سادة الإنتاج الصناعي والممسكون بالتقنية مؤمنين يسيرون بهدي الله؟ إن إيمانهم وتقواهم وخشيتهم من الله ستلزمهم بالانطلاق من مبدأ: «إنني في مقام مسؤولية لا أريد أن أضرب عباد الله»، وحينئذ سيعدلون حتماً إلى استخدام

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. دروس معرفة الله (الدرس الثاني)، ص ١٢-١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣.

(٣) الندوي، أبو الحسن علي الحسني. ٢٠١٨. حديث مع الغرب. القاهرة: دار الصحوة، ص ١٣-٢٥.

(٤) الندوي، أبو الحسن علي الحسني. ٢٠٢٠. ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين. دمشق: دار ابن كثير، ص ١٣٤-١٤٥.

(٥) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. دروس معرفة الله (الدرس الثاني)، مرجع سابق، ص ١٣.

المواد والتقنيات الصديقة للبيئة والضامنة لسلامة الإنسان، «وإن كانت المواد غير الملوثة أكثر تكلفة»! هنا تنكسر صنمية المعيار النفعي الرأسمالي، وتوضع صيانة النفس الإنسانية والبيئة مقدماً على الربح المالي المحض.

تظهر المقارنة الإيكولوجية بين التصميم الإلهي للكون وبين الإفرازات الصناعية الغربية الفارق الجوهرى بين الهداية والعمى الوضعي^(١):

- السنن البيئية المغلقة حيث جعل الله - سبحانه وتعالى - سنن الحياة قائمة على التدوير التلقائي والحفاظ على البيئة، فمخلفات الحيوانات مثلاً لا تشكل تلوثاً، بل تتلاشى ذاتياً وتتحوّل بمرور الوقت إلى سماد يخصب التربة ويزيد من إنتاجيتها، ضمن دورة حيوية محكمة ومتوازنة.

- التدخل التقني الأعمى في المقابل، انظر إلى النفايات المصنعة المنفصلة عن الهدى الرياني كسكب مخلفات وزيوت السيارات عند مزرعة من المزارع، ما الذي يحدث؟ إنها تحرق التربة وتهلك النبات وتسمم الأرض لفترات مديدة! هذا الشاهد الحسي يجسد بدقة مصداق التحذير القرآني المعجز^(٢): ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

تؤصل المنهجية القرآنية لقانون تاريخي وحضاري صارم: «إن هدى الله هو الضمانة الوجودية الوحيدة لبقاء العلوم وتنميتها واستمرار الحضارات»^(٣). وبناءً على شواهد التاريخ والواقع:

١. إن الحضارة الغربية المعاصرة التي احتضنت التقنية الفائقة وسبقت العالم في علوم الذرة والاتصالات، باتت اليوم مهددة بالانهيار والتلاشي الذاتي، لافتقادها إلى الضمانة الروحية والمنظومة الأخلاقية التي تحفظ العلم^(٤). فتحوّلت الذرة إلى ترسانات إبادة نووية، وتحول التقدم الاقتصادي إلى أدوات ربوية وهيمنة استكباريه لنهب الشعوب وتأجيج الصراعات، مما يجعل العالم بأسره على حافة

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. ٢٠٠٥. التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، المجلد ٢١، ص ١١٤-١١٦.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس - المقطع الثاني). صعدة: مكتبة بدر، ص ٣-٤.

(٤) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس الخامس - المقطع الثالث). صعدة: مكتبة بدر، ص ٢٥-٢٦.

نكسة علمية وحروب قد تدمر المعامل والخبراء والمدارس لتبدأ البشرية مجدداً مما دون الصفر^(١).

٢. يشير التحليل المعرفي للشهيد القائد إلى الدور التخريبي الذي تلعبه القوى الصهيونية والرأسمالية المتوحشة عبر استغلال المنجز الصناعي، فهم ينطلقون من عقدة تاريخية تهدف إلى التفريق: تفريق الإنسان عن دينه، وتفريق الشعوب عن مبادئها، وضرب الانسجام بين الحاكم وشعبه، وجر العالم إلى أتون حروب مدمرة تضمن لهم السيادة والسيطرة المالية والثقافية^(٢). ومن هنا يتبين أن العلم التجريبي حين يُنزع من غلاف التوحيد لا ينتج تنويراً، بل يقود إلى فتن وإبادة شاملة^(٣).

سادساً: شمولية القرآن وتصحيح مفهوم العلم والتأسيس للنهوض الحضاري

تعرض الوعي الإسلامي لانتكاسة تاريخية بالغة حين سقط الفكر الإسلامي المتأخر في إسار النزعة المدرسية الجدلية، حيث صُرفت دلالات الآيات القرآنية الآمرة بالنظر والتدبر عن مقاصدها الحركية والحضارية^(٤):

- صرف المتكلمون كالمعتزلة وغيرهم، آيات التدبر الكوني ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ عن ميدان الحياة والمادة إلى حقل الجدل العقدي البحت، واختزلوا التفكير في مجرد استنباط أحكام كلامية باردة مثل: «هذا مُحَدَّث وكل مُحَدَّث له محدث إذاً له صانع حكيم»، وهو استدلال بديهي مفروغ منه تدركه حتى الحيوانات بفطرتها! ويوضح الشهيد القائد أنه لو كان الغرض من التسخير الكوني هو مجرد الوصول إلى هذه النتيجة العقدية النظرية، لكان يكفي الناس شجرة واحدة أو نعجة واحدة لإثبات الصانع، فما الداعي لتسخير كل هذه الأصناف والسموات والبحار والمعادن؟! إن حصر الآيات في هذا الأفق الضيق صادر أثر المعرفة الوجداني، وعطل طاقة الأمة عن الإبداع والتصنيع والاكتشاف^(٥).

- انشغل العلماء والمراجع عبر القرون بالاستغراق في الترف الفقهي الفرعي وتسويد مئات المجلدات في قضايا جزئية مثل: البحث الطويل في مسألة: «هل

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس - المقطع الثاني)، ص ٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢ - ٣.

(٣) الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد»، ص ٣١٨ - ٣٢٠.

(٤) الخولي، محمد عبد العزيز. ٢٠٠٠. الإسلام وبناء الحضارة الإنسانية. القاهرة: دار الفكر العربي، ص ٧٦ - ٨٠.

(٥) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. دروس معرفة الله (الدرس الثاني)، ص ١٢ - ١٤.

الأذن من الرأس أم لا؟» في الوقت الذي كانت فيه مؤشرات النهوض الصناعي في أوروبا تتصاعد، كما بُدِدت الأموال الهائلة وميزانيات الأمة كالأخماس وأموال الأوقاف التي تتجمع بالمليارات في مجرد تخريج مدرسي فقه وأصول وفلسفة مجردة، دون أن يُرصد منها جزء لبناء مدارس علمية ومراكز أبحاث وابتعاث الطلاب النوايع ورعايتهم بملايين الدولارات لصناعة كفاءات في الهندسة والفيزياء والتصنيع لحماية دار الإسلام! وكانت النتيجة التاريخية المروعة هي ضياع الأمة وسقوط الحواضر الكبرى كالنجف وكرلاء وبغداد تحت وطأة الاحتلال الأجنبي وأسلحته المتطورة^(١).

التبيان القرآني بوصفه هندسة للتوجهات والمسؤوليات، وهنا يجيب الشهيد القائد عن التساؤل الإستمولوجي حول كيفية كون القرآن تبياناً لكل شيء في ظل خلوه من المعادلات الرياضية والتفاصيل التقنية الدقيقة عبر محاور متكاملة:

١. نقد التأويل القاصر لـ ﴿تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يُرفض قياس شمولية القرآن على ما ورد في حق ملكة سبأ بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، حيث فسرها بعض المفسرين بأنها أُوتيت مما جرت به عادة الملوك فقط. فالقرآن تبيان حقيقي لكل شيء مما يصح أن يُطلق عليه شيء، بدءاً من المعرفة بالله التي هي رأس كل معرفة، ووصولاً إلى سنن تدبير الواقع الإنساني^(٢).

٢. إن معنى التبيان لا يعني سرد قوائم بأسماء المعادن وخصائصها الكيميائية، أو تفاصيل قوانين الهندسة بصورة جاهزة، بل يعني إعطاء «الرؤية المعرفية الكلية»، و«تحديد المسؤوليات والواجبات الكبرى» التي تلزم الأمة بالتحرك في هذه الميادين^(٣). فالقرآن يضع الإنسان في قلب مسؤولية حضارية وجهادية (الدفاع عن المستضعفين، إقامة العدل، حماية الأمة، الاكتفاء الذاتي)، وهذه المسؤولية لا يمكن أن تُقام إلا بأن يكون لدى الأمة مهندسون، وخبراء، وأطباء، ومراكز بحوث، وتمويل للدراسات الميدانية، وبذلك يكون القرآن هو الدافع والمفتاح الأصيل لكافة العلوم التجريبية^(٤).

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس - المقطع الثالث)، ص ٩-١١.
(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس من هدي القرآن الكريم: مديح القرآن (الدرس الأول - المقطع الثاني). صعدة: مكتبة بدر، ص ١٦.
(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السابع). صعدة: مكتبة بدر، ص ٣.
(٤) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس مديح القرآن (الدرس الأول)، ص ١٧.

٣. تبرهن المنهجية القرآنية على شمولية الهداية بتدخلها حتى في أدق التفاصيل المادية، كالتصميم الهندسي للمساكن (الفارق بين العمارة الإسلامية التي تراعي الحشمة والفصل بين جناح الأسرة والضيوف، وبين العمارة الغربية العشوائية)، وتوجيه سلوك الإنفاق الاستهلاكي وفق قاعدة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، لتوفير الفوائض المالية وتوجيهها نحو الاستثمار والبناء وتطوير أدوات المواجهة. فالقرآن يملأ الحياة ويصوغ نمطها الحضاري المستقل^(١).

٤. التسخير المعاصر وطاقة الشمس، فمفهوم التسخير يرتبط بالاكتشافات الحديثة، كتحويل أشعة الشمس إلى طاقة كهربائية ووقود يشغل المركبات الفضائية والأقمار الصناعية التي تجوب الفضاء الخارجي لسنوات دون الحاجة لوقود أرضي متجدد، فالشمس التي تبعد ملايين الأميال سُخرت لخدمة الإنسان، وهذا ما يفتح آفاقاً لانهائية للبحث العلمي في تطويع ما في السماوات والأرض^(٢).
تكشف فلسفة التاريخ القرآني في رؤية الشهيد القائد كيف تؤدي الغفلة عن هدى الله إلى تدمير العلوم وفقدان المقومات الحضارية:

• شهد عصر نبي الله سليمان، وعصر ذي القرنين الذي آتاه الله ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]، ذروة حضارية سُخرت فيها قوى الطبيعة وأسرار الكون فوق الطاقات الجسدية المألوفة^(٣). وأبرز شواهد ذلك ما حكاه القرآن عمن كان ﴿عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ في قوله: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] لنقل عرش بلقيس من اليمن إلى القدس في طرفة عين، وهي عملية علمية تسخيرية مذهلة تعتمد على سبر أسرار التسخير الكوني لم يصل العلم المعاصر ولا النظريات الفيزيائية الحديثة لتفسيرها المنطقي حتى اللحظة، تماماً كلغز بناء الأهرامات الشاهقة في مصر القديمة^(٤).

• السقوط الإسرائيلي في مستنقع الشعوذة، في المقابل نجد دلالة قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ

(١) المرجع نفسه، ص ١٦-١٧.

(٢) الحوثي، حسين بدرالدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السابع)، ص ٣-٤.

(٣) الحوثي، حسين بدرالدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس الخامس - المقطع الثالث)، ص ٢٥.

(٤) الحوثي، حسين بدرالدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس - المقطع الثاني)، ص ٣.

كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَوَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴿البقرة: ١٠٢﴾ حيث نزل الملكان بعلوم كشفية هامة للبشرية يمكن توظيفها في الخير والشر كطاقة الذرة والحديد تماماً، وحذرا قائلين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ لكن بني إسرائيل، نتيجة إعراضهم عن هدي الله وانحطاط نفوسهم وفقدانهم للغايات الكبرى، أضاعوا تلك العلوم التسخيرية الجبارة التي تبني الحضارة وتستخرج كنوز الأرض، واختزلوها في ملاحقة الطلاسّم والسحر والعزائم للتفريق بين المرء وزوجه^(١)!. وهكذا يتكرر المشهد، فالأمة التي تهجر الهدي الإلهي تضيع كشوفاتها العلمية وتسقط في مستنقع الخرافة والتبعية^(٢).

في ظل الصراع الحضاري الشامل، تبرز فرضية الأخذ بالقوة التي تحدد معالم استعادة المبادأة العلمية للأمة الإسلامية من خلال:

١. وعي العداوة ومنع النهوض العلمي حيث يتأصل الوعي الاستراتيجي من فهم قوله تعالى: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] فهذه الآية كما يؤكد الشهيد القائد، قاعدة وعي ثابتة تكشف أن قوى الاستكبار لا تريد للأمة المسلمة أن تحصل على أي خبرات تقنية متقدمة أو تصبح دولاً مصنعة، بل يحرصون على إبقائها أسواقاً استهلاكية تابعة تنهب ثرواتها النفطية والمعدنية الهائلة. ويدلل على ذلك بما تعرض له علماء العراق ونوابغهم من ملاحقة واغتيالات وتفتيش للمختبرات إبان الغزو الأمريكي لحرمان الأمة من بنيتها العلمية، فضلاً عن استقطاب النوابغ واحتوائهم في الغرب وتفريغ العالم الإسلامي من عقوله^(٣).

٢. الاستقلال الثقافي والدروس المقارنة (اليابان وإيران): يبرز الشهيد القائد -رضوان الله عليه- في ملازمه، مقارنة حضارية حية:

• النموذج الياباني: كيف استطاع الشعب الياباني، رغم ضيق أراضيه وخروجه مدمراً من الحرب العالمية الثانية بمأساة هيروشيما، أن يبني نفسه ويقهر أعداءه في ميادين التكنولوجيا والاقتصاد، والسريكمين في الحفاظ على الهوية الوطنية والاعتزاز بالذات، ورعاية الطلاب المبتعثين وحمايتهم من الانبهار بالغرب،

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس الخامس - المقطع الأول، ص ٢٣-٢٤).

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس - المقطع الثاني)، ص ٢.

(٣) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس - المقطع الأول)، ص ٨-٩.

وتحويل أضيق المساحات إلى إنتاج، حتى وصل بهم الأمر إلى زراعة القوارب في البحر وأسطح المنازل وشرفاتها لتحقيق الاكتفاء الذاتي^(١).

• **المفارقة المؤلمة للأمة الإسلامية:** يوضح الشهيد القائد أن الأمة تمتلك مساحات زراعية شاسعة وثروات مائية وتربة تفوق اليابان بمئات المرات، ويمتلك اليمن وحده أراضي قادرة على إطعام المنطقة، لكنه يستورد الحبوب والعدس من أستراليا والصين بسبب التبعية السياسية وفقدان الهوية الإيمانية^(٢).

• **نموذج الثورة الإسلامية في إيران** الذي فقد استشهاد الشهيد القائد بنهج الإمام الخميني -رضوان الله عليهم- الذي أدرك طبيعة الصراع الحضاري، ودعا الأمة للاعتماد على الذات والتحرر من الهيمنة، وتطوير التصنيع الزراعي والعسكري لمواجهة الاستكبار الأمريكي والإسرائيلي بصلابة^(٣).

٣. **التطبيق الحركي لـ ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾** إن مواجهة التحدي الحضاري تقتضي أخذ دين الله وهديه بقوة، وأخذ الهدي بقوة يفرض بالضرورة أخذ أسباب العلوم المادية والتقنية بقوة^(٤). وهنا تلتقي الرؤية القرآنية مع القاعدة الفقهية والأصولية الكلية: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، ومع إجماع الفقهاء المحققين على أن تعلم الصناعات الكيميائية والطبية والهندسة المدنية والعسكرية وتصنيع كافة مستلزمات الحياة هو «فرض كفاية» يرتقي إلى «فرض عين» على الأمة وقادتها إذا ترتب على فقدانه إذلال المسلمين وارتهان قرارهم للأعداء^(٥).

وبذلك يُعاد تعريف المنهج التجريبي في الأبستمولوجيا القرآنية، فهو ليس نشاطاً دنيوياً معزولاً عن الدين، بل هو عبادة استخلافية، وركيزة للتوحيد العملي، وفريضة جهادية تقيم العدل في الأرض وتكسر شوكة التبعية والاستكبار^(٦).

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. «من نحن ومن هم». صعدة: مكتبة بدر، ص ٣-٤.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. «يوم القدس العالمي». صعدة: مكتبة بدر، ص ١٩.

(٣) نفس المرجع، ونفس الصفحة.

(٤) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس)، ص ١١.

(٥) البيهقي، أحمد بن الحسين. ٢٠٠٣. شعب الإيمان. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الرشد، المجلد ٤، ص ٣٣٤-٣٣٦؛ وانظر: بن عاشور، محمد الطاهر. ٢٠٠٥. التحرير والتنوير. المجلد ١٤، ص ٢١٢-٢١٥.

(٦) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس مديح القرآن (الدرس الأول)، ص ١٧.

المبحث الثاني النقد السوسيولوجي وتفكيك إرث التبعية وعقدة العجز الجمعي

أولاً: تشخيص الاستلاب النفسي وأزمة الاغتراب الأكاديمي

لا يتحقق استقرار الهيمنة الاستعمارية عبر التفوق العسكري وأدوات القهر المادي وحدها، بل يتركز في مداه الإستراتيجي الأبعد على إحداث شلل إدراكي في وعي الشعوب الخاضعة، ودفعها لتبني منظومة المركزية الغربية كمعيار وحيد وأوحد للحضارة والتقدم. وفي مصطلحات علم الاجتماع النقدي، يُعرّف هذا التراجع بأنه انتقال من «الاستعمار المباشر» إلى «الاستعمار المعرفي والإمبريالية الثقافية»، حيث تتولى النخب المحلية المستلبة إعادة إنتاج شروط التبعية طوعية بعد أن فُصمت عرى صلتها بهويتها الحضارية، واستقرت في أعماقها قناعة راسخة باستحالة النهوض الذاتي إلا عبر الذوبان الكامل في النموذج الغربي ومحاكاته شكلياً^(١).

تتبدى أولى مظاهر هذا الاستلاب في الظاهرة التي شَخَّصها السيد حسين بدر الدين الحوئي -رضوان الله عليه- في ملزمة من نحن ومن هم؟، والمعنية بالخلل الهيكلي في سياسات الابتعاث الأكاديمي غير المحصن. فعندما تُرسل الطلاب إلى الجامعات الغربية دون بناء عقائدي ورؤية معرفية تجعلهم يدركون «من نحن ومن هم» يحدث تصدع وجداني وقيمي لدى الطالب بمجرد اصطدامه ببريق المدنية والتفوق المادي للغرب.

إن غياب التحصين بالهوية الإيمانية يُحوّل ما يُفترض أن يكون رحلة لاكتساب الخبرة وتوطين التقنية إلى مسار للاستلاب والانبهار الساذج، فيستبطن الطالب دونية ذاته ودونية أمتة، ويربط بين التقدم العلمي والانحلال عن الثوابت الدينية، ليعود إلى بلده وهو مشبع بروح الاستعلاء الطبقي والازدراء لتاريخ مجتمعه وموروثه وثقافته^(٢).

لا تقتصر أزمة الاغتراب الأكاديمي على أبعادها الفكرية المجردة، بل تتغذى من واقع سوسيولوجي مأزوم تنتجه المنظومة البيروقراطية الفاسدة في الدول التابعة. فبدلاً من

(١) الندوي، أبو الحسن علي الحسني. ٢٠١٨. كشف حقيقة صارخة: أمريكا وأوروبا وإسرائيل. إسطنبول: دار الأضالة، ص ١٣-١٨. وانظر حول أبعاد التبعية والاستعمار المعرفي: الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوئي الدلالات والأبعاد». مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ٢: ص ٣٢٠-٣٢٥.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠١٠. دروس من هدي القرآن الكريم: من نحن ومن هم؟ صعدة: مكتبة بدر، ص ٣.

أن يحظى المبتعث بالرعاية الرسمية والاحتضان الوطني، يواجه صنوفاً من الإهمال والمماطلة؛ وتبرز معاناة الطلاب في المهجر من تأخر مخصصاتهم المالية الضئيلة، واختلاس مستحققاتهم من قبل شبكات الفساد في السفارات والملحقيات الثقافية^(١).

هذا التخلي المؤسسي يولد في نفس الطالب شخراً وجدانياً عميقاً ونقمة عارمة تجاه دولته ومجتمعه، الأمر الذي ينعكس مباشرة على سلوكه الوظيفي والأخلاقي عقب عودته، حيث يتحول إلى نمط وظيفي أناني لا يرى في المؤسسة العامة أو المنشأة الصناعية سوى أداة للتكسب الفردي والمصلحة الضيقة، متجرباً من أي حس رسالي أو دافع وطني لتوظيف خبراته في خدمة شعبه والنهوض بواقعه المستضعف^(٢). وتتلاقى هذه الأزمة الذاتية مع إستراتيجية استعمارية مقصودة تديرها القوى الغربية تحت عنوان «الاحتواء المعرفي والحظر التكنولوجي»، مستهدفة بقاء العالم الإسلامي محكوماً بـ «التبعية الدائمة» ومجرداً من السيادة التصنيعية. فالجامعات والمؤسسات البحثية الغربية لا تتيح للمبتعثين إلا ما وصفه السيد حسين الحوئي بـ فضلات المعرفة، وهي قشور العلوم التجريدية والتخصصات النظرية التي تصنع فنيي تشغيل ووكلاء صيانة للمنتجات الغربية والمكائن المستوردة، بينما يُحجب حظراً صارماً كل ما يتصل بأسرار التصنيع الثقيل، أو الهندسة العكسية، أو مفاتيح التكنولوجيا السيادية، والهدف النهائي هو تأييد تحويل مجتمعاتنا إلى «أسواق استهلاكية» مفتوحة تمتص الفوائض الإنتاجية للشركات الرأسمالية العابرة للقارات وتُفرغ ثرواتها القومية^(٣).

ثانياً: الجذور التاريخية للانحراف المعرفي وتكبييل العقل الإسلامي

يمتد التحليل السوسيولوجي النقدي ليتجاوز التمظهرات المعاصرة للاستلاب وصولاً إلى تفكيك «العطب البنيوي» في الوعي التاريخي للأمة؛ حيث تشكلت عبر القرون المتأخرة بنية ثقافية مُعطلة للطاقة الإنتاجية نتيجة تحييد المنهج القرآني في «التفكير الحركي». لقد أصيب العقل الجمعي بما يسميه علم اجتماع المعرفة بـ «الكسل الإدراكي»، حين انحرفت النخب الفكرية بآيات التدبر الكوني والسنن المادية المسخرة، وحبسها داخل أسوار السجال المذهبي والمباحكات الكلامية العقيمة. وبدلاً من أن

(١) المرجع نفسه، ص ٣ - ٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس من هدي القرآن الكريم: دروس رمضان (الدرس السادس). صعدة: مكتبة بدر، ص ٨-٩. وكذا الندوي، أبو الحسن علي الحسني. ٢٠٢٠. حديث مع الغرب. القاهرة: دار الصحوة، ص ٣٦-٣٧.

تكون دراسة الظواهر الطبيعية وسيلة لتعميق الإدراك الوظيفي بالخالق وبناء القدرة المادية للأمة، اختُزلت في قوالب منطقية سكونية باردة تكتفي بالبرهنة الذهنية المجردة على وجود الصانع (كجدليات المُحدَث والمُحدَث)، وهي قضايا فطرية مستقرة لا تحتاج لإثباتها هذا التجريد الفلسفي المستهلك^(١).

وقد توازى مع هذا التكلس المعرفي اغتراب مؤسسي في إدارة الموارد المجتمعية؛ إذ وُجّهت الفوائض المالية الضخمة كالأوقاف والجبايات لتمويل الترف الفقهي في قضايا جزئية فرعية قُتلت بحثاً واستنسخت آلاف الصفحات دون طائل واقعي، في الوقت الذي كانت فيه المجتمعات الغربية تخوض مخاض نهضتها الكبرى وتؤسس للقواعد المادية والتعدينية التي انقضت بها لاحقاً على ديار المسلمين واحتلت حواضرهم التاريخية^(٢).

ثالثاً: سياسة الإبادة المعرفية واستنزاف العقول (العراق نموذجاً)

تتجلى خطورة الارتهان الاستعماري حين يُجاب به أي مسعى تحرري لبناء قاعدة معرفية مستقلة باستراتيجية الإبادة والاستئصال المنهجي للرأسمال البشري الوطني، إذ تكشف قراءة التحولات الجيوسياسية أن تفكيك الدول المستضعفة لا يستهدف بنيتها السياسية فحسب، بل يرمي بالأساس إلى تجريف «الكتلة المعرفية الحرجة» الحاملة لمشروع التوطين التقني. ويُعد النموذج العراقي شاهداً عياناً على هذه العقيدة الإمبريالية؛ حيث ركزت أعمال الغزو والاحتلال على تفكيك المنظومة العلمية، وملاحقة وتصفية الكفاءات التخصصية في الفيزياء والرياضيات والتصنيع لضمان تعقيم المنطقة من أي نواة ابتكارية سيادية، متكاملاً ذلك مع آليات الاستقطاب الناعم وتفريغ الأوطان من نوابغها لتوظيفهم في خدمة مراكز البحوث الرأسمالية وتأييد فجوة العجز التنموي^(٣).

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. دروس من هدي القرآن الكريم: معرفة الله (الدرس الثاني)، صعدة: مكتبة بدر، ص ١١-١٢.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس من هدي القرآن الكريم: دروس رمضان (الدرس السادس)، صعدة: مكتبة بدر، ص ٩-١٠.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس)، ص ٨-٩.

رابعاً: التجربة اليابانية كشاهد سوسيولوجي على النهوض ومقارنتها بواقع المسلمين

تحرص السرديات المركزية الغربية على ترويح وهم الحتمية الحضارية، القائل بأن التخلف في بلدان الشرق والعالم الإسلامي قدر مرتبط بطبيعة شعوبه أو جغرافيتها أو ثقافتها، غير أن منهج النقد القرآني يعمد إلى تفكيك هذه المسلمات الزائفة عبر استحضار النماذج التاريخية الحية للشعوب غير الغربية التي تعرضت لأبشع صور القهر العسكري، لكنها استطاعت تجاوز عقدة العجز بالاعتماد على تماسك هويتها وإرادتها الذاتية، ويأتي النموذج الياباني هنا ليقدم درساً سوسيولوجياً بالغ الدلالة يفضح هشاشة الأعذار التي تسوقها النخب والأنظمة الحاكمة في العالم العربي لتبرير التراجع والتبعية^(١).

خرجت اليابان من الحرب العالمية الثانية دولة مسحوقة تماماً: مدينتان مُحيتا بالسلح النووي هيروشيما وناجازاكي، وجيش إمبراطوري جُرد من سلاحه، وسيادة مقيدة باتفاقيات إذعان دولية^(٢). غير أن الهزيمة العسكرية لم تؤدَّ إلى تفسخ النسيج القومي أو استلاب الهوية الثقافية، إذ تحركت القيادة والمجتمع بروحية التحدي، وأدركوا بوعي إستراتيجي عميق أن معادلة الصراع قد تحولت بالكامل من الميدان العسكري المغلق إلى الميدان الاقتصادي والمعرفي المفتوح، فبدلاً من الاستسلام لليأس، عملت اليابان من الداخل على خوض غمار الصراع الشامل، لتصعد كقوة صناعية عملاقة تقهر أعداءها في أسواقهم الخاصة بأدوات التكنولوجيا والتجارة ورأس المال^(٣).

يظهر التباين الصارخ بين النموذجين الياباني والعربي في فلسفة إرسال البعثات الدراسية، فالطالب الياباني لم يكن يُرسل إلى الجامعات الغربية مستلباً خاوي الوفاض، بل كان يُشحن بجرعات مكثفة من الاعتزاز القومي والوعي بمسؤوليته الوجودية تجاه وطنه المدمر. كان المبعث الياباني يدخل عواصم الدول التي قصفت بلاده وهو يدرك أنه في مهمة وطنية وتاريخية لاستخلاص أسرار التكنولوجيا واكتساب العلوم الدقيقة للعودة بها وإعادة إعمار دولته، وترافقت مع هذه الروح العالية رعاية حكومية فائقة ومتابعة وتأمين كامل لاحتياجاته، مما جعل خريجي تلك البعثات الكتلة الصلبة التي قادت مسيرة التصنيع في المجمعات العملاقة كمييتسويشي وغيرها، في مفارقة حادة

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. من نحن ومن هم؟، ص ٣-٤.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس)، ص ٩.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. من نحن ومن هم؟، ص ٤.

مع الطالب المستلب الذي يعود بازدرأ أعمى لمجتمعه^(١).

تجلت تلك الإرادة السوسيولوجية في فلسفة العمل والإنتاج لدى الإنسان الياباني وكذلك الألماني عقب الحرب العالمية الثانية، حيث شاعت ثقافة مقدسة تعتبر العمل الميداني والإنتاج الصناعي مسألة شرف ووجود، ويبرز شاهداً على ذلك رفض العمال والنقابات في تلك المرحلة لقرارات تقليص ساعات العمل، ومطالبتهم بمضاعفتها لإيمانهم بأن الخروج من تحت ركام الاحتلال يتطلب استنفاراً شاملاً ونفياً مطلقاً لثقافة التراخي والكسل. وهنا تتجلى المفارقة المؤلمة مع واقع المجتمعات العربية المعاصرة، حيث تسود ثقافة استمرار البطالة المقنعة والاحتفاء بإقرار أيام العطل والإجازات الرسمية، رغم أن هذه المجتمعات تزرع في ذيل القوائم التنموية وتعاني من عجز غذائي وتقني فاضح^(٢).

يُسقط النموذج الياباني خرافة الفقر الطبيعي والجغرافي كذريعة للتخلف، فالأرخبيل الياباني يتشكل من جزر جبلية بركانية شديدة الضيق، تفتقر كلياً للمصادر الإستراتيجية كالنفط والمعادن، فضلاً عن محدودية الأراضي الصالحة للزراعة. ومع ذلك، فجزر التحدي البيئي طاقات الابتكار المجتمعي، فابتكر اليابانيون حلولاً استثنائية لتعويض شح المساحة، كبناء مزارع عائمة على ظهر قوارب خشبية ملأوها بالتراب في عرض البحر، واستثمار شرفات المنازل وأسطح المباني لزراعة المحاصيل الضرورية كالطماطم والبطاطس والباميا لتحقيق الاكتفاء الذاتي الأسري^(٣).

وفي المقابل، يرقد العالم الإسلامي، وبخاصة اليمن والدول العربية، على مئات الملايين من الهكتارات الزراعية الخصبة، وتتوفر لديه الموارد المائية، والمناخات المتنوعة، والثروات النفطية والمعدنية المهيولة التي تؤهله لتصدر النظام الاقتصادي العالمي^(٤). ومع ذلك، أفرز الفساد والارتهاق السياسي واقعاً شاذاً، حيث غدت وزارات الزراعة في المنظومة العربية أحط الوزارات وأقلها أداءً وميزانية، وتحولت دول حباها الله بأخصب الأراضي كاليمن إلى مجتمعات متسولة تستورد غذاءها الأساسي من قمح وعدس وفاصوليا من أستراليا والصين^(٥).

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس)، ص ٩. وكذا الحوثي، حسين بدر الدين.

٢٠٠١. من نحن ومن هم؟، ص ٤.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. من نحن ومن هم؟، ص ٤.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس السادس)، ص ٩.

(٥) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. دروس من هدي القرآن الكريم: يوم القدس العالمي. صعدة: مكتبة بدر، ص ١٩.

إن هذا الارتهان الكامل للغرب في الغذاء والكساء والسلاح جعل الأمة عاجزة عن الصمود في أي مواجهة سيادية لأكثر من أسبوع واحد حال اتخاذ قرار أمريكي بقطع الإمدادات، وهو ما يبرهن بصورة قاطعة على أن العائق ليس فقر الجغرافيا ولا قلة الموارد، بل هو الانهيار النفسي، وافتقاد الإرادة السياسية، والتكر لهدى القرآن الذي جعل الاستقلال الاقتصادي فريضة ترقى إلى مستوى الواجب الإيماني في صراع البقاء^(١).

خامساً: التوكل القرآني كطاقة محفزة للمبادأة والابتكار الميداني.

يحدث الخطاب القرآني انقلاباً أبستمولوجياً وسيكولوجياً جذرياً يقتلع من النفوس صنمية القوة المادية التي وظفتها الحضارة الغربية لاستلاب إرادة المستضعفين وبث العجز في قلوبهم، وتتأسس الرؤية القرآنية على مبدأ «التسخير الكوني الشامل»: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [الجن: ١٣]، وهي قاعدة تؤكد أن أسرار الطبيعة وقوانينها الفيزيائية والمادية ليست ملكاً للغرب، بل هي سنن مودعة في هذا الوجود ومتاحة لكل من يتعاطى معها تفكيراً واكتشافاً^(٢).

وعليه، فإن التفوق الغربي ليس حتمية أبدية، بل هو ثمرة استثمار قوانين التسخير في وقت عطلت فيه الأمة وظيفتها الكونية.

يحدث المنظور القرآني، كما يؤصله الشهيد القائد، انقلاباً جذرياً في سيكولوجيا الإنسان المستضعف، إذ ينزع من أعماقه «صنمية القوة المادية» للغرب عبر إعادة ضبط مفهوم «التسخير الكوني». فالقوانين الفيزيائية ليست امتيازاً عرقياً أو تاريخياً للمركزية الغربية، بل هي سنن مودعة في صلب التكوين الوجودي، متاحة لمن يستفرغ جهده في استقراءها واكتشافها. ومن هذا المنطلق، يتحرر مفهوم «التوكل» من آفة التواكل السلبي والانكفاء المسجدي، ليغدو دافعاً سيكولوجياً فاعلاً يلزم الباحث بالاشتباك المباشر مع المادة واقتحام المجهول المختبري بيقين الاستخلاف^(٣). مما يُبدل محركات البحث العلمي من الفضول الاستهلاكي إلى المسؤولية الإيمانية الحضارية^(٤).

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. يوم القدس العالمي، ص ١٩. وكذا الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. مرجع سابق، ص ٣٢٥-٣٣٠.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. معرفة الله (الدرس الثاني)، ص ١١. وكذا الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. سورة آل عمران (الدرس الأول)، ص ٧.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. سورة آل عمران (الدرس الأول)، ص ٧-٩. وكذا الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. معرفة الله (الدرس الثاني)، ص ١٢-١٣.

(٤) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. معرفة الله (الدرس الثاني)، ص ١٢-١٣.

تتجلى هذه الأهلية السوسولوجية في نداء الاستخلاف التأسيسي لآدم عليه السلام، حيث شكّل تعليمه «الأسماء كلها» تفويضاً تكوينياً للإحاطة بطبائع العالم المحسوس وعناصره المادية ومعادنه لإدارتها وعمارتها، في تمايز نوعي عن طبيعة العبادة التنزيهية السكونية التي تؤديها الملائكة^(١).

ولهذا قرن التنزيل الحكيم بين الكتاب كمرجعية قيمية تشريعية، والحديد كأداة ردع وتمكين مادي في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]^(٢).

مؤكد أن قيم العدالة تستحيل أمنيات معطلة إن لم تسندها منعة تصنيعية تحمي المستضعفين من عسف القوى التي وظفت تطويع المادة والمعادن والاتصالات لفرض هيمنتها وإذلال الشعوب، فالقوى الإمبريالية تستخدم عناصر الطبيعة لقهر الشعوب المستضعفة حتى داخل مساجدها ومدارسها، فإذا عطلت أمة القرآن استنطاق علوم الطبيعة وتشغيل الحديد، استخدمه أعداؤها لإذلالها، مما يجعل التقاعس عن علوم التصنيع العسكري والتطبيقي خيانة لروح الرسالة ومخالفة لأمر الله الصارم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

تقرر النظرية المعرفية للشهيد القائد أن النضوج العلمي الجمعي لا يتأتى من الاستغراق في التجريد الأكاديمي داخل الفضاءات المعزولة، بل يتولد ديناميكياً من رحم الاحتكاك العملي وتحمل المسؤوليات الميدانية الكبرى^(٣). فالأهم تبتكر حلولها الهندسية والتطبيقية تحت وطأة التحديات والضغوط الوجودية. والشاهد التاريخي أن القفزات التقنية في ارياد الفضاء لم تنشأ ترفاً فكرياً، بل أملتتها متطلبات التدافع والصراع الدولي أثناء الحرب الباردة بحثاً عن منصات إستراتيجية للتفوق الصاروخي^(٤). وبالمثل، فإن المجتمعات المؤمنة عندما تتحرك بدافع المسؤولية ومواجهة الاستكبار، تتسع حاجاتها وتضطّر تحت وطأة الحصار والضغوط إلى اجترار الحلول التقنية المبتكرة، وتطويع البدائل المتاحة كالطاقة الشمسية والألياف الضوئية، فتتحول ميادين المواجهة

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس من هدي القرآن الكريم: دروس رمضان (الدرس الثالث). صعدة: مكتبة بدر، ص ١٩-٢٠.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس الثالث)، ص ٢١.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس من هدي القرآن الكريم: دروس رمضان (الدرس التاسع). صعدة: مكتبة بدر، ص ١١.

(٤) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس رمضان (الدرس الثالث)، ص ٢٢، وكذا دروس رمضان (الدرس التاسع)، ص ١١.

والحصار إلى مختبرات مفتوحة لبناء الكفاءات وتوليد العلوم السيادية الأصيلة^(١).

وفوق ذلك، يؤسس هذا النسق لـ «مناعة أخلاقية» تعصم المعرفة من التوحش؛ فالتقنية المتجردة من هدى الله ومراقبته سرعان ما تستحيل أداة لنهب الموارد، وتخريب البيئة بالنفايات والسموم، وتصنيع ترسانات الإبادة الربوية^(٢)، مكررة المآل المأساوي لحضارات بائدة ملكت معارف تسخيرية متقدمة في البناء وهندسة المكان كبناء الأهرامات، وتسخير الرياح لسليمان، ونقل عرش بلقيس في طرفة عين عبر علم الكتاب، لكنها انحدرت نحو الاندثار والشعوذة والسحرحين تخلت عن الغايات الرسالية وتنكرت لمقتضيات الاستخلاف الرشيد^(٣).

إن الباحث والمهندس المسلم الذي ينطلق من أرضية التقوى والتوكل لا يملكه الغرور المعرفي، بل يستشعر في كل معادلة يحلها أو جهاز يصنعه شواهد جديدة على عظمة الخالق وحكمته، ويلمس في مسار ابتكاراته توفيقاً إلهياً ويداً غيبية تسدده وتفتح أمامه مغاليق القوانين المادية^(٤). وبذلك تتكامل الفاعلية العقلية والميدانية مع الاستمداد من فيض الهداية الربانية لإقامة نموذج حضاري مستقل^(٥).

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس من هدي القرآن الكريم: دروس رمضان (الدرس السابع)، ص ٣-٤، وكذا دروس رمضان (الدرس الخامس)، ص ٢٥.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. معرفة الله (الدرس الثاني)، ص ١٣-١٤.

(٣) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٣. دروس من هدي القرآن الكريم: دروس رمضان (الدرس الخامس)، صعدة: مكتبة بدر، ص ٢٣-٢٦.

(٤) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. معرفة الله (الدرس الثاني)، ص ٥.

(٥) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠٢. معرفة الله (الدرس الثاني)، ص ١٣، ومديح القرآن (الدرس الثالث)، ص ٢.

المبحث الثالث

حوكمة البحث التجريبي ومثلث التكامل المعرفي والتنموي

أولاً: نموذج المثلث التكاملي القرآني وتجسير الفجوة المؤسسية

تُمثل قضية المعرفة العلمية والتطبيق التجريبي في العالم الإسلامي المعاصر إحدى أكثر القضايا إلحاحاً وإشكالية في آن واحد؛ إذ تقف الأمة اليوم على مفترق طرق حاسم بين التبعية الهيكلية المستدامة للمنظومة الاستكبارية الغربية، أو الانعتاق الحضاري الشامل القائم على امتلاك أدوات القوة والإنتاج المادي المستند إلى مرجعية الوحي الإلهي، لقد أفضت عقود من التغريب وسياسات الاستعمار الجديد إلى حصر المجتمعات العربية والإسلامية في خانة المستهلك عاجز لتقنيات الآخرين، واستنزاف مواردها وثرواتها الطبيعية لصالح مراكز الرأسمالية العالمية، في ظل غياب استراتيجيات وطنية فاعلة تربط بين المعرفة النظرية والواقع الميداني^(١).

يُعدّ التفكك المؤسسي السمة الغالبة على المشهد التنموي في بلدان العالم الإسلامي، حيث تعمل الجامعات ومراكز الأبحاث في جزر معزولة تماماً عن احتياجات القطاعات الإنتاجية والتصنيعية، بينما تنفصل السياسات الحكومية وقرارات السيادة عن توجيه هذين القطاعين نحو غايات التحرر من الهيمنة الأجنبية. إن معالجة هذه المعضلة الهيكلية تتطلب تشخيصاً تاريخياً عميقاً للمفاهيم المعرفية التي عطلت العقل الإسلامي، وبناء نسق إداري وحوكمي يربط النظرية بالتطبيق العملي وفق سنن الله في الخلق والاستخلاف.

يقدم التشخيص الإداري للمنظومة التنموية في المجتمعات الإسلامية تفسيراً جوهرياً لغياب الاستقلال الصناعي والتكنولوجي، إذ تكرر الفصام الهيكلي بين مخرجات الفكر واحتياجات الواقع حين تحول «التفكر» من موجه للتدبير التقني والمادي إلى ترف سجالي عقيم، وقد انتقد الشهيد القائد هذا الانحراف، الذي أصاب الفكر الإسلامي عبر قرونه المتأخرة، وقد أصاب هذا الانحراف الأبستمولوجياً، مفهوم التفكير الكوني بالجمود،

(١) الخولي، محمد عبد العزيز. ٢٠٠٠. الإسلام وبناء الحضارة الإنسانية. القاهرة: دار الفكر العربي، ص ٧٦-٧٩. وكذا: الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي: الدلالات والأبعاد»، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية ١، عدد ٢: ٣١٢-٣٢٠.

إذ اختزلت التيارات الكلامية آيات التفكير والنظر في الكون داخل أطر استدلالية عقلية ضيقة غايتها الوحيدة إصدار حكم منطقي بإثبات وجود الصانع وقدرته (كالقاعدة الكلامية: «لكل حادث محدث»)، مما أدى إلى تعطيل المقصد القرآني التنموي القائم على سبر أغوار السنن الفيزيائية، وتفاعل العناصر، واستثمار خصائص الطبيعة في عمارة الحياة^(١).

وقد انتقد الشهيد القائد -رضوان الله عليه- هذا المسار التجريدي بصرامة، مبيناً أن إثبات وجود الخالق قضية فطرية مستقرة تكفي للدلالة عليها شجرة واحدة أو كائن حي واحد، ولم تكن الأمة بحاجة إلى آلاف المجلدات الكلامية والجدل المذهبي الذي شتت طاقتها الذهنية عن ميادين العمل والإنتاج، في حين أن مئات الآيات القرآنية التي تدعو للتفكير في السماوات والأرض والبحار والمعادن إنما أنزلت لتكون قوة دفع مؤسسية ومحفزاً عملياً يدفع نحو التجريب المعلمي والميداني، ليتعرف الإنسان من خلال الاكتشاف والتصنيع على سعة علم الله ولطفه من جهة، ويمتلك أسباب القوة والتمكين من جهة أخرى^(٢).

إن هذا الانفصال المعرفي عطل الوظيفة التنموية للاستخلاف البشري، فالقرآن الكريم حين أعلن استخلاف آدم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، قابله الملائكة بالتساؤل القائم على حصر العبادة في التسبيح القولي والتنزيه المجرد: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فجاء البيان الإلهي الحاسم لماهية الأهلية الاستخلافية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وهو تعليم نوعي لا يقتصر على الرموز اللفظية، بل يمنح الإنسان الإحاطة بخصائص ومسميات ووظائف مفردات العالم المادي من معادن، وتربة، ومياه، ونبات، وطاقات كامنة؛ لتمكينه من إدارتها واستثمارها في البناء الحضاري^(٣).

ومن هنا يتضح القصور الفادح في الرؤى التي اختزلت التدين في الانقطاع الشعائري الساكن، متناسية أن التسبيح التجريدي تؤديه ملائكة السماء على نحو دائم لا يفتر: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ولو كان هذا وحده المطلوب من

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، المقطع الثاني، ص ١١-١٣.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، المقطع الثاني، ص ١٣-١٤ وكذا محاضرة «دروس مديح القرآن - الدرس الأول»، المقطع الأول، ص ١١-١٢.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس رمضان - الدرس الثالث»، المقطع الأول، ص ١٩-٢٠. ومحاضرة «دروس مديح القرآن - الدرس الثالث»، ص ٢.

الإنسان لما سُخرت له الأرض بمكنوناتها. إن العبادة الإنسانية في المنظور القرآني عبادة حضارية مركبة تقتضي الغوص في قوانين الخلق، وتطويع المعادن، وتسخير الطاقات لتشييد مجتمع القوة والعدل^(١). ولتجاوز حالة التفكك المؤسسي والارتهان التنموي، يبلور المنظور القرآني إطاراً هيكلياً ناظماً لعلاقة المعرفة بالسلطة والمجتمع، يتجسد في نموذج المثلث التكاملي القرآني. ويقوم هذا النموذج على المزاجية الوظيفية والربط البنيوي غير القابل للانفصال بين ثلاثة أضلاع استراتيجية^(٢):

١. الضلع المعرفي والبحثي، المتمثل في الجامعات، وكليات العلوم والهندسة والزراعة، ومراكز البحوث والتطوير التكنولوجي.
٢. الضلع الإنتاجي والتطبيقي، المتمثل في المجمعات الصناعية، والورش الميكانيكية، والمزارع، والمناجم، وشبكات البنية التحتية.
٣. الضلع السيادي والقيادي، المتمثل في القيادة السياسية ومراكز القرار الدفاعي والأمني الملزمة بتحقيق الاستقلال ونفي التبعية.

يستمد هذا المثلث شرعيته ومنهجيته من القانون القرآني العظيم في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] إن اقتران «الكتاب» المنهج القيمي والرؤية السيادية و«الميزان» الحوكمة والعدالة التشريعية، بإنزال «الحديد» في نص تنزيلي واحد، يؤصل لحقيقة استراتيجية بالغة الأهمية: وهي أن الحق والعدالة والقيم الأخلاقية تظل مجرد أمنيات معطلة في الواقع البشري ما لم تستند إلى قوة مادية وتكنولوجية وصناعية رادعة تحمي المستضعفين وتلجم قوى البغي والاستكبار^(٣).

لقد أثبت الواقع المعاصر دقة هذا التأصيل القرآني، فالقوى الاستكبارية لم تفرض هيمنتها الفكرية ومناهجها المنحرفة على عقردار المسلمين بقوة أفكارها، بل عبر التمكين الصناعي لعنصر «الحديد» والمشتقات التعدينية والمادية التي صاغت منها الطائرات، والبارجات، والصواريخ، وأنظمة الاتصال الحديثة. وفي المقابل، أدى إهمال المسلمين لعلوم التعدين والصناعات الثقيلة واكتفائهم بالسجل الفقهي التجريدي المكرر إلى

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠١٠. محاضرة «دروس رمضان - الدرس الثالث»، المقطع الأول، ص ٢٠.

(٢) المجلس القومي للتخطيط الاستراتيجي. ٢٠١٢. التقرير الاستراتيجي للقطاعات التنموية والصناعية.

الخرطوم: الأمانة العامة، ص ١٤-٢٥.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس رمضان - الدرس الثالث»، المقطع الثاني، ص ٢٠-٢١.

إضعاف شوكة الحق في واقع الصراع، مما يجعل بناء القاعدة التكنولوجية والتحكم في السبائك والصناعات التحويلية فريضة رسالية وضرورة حتمية لإقامة الكتاب والميزان وصون سيادة الأمة^(١).

ثانياً؛ حوكمة الأبحاث التعاقدية الميدانية وإعادة هندسة الموارد الشرعية

تقتضي الترجمة الإجرائية لنموذج المثلث التكاملي إحداث تحول جذري في حوكمة وسياسات إدارة الأبحاث في الجامعات الوطنية، وذلك بإلغاء النمط الأكاديمي التقليدي القائم على استيراد عناوين أطروحات نظرية مجردة لا تخدم الواقع، واستبداله بنظام الأبحاث التعاقدية الموجهة والميدانية. وبموجب هذه الحوكمة، تخضع رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه لدفتر شروط تنموي وصناعي ملزم يربط موضوع البحث بمعالجة معضلة تصنيعية قائمة، أو ابتكار بديل محلي لمدخلات إنتاج مستوردة، أو تطوير منظومة ميكانيكية أو زراعية تسهم في كسر طوق الحصار الاقتصادي^(٢).

ويتطلب هذا المسار الحوكمي تفكيك الأبراج العاجية للمؤسسات الأكاديمية بنقل المختبرات وكراسي الأبحاث إلى قلب المصانع، والمزارع الكبرى، وحقول التعدين، ليتعلم الباحث الممارسة العملية من خلال الاحتكاك المباشر بالمادة والتحديات التشغيلية، انطلاقاً من المنهجية القرآنية القائلة بأن المعرفة الحقيقية تتسع وتتطور بازدياد رقعة المهام والمسؤوليات الواقعية للدولة^(٣).

ومن جهة ثانية، يفرض هذا النموذج إعادة هيكلة شاملة لسياسات التأهيل العلمي والابتعاث الخارجي، إذ حذر الفكر القرآني من مغبة إفاد الطلاب إلى الجامعات الغربية دون تحصين ثقافي وعقائدي، ومع معاناتهم من الإهمال والفساد المالي للملحقيات والسفارات، مما ينتج نخباً تابعة تعود بانبهار مطلق بالحضارة الغربية وازدراء لبيتها ومجتمعها، فتتحول المعرفة المكتسبة إلى وسيلة للمصالح الأنانية الفردية أو الترويج لمنتجات الشركات الاحتكارية^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ٢١.

(٢) المجلس القومي للتخطيط الاستراتيجي. ٢٠١٢. التقرير الاستراتيجي للقطاعات التنموية والصناعية. مرجع سابق، ص ٢٦-٤٨. وانظر: الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس مديح القرآن - الدرس الأول»، المقطع الثاني، ص ١٧.

(٣) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس رمضان - الدرس الثالث»، المقطع الثالث، ص ٢٢. ومحاضرة «دروس رمضان - الدرس التاسع»، ص ١١.

(٤) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس من هدي القرآن الكريم: من نحن ومن هم»، ص ٣.

وفي هذا السياق، تستحضر الدراسة التجربة اليابانية كنموذج استراتيجي ملهم في إدارة المعرفة، حيث حرصت اليابان عقب دمار الحرب العالمية الثانية على إرسال نوابغها إلى معازل خصومهم بوعي قومي صارم ورعاية حكومية فائقة، فاستوعبوا أسرار التقنية الصناعية دون التفريط في هويتهم، وعادوا ليبنوا نهضتهم حتى نافسوا من قهرهم في الأسواق الدولية^(١).

وتضع هذه الحوكمة أصابع الاتهام على التقصير التاريخي والمسؤولية المالية التي وقعت فيها النخب الحاكمة والمرجعيات الدينية في التاريخ الإسلامي، إذ تجمعت لدى الأمة موارد مالية هائلة من أوقاف، وأخماس، وجبايات عامة كانت كفيلة ببناء نهضة صناعية عظمى، غير أن معظمها بُدِد في تمويل الحلقات التجريدية واستنساخ الخلافات الفقهية الفرعية الجزئية، وأهمل تأسيس المعاهد التقنية ومراكز الأبحاث المتقدمة التي ترصد الثورة الصناعية وتواكب تطورات المعادن والصناعات الحربية. والنتيجة التاريخية الحتمية كانت استيقاظ الأمة على احتلال أراضيها ومقدساتها بآليات صنعها الأعداء، مما يؤكد أن إعادة هندسة الموارد المالية وتوجيه الأوقاف نحو البحث العلمي التجريبي يمثل استدراكاً تاريخياً وواجباً شرعياً ملحاً^(٢).

ثالثاً: الأولويات البحثية التطبيقية في مجالي السيادة الغذائية والاستقلال الدوائي

تُمثِّل الهيمنة على مقومات البقاء البيولوجي للإنسان، وفي مقدمتها رغيف الخبز وجرعة الدواء، أخطر أشكال الاستعمار الحديث وأكثرها فتكاً بالمجتمعات المستضعفة؛ إذ أدركت الدوائر الاستكبارية العالمية أن السيطرة على العقول والقرارات السيادية تبدأ من التحكم بالأمعاء والأجساد. وفي مقابل نظريات الأمن الغذائي والدوائي التقليدية التي تسوّقها المنظمات الدولية، والتي تختزل القضية في مجرد وفرة السلع في الأسواق حتى لو كانت مستوردة وممولة بالقروض والتبعية، يؤسس المنظور القرآني لمفهوم ثوري هو السيادة الحيوية المستقلة، التي تنطلق من حتمية إنتاج الأمة لغذائها ودوائها بأيدي أبنائها، ومن موارد أرضها، لضمان حرية قرارها السياسي وفاعلية موقفها الميداني^(٣).

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «من نحن ومن هم»، ص ٣-٤.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس رمضان - الدرس السادس»، المقطع الثالث، ص ٩-١١.

(٣) الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين

الحوثي (الدلالات والأبعاد)». مرجع سابق، ص ٣٢١-٣٢٥. وانظر: الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١.

محاضرة «تكملة لقاء المعلمين»، ص ١٤.

إن أي قراءة فاحصة لمعادلات الصراع الدولي تكشف أن الغذاء والدواء لم يعودا مجرد سلع تجارية تخضع لآليات السوق والعرض والطلب، بل تحولاً إلى أسلحة دمار واستسلام صامتة، فسلح التجويع وفرض الحصار الدوائي يمارسان اليوم لتركييع الشعوب، وفرض الإملاءات المذلة، وتجريد حركات التحرر من القدرة على الممانعة، ومن هنا، يكتسب توجيه حوكمة البحث العلمي والتجريبي نحو هذين القطاعين صبغة رسالية مصيرية، إذ لا يمكن الحديث عن قيام بالقسط، ولا عن نفي للسبيل، ما دامت الأمة تمد يدها لخصومها التاريخيين لتأمين دوائها وقوت يومها.

تنطلق الرؤية الاستراتيجية للشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوث -رضوان الله عليه- من تشخيص عسكري وسياسي صريح لطبيعة الصراع الوجودي مع قوى الهيمنة، حيث يقرر قاعدة جوهرية في أدبيات السيادة مفادها «أن المعركة المعاصرة قد تحولت جذرياً من مجرد صدام عسكري تقليدي محصور في خطوط التماس إلى صراع حضاري شامل، تتصدر فيه القدرة على الصمود المعيشي والاكتفاء الذاتي الميدان الأبرز للمواجهة».

ووضع الشهيد القائد، الواقع العربي أمام اختبار عملي قاس، متسائلاً عما إذا كان بلد كاليمن، وهو نموذج للشعوب التي ترفع رايات العداء للعدو الصهيوني وحلفائه، يستطيع أن يصمد أسبوعاً واحداً في مواجهة عسكرية حقيقية ومفصلية؟ وتأتي الإجابة القاطعة بالنفي، معللاً ذلك بأن مقومات الحياة الأساسية من مأكل، ومشرب، وملبس، وقطع غيار، تخضع لهيمنة الإدارة الأمريكية والشركات الغربية. وبناءً على ذلك، فإن قوى الاستكبار لا تحتاج إلى تسيير الجيوش لاحتلال البلاد، بل يكفيها إصدار قرار سياسي واحد بوقف تدفق شحنات القمح وقطع الإمداد الغذائي لإجبار الشعوب وأنظمتها على الركوع والاستسلام للإملاءات الخارجية^(١).

تتعمق هذه الأزمة عند معاينة المفارقة الفاضحة بين المقدرات الطبيعية الهائلة لبلدان العالم الإسلامي وواقعها التنموي البائس؛ إذ تكشف المشاهد الميدانية عن ملايين الهكتارات من الأراضي الخصبة المتروكة بوراً، في وقت باتت فيه وزارات الزراعة في غالبية الدول العربية تصنف بأنها أقل الوزارات فاعلية وميزانية، لقد سادت سياسات تنموية مشوهة عمدت إلى تهميش الريف وإهمال الفلاحين، مما جعل شعوباً تمتلك أعرق السهول والوديان تستورد أبسط احتياجاتها اليومية من القمح، والذرة، والعدس، والفاصوليا من أستراليا والصين والغرب، في حين أن الأرض اليمنية وحدها،

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس من هدي القرآن الكريم: يوم القدس العالمي»، ص ١٩.

بما حباها الله من تنوع تضاريسي وخصوبة تربة، لو أديرت بروح إيمانية واستنفرت طاقاتها بالبحث العلمي الرصين، لكانت كفيلة بتحقيق الاكتفاء الذاتي الكامل لليمن وفيض واسع من جواره العربي والإسلامي.

ويبرز الخلل الحضاري الفادح بالمقارنة الموضوعية مع التجربة اليابانية في إدارة الموارد الشحيحة، فالشعب الياباني يقطن أرخبيلاً بركانياً ضيقاً يفتقر للمساحات الممتدة، وتتعرض بلاده لكوارث طبيعية متتالية. ومع ذلك، فإن الإرادة الوطنية والشعور بالمسؤولية ورفض الارتهاق للخارج دفعت اليابانيين إلى ابتكارات استثنائية، كبناء مزارع عائمة على ظهر قوارب خشبية ملأوها بالتراب وسيروها في عرض البحر لزراعتها، فضلاً عن استغلال أسطح المنازل وشرفاتها الضيقة لزراعة الخضروات الضرورية لتحقيق الاكتفاء الذاتي الأسر، تكشف هذه المقارنة أن أزمة الأمة ليست أزمة فقر مائي أو شح ترابي، بل هي أزمة إرادة سياسية وارتهاق لنخب كرسست واقع التبعية كأداة لإدامة كراسي حكمها الهشة^(١).

ويضع القرآن الكريم المنظومة السياسية والمعرفية للأمة أمام مبضع التشخيص الأمني الدقيق عبر إرساء القاعدة الإلهية الخالدة: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] أن هذه الآية كما يؤكد الشهيد القائد، ليست مجرد سردية تاريخية تتلوها للتعبد الصوتي؛ بل هي «قاعدة استراتيجية ووعي استخباري دائم» يكشف المكنونات النفسية والمخططات العدائية لقوى الاستكبار عبر العصور. فالعدو الذي يمتلئ قلبه حسداً وبغضاً لن يرضى على الإطلاق أن يرى في العالم الإسلامي أمة قوية، مصنعة، ومكتفية ذاتياً، مما يسقط أوهام الشراكات الدولية وبرامج المساعدات وقروض البنك الدولي، ويكشف أنها واجهات ناعمة لإدامة الاستعباد وتكريس الشلل التنموي^(٢).

تتجلى ترجمة هذه القاعدة القرآنية في السياسات الاستعمارية التي طبقت بحذافيرها على المنطقة العربية والإسلامية، فالغرب حريص كل الحرص على بقاء بلداننا مجرد أسواق استهلاكية ريعية تُصرف فيها نفايات التكنولوجيا الغربية وتُبتلع فيها عوائد النفط والتعدين.

تتجلى ترجمة هذه القاعدة القرآنية في السياسات الاستعمارية التي طبقت على المنطقة، فالغرب حريص على إبقاء بلداننا أسواقاً استهلاكية ريعية تُصرف فيها منتجاته

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠١٠. محاضرة «من نحن ومن هم»، ص ٤.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠١٠. محاضرة «دروس رمضان - الدرس السادس»، المقطع الأول، ص ٨-٩.

وتُبتلع فيها عوائد النفط والتعدين. ويرى الشهيد القائد أن بلداناً كاليمن، والعراق، ودول الخليج كانت مؤهلة بحكم ما تمتلكه من فوائض مالية وثروات نفطية ومعدنية أن تتفوق صناعياً على اليابان وكوريا الجنوبية، ولكن المخطط الغربي نجح في تحويل هذه الأموال إلى مصارف نيويورك ولندن، واستجرارها في صفقات أسلحة استعراضية دفاعية لا تمتلك الأمة شفرات تشغيلها ولا تصنيع ذخائرها لضمان بقائها تحت رحمة الحماية الأجنبية. وحتى حين يتم التعاقد مع الخبراء الغربيين، فإنهم يتعمدون حجب أسرار التصنيع ولا يمنحون إلا «فضلات المعرفة» التي تؤهل المتدرب المحلي لتشغيل الآلة دون فهم أسرارها الهندسية أو امتلاك الجرأة على استنساخها وتطويرها^(١).

والأخطر من ذلك هو الاستهداف الأمني المباشر للكتلة المعرفية، فبمجرد أن استشعر الغرب وجود قاعدة علمية وتصنيعية متقدمة في العراق تضم آلاف الخبراء في مجالات الفيزياء، والكيمياء الحيوية، وتصنيع الصواريخ والسبائك، حُركت آلات الغزو والعدوان. ولم يكن الهدف النهائي إسقاط النظام السياسي فحسب، بل تصفية العقل العلمي العراقي، حيث فتش الغزاة المعامل والجامعات، ووضعوا قوائم لاغتيال واختطاف مئات العلماء بالتعاون الميداني مع الاستخبارات الصهيونية لضمان القضاء على أي نواة علمية مستقلة، بالتوازي مع سياسة استنزاف الأدمغة لاصطياد النوايا والباحثين وإغرائهم بالبقاء في المعامل الغربية في ظل غياب الحواضن الوطنية التي تحميهم من التبعية والاستلاب^(٢).

إن الخروج من نفق التبعية المعتم يفرض على مراكز التخطيط الاستراتيجي ومؤسسات التعليم العالي صياغة مسارات تنفيذية حاسمة تنقل حوكمة البحث العلمي من رتابة التنظير إلى استبسال المواجهة، من خلال خطتي عمل قطاعيتين تمثلان عصب المناعة الوطنية:

المسار الإجرائي للأمن الغذائي والسيادة الزراعية

- تأسيس المنظومة الوطنية لبنوك البذور الأصيلة بتوجيه أقسام الوراثة النباتية في كليات الزراعة لجمع وحفظ السلالات الزراعية المحلية (البلدية) من القمح الصلب، والشعير، والذرة الشامية والرفيعة، واستنباط أصناف عالية الإنتاجية مقاومة للجفاف والتغيرات المناخية. وتكمن الأهمية الاستراتيجية لهذا المسار

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «من نحن ومن هم»، ص ٣.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس رمضان - الدرس السادس»، المقطع الأول، ص ٨-٩.

في مواجهة المؤامرة الخبيثة لشركات التكنولوجيا الزراعية الاستكبارية مثل: كارتيلات التعديل الوراثي العالمية، التي تُغرق الأسواق ببذور مهجنة مصممة لإنتاج محصول لموسم واحد فقط، وتكون بذورها الناتجة عقيمة بيولوجياً، بهدف إجبار الفلاح والمجتمع على الشراء السنوي للبذور من تلك الشركات واحتكار قرار البذر والغرس^(١).

- الابتكار التقني في الري الذكي والحصاد المائي الاستراتيجي بإلغاء أساليب الري بالغمر التقليدية التي تستنزف الأحواض الجوفية المحدودة، وتطوير أبحاث الهندسة الميكانيكية والزراعية لتصنيع شبكات الري بالتنقيط والرياح محلياً باستخدام خامات وبوليمرات وطنية منخفضة التكلفة. يرافق ذلك تأسيس منظومة أبحاث هيدرولوجية شاملة لبناء الحواجز والسدود الترابية والخرسانية، وتوجيه مسارات السيول الموسمية لحقن الطبقات الحاملة للمياه وتغذية الآبار الجوفية، واستعادة دور المدرجات الزراعية الجبلية كنظام بيئي فريد يحفظ التربة من الانجراف ويضعف من فاعلية مياه الأمطار.
- المسح الجيولوجي الزراعي واستصلاح الأراضي الصلبة بإلزام الباحثين بإجراء دراسات ميدانية لتحليل الخواص الفيزيائية والكيميائية للتربة في السهول الواسعة والصحاري القابلة للاستصلاح كسهول تهامة والجوف والواديان الشرقية في اليم، والعمل المشترك بين أقسام الكيمياء والبيولوجيا لتطوير أسمدة ومخصبات عضوية مستدامة تعتمد على تدوير المخلفات الطبيعية بعيداً عن الأسمدة الكيماوية والمبيدات المسرطنة المستوردة التي تحرق الأرض وتسمم المياه وتخدم الشركات الاستعمارية^(٢).

المسار الإجرائي للاستقلال الدوائي والصحي:

- توطين تكنولوجيا التخليق الكيميائي الصيدلاني بالتحول الفوري من نمط التصنيع الدوائي الهامشي القائم على استيراد المساحيق الجاهزة والاقتصار على

(١) صافي، وليد، ونذير مياح. ٢٠١١. «نحو طرح تركيب هيكل صناعي مبدئي مبني على رؤى مقاصد الشريعة الإسلامية». مجلة دراسات وأبحاث (مجلة الواحات)، عدد ١٢، ص ١-١٥.

(٢) المجلس القومي للتخطيط الاستراتيجي. ٢٠١٢. التقرير الاستراتيجي للقطاعات التنموية والصناعية. مرجع سابق، ص ٣٠-٣٥. وانظر: الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، المقطع الثاني، ص ١٣

خلطها وضغطها في أقراص وتغليفها، إلى خوض غمار التخليق الدوائي العكسي، ويتحقق ذلك بتوجيه كليات الصيدلة ومختبرات الكيمياء نحو تخليق المكونات الصيدلانية الفعالة محلياً بالاعتماد على المشتقات البتروكيمياوية والمعادن المتوفرة في البيئة الوطنية، لتحرير الدواء من قيود براءات الاختراع الاحتكارية وضمان تدفق العلاجات أثناء فترات الحصار^(١).

- الصيدلة الحيوية واستثمار الفلور والنباتات الطبية المحلية بإطلاق مشروع وطني متكامل لمسح وتصنيف النباتات الطبية والأعشاب النادرة التي تزخر بها البيئات الجبلية والصحراوية، واستخلاص الزيوت العطرية والمركبات الفعالة منها بتقنيات النانو الحديثة، وتطويرها معملياً وسرياً لتكون علاجات قياسية للأمراض المزمنة بديلاً عن العقاقير الكيميائية المستوردة باهظة الكلفة.

- تأسيس الحاضنات الصناعية للمستلزمات الحيوية والمحاليل الطبية بربط كليات الهندسة الطبية بالمستشفيات لابتكار وتصنيع الأجهزة الطبية الأساسية كأجهزة التنفس الاصطناعي، وحاضنات الأطفال، وأجهزة المراقبة الحيوية (محلياً) والبدء في إنشاء مجمعات لإنتاج المحاليل الوريدية ومواد التخدير والمطهرات بخامات معقمة محلية، لإسقاط ورقة الابتزاز الصحي التي تستخدمها قوى العدوان لتعطيل الخدمات الطبية في أوقات الحروب والأزمات^(٢).

إن النجاح في استنهاض هذين القطاعين لا يمثل مجرد إنجاز تنموي عابر؛ بل هو تشييد لركائز الحصانة السيادية التي تُمكن القيادة الإيمانية من اتخاذ المواقف الشجاعة في مواجهة الاستكبار العالمي، فالمجتمع الذي يأكل من فأسه، ويتداوى من نبت أرضه وتخليق معامل أبنائه، هو المجتمع الوحيد القادر على الصمود والثبات وتجسيد مفهوم العزة والتمكين، محولاً الجبهة الزراعية والدوائية إلى محراب عبادة وساحة جهاد مقدس تكسر جبروت الأعداء وتحقق الاستقلال الحضاري الحقيقي^(٣).

(١) مياح، نذير. ٢٠١٢. التقرير السنوي السابع والثلاثون للشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية (أكديما). عمان: أكديما، ص ٥-٣٧.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠١٠. محاضرة «تكلمة لقاء المعلمين»، ص ١٤.

(٣) الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. مرجع سابق، ص ٣٢١-٣٢٥. وانظر: الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «يوم القدس العالمي»، ص ١٩. ومحاضرة «دروس رمضان - الدرس الخامس»، المقطع الرابع، ص ٢٦.

رابعاً: علوم التسخير الفائقة والشاهد القرآني في عرش بلقيس وأسرار الكون

يؤسس القرآن الكريم لقاعدة معرفية فريدة تكسر جمود الرؤى المادية المحدودة من خلال مفهوم «التسخير» الإلهي: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجن: ١٣]. إن تعبير التسخير يحمل في دلالته اللغوية والفيزيائية قابلية جميع مفردات الوجود، من الذرات والموجات والمعادن وصولاً إلى النجوم والأفلاك، للانقياد والاستخدام التراكمي في خدمة الأهداف الحضارية للمستخلف في الأرض^(١).

تتجلى ذروة هذا النفوذ العلمي في الحادثة التاريخية المعجزة لنقل عرش ملكة سبأ بلقيس من مأرب باليمن إلى القدس الشريف في عهد نبي الله سليمان -عليه السلام- يبرز النص القرآني تنافساً معرفياً وتقنياً في آلية الإحضار، إذ عرض عفريت من الجن قدراته المادية الخارقة قائلاً: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]، وهو إنجاز هائل بالمعايير الحركية يستغرق سويقات قليلة، غير أن المفاجأة الكبرى جاءت من طرف بشري ارتبط علمه بالوحي الإلهي^(٢): ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠].

إن هذا الإنجاز كما يحلله الشهيد القائد-رضوان الله عليه- لم يكن مجرد كرامة صوفية أو دعاء روحي مجرد معزول عن السنن الكونية، بل هي قضية علمية خارقة انبثقت من أسرار وقوانين فيزيائية مودعة في الكون أتاحها الله لمن امتلك علماً من الكتاب، إن نقل كتلة مادية هائلة الحجم والوزن كعرش بلقيس عبر مسافة تقارب ألفي كيلومتر وتثبيتها في كسر من الثانية، أسرع من ارتداد جفن العين الطبيعي، دون أن تتفكك مكوناتها، أو تحترق وتتبدد بفعل السرعة الفائقة والحرارة الناتجة عن الاحتكاك بالهواء، يشير إلى قوانين علمية مجهولة للفيزياء الحديثة تتعلق بتحويل المادة إلى طاقة ثم إعادة تجسيمها في مكان آخر بصورة فورية ومستقرة^(٣).

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، المقطع الثاني، ص ١١. ومحاضرة «دروس رمضان - الدرس السابع»، ص ٣-٤.

(٢) الخريابادي، محمد أبو الليث، وشجاع الدين رحمان، ورحمت الله عظيمي. ٢٠٢٥. «دراسة تحليلية للإعجاز العلمي في القرآن بين النصوص الشرعية والاكتشافات الحديثة». مجلة البرهان لدراسات القرآن والسنة ٩، عدد ٢: ١٤٥-١٥٠.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس رمضان - الدرس الخامس»، المقطع الثاني، ص ٢٤-٢٥. ومحاضرة «دروس رمضان - الدرس السادس»، المقطع الثاني، ص ٢.

إن هذا الشاهد القرآني، إلى جانب ما تركه التاريخ من معالم غامضة عجز العلم المعاصر عن تفسير هندستها وكيفية بنائها بوسائل النقل البشرية المألوفة كأهرامات الجيزة في مصر والآثار التعدينية والمعمارية الشاهقة في اليمن القديم، وما أوتيه ذو القرنين من التمكين: ﴿إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]، يبرهن على أن حضارات قديمة مهتدية امتلكت علوم تسخير رفيعة اندثرت بسبب الانحراف الأخلاقي للمجتمعات اللاحقة، وأن ما يملكه العلم الغربي اليوم، مع كل بهرجه، لا يزال في بداياته الأولى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

إن التدقيق في المنجزات التقنية التي وصلت إليها البشرية في العصر الراهن يكشف بجلاء أنها ليست سوى اكتشاف متواضع لبعض السنن والخواص التي أودعها الله تعالى في الكون منذ الأزل. فالتقنيات الاتصالية المذهلة التي تنقل البث التلفزيوني الحي والمعلومات الرقمية عبر القارات في أجزاء من الثانية، وتدفق مئات القنوات الفضائية والبيانات عبر كابل واحد من الألياف الضوئية دون أن تختلط الصور أو تضطرب الترددات الصوتية والحروف، تعتمد كلياً على تسخير موجات كهرومغناطيسية دقيقة وخصائص طبيعية أودعها الخالق في الغلاف الجوي والفضاء (الأثير)^(١).

تتطابق هذه الآليات الهندسية مع التوظيف البشري لخواص المادة، فالدوائر الكهربائية، وشرائح السيليكون المتناهية الصغر، والأسلاك النحاسية، والمكثفات، لا تعدو كونها ترتيباً فيزيائياً محكماً لمعادن وأتربة وأملاح مستخرجة من الأرض، تجري فيها شحنات الطاقة لتحث أثراً مذهلاً في الاتصال والمعالجة الحاسوبية يشبه في دقته الخرائط والرسوم الهندسية المعقدة^(٢).

يمتد هذا التسخير القرآني بصورة أكثر جلاء إلى قطاع الطاقة الكونية المتجددة، حيث سخر الله أشعة الشمس التي تقطع ملايين الأميال لتتحول عبر خلايا السيليكون والتحويل الكهروضوئي إلى طاقة كهربائية مستدامة. وقد غدت هذه الطاقة الشمسية الشريان الحيوي الأساسي الذي يُغذي المركبات الفضائية والمحطات المدارية والأقمار الاصطناعية بوقود دائم لا ينفد على مدار السنين؛ إذ يتعذر عملياً تزويد تلك المركبات في الفضاء السحيق بوقود أحفوري أو نووي مستمر يتطلب وزناً وتجديداً متواصلاً، مما

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس رمضان - الدرس الخامس»، المقطع الثاني، ص ٢٥.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. المرجع السابق، ص ٢٥-٢٦.

يثبت أن سنن التسخير الإلهي تحمل دائماً حلولاً استراتيجية متكاملة لاستمرار الحياة وتطور العلوم^(١).

تتجلى الكارثة الكبرى التي تهدد مسيرة الحضارة الإنسانية في انفصال المعرفة العلمية وسنن التسخير عن المرجعية الإيمانية والمنظومة الأخلاقية للوحي، وقد وثق القرآن الكريم هذه الانتكاسة تاريخياً فيما حل ببني إسرائيل في بابل وخلال ملك سليمان؛ حيث أنزل الله الملكين (هاروت وماروت) بعلوم نافعة تمثل فتنة واختباراً للناس: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. إلا أن النفوس الفاسدة التي انسلخت عن هدى الله أهملت الجوانب البنائية والحضارية لتلك العلوم، ووظفتها في الجوانب التدميرية والسحرية التافهة: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، حتى اندثرت العلوم الكبرى ولم يتبق منها سوى الطلاسم والشعوذة وأساليب التمييز الاجتماعي^(٢).

تكرر الحضارة الغربية المعاصرة التي يقودها الفكر الصهيوني والرأسمالي ذات الخطيئة التاريخية بصورة أوسع وأخطر، حيث جُردت الاكتشافات العلمية من المقاصد الأخلاقية وحُولت إلى أدوات للهيمنة، واستعباد الشعوب، واستنزاف الموارد عبر القروض الربوية والمؤسسات النقدية الاحتكارية. والأخطر من ذلك هو توجيه ثمار الثورة التكنولوجية نحو التدمير البيولوجي، وتصنيع أسلحة الإبادة الشاملة النووية والحربية، وتلويث الكوكب بنفايات المصانع والمفاعلات الخطرة، سعياً لخفض تكلفة الإنتاج وتعظيم الأرباح المالية دون أدنى اكتراث بحرمة الإنسان وصحة البيئة^(٣).

إن الشريعة الإلهية لو قادت البحث العلمي لصانت البيئة والإنسان، إذ تنطلق المنظومة القرآنية من أن المخلوقات تسير وفق سنن تدويرية تحافظ على التوازن، كما تحول الطبيعة مخلفات الحيوانات إلى مخصبات للتربة تزيد من خصوبتها ونمائها،

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس رمضان - الدرس السابع»، ص ٣-٤. وكذا محاضرة «دروس رمضان - الدرس التاسع»، ص ١٢.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس رمضان - الدرس الخامس»، المقطع الأول، ص ٢٣-٢٤. وكذا محاضرة «دروس رمضان - الدرس السادس»، المقطع الثاني، ص ٢.

(٣) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، المقطع الثاني، ص ١٣-١٤. وكذا محاضرة «دروس رمضان - الدرس الخامس»، المقطع الثالث، ص ٢٥-٢٦. وإيضاً محاضرة «دروس رمضان - الدرس السادس»، المقطع الثاني، ص ٣-٤.

بخلاف مخلفات الصناعة الغربية كزيوت السيارات والكيماويات التي تحرق الأرض وتسمم المياه، ومن هنا تتأكد الحقيقة القطعية «أن هدى الله المتمثل في القرآن الكريم هو الضمانة الوجودية والأخلاقية الوحيدة لحفظ المعرفة وحماية العلوم من التلاشي والاندثار، فالأمة التي تنطلق من روحية القرآن تخوض غمار الفيزياء، والنانو تكنولوجي، والطاقة، والصناعات الدفاعية والمدنية بدافع تعبدي غايته إقامة القسط، وصيانة كرامة الإنسان، وحماية الكوكب، محققة التوازن والانسجام بين عمارة الأرض وعبادة الخالق»^(١).

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، المقطع الثاني، ص ١٣-١٤. وكذا الحوئي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. محاضرة «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، المقطع الثاني، ص ١٣-١٤. وأيضاً ومحاضرة «دروس مديح القرآن - الدرس الأول»، المقطع الأول، ص ١١-١٢، والمقطع الثاني، ص ١٦-١٧.

المبحث الرابع

عقيدة الأمن المعرفي وتطبيقات الردع والصناعات الدفاعية

أولاً: التأصيل الفقهي والاستراتيجي لمركزية «الحديد» في إقامة الحق

لا يمكن لأي مشروع حضاري مقاوم أن يستقيم أو يمتلك مقومات الديمومة في مواجهة الاستكبار ما لم يؤسس رؤيته للدفاع والتسليح على قاعدة سنية صلبة، وإن الوعي السطحي الذي يختزل الدين في دوائر الطقوس المجردة أو الوعظ المنعزل عن معادلات الواقع قد أسهم عبر التاريخ في شل طاقات الأمة وتجريدها من أسباب القوة، تاركاً مقدراتها ومستضعفيها تحت وطأة الهيمنة الخارجية.

يحتل البعد الدفاعي والتسليحي مكانة جوهرية وحاكمة في فلسفة المنعة القرآنية؛ إذ ينطلق الوعي الحضاري المقاوم من إدراك سنني عميق مفاده أن صيانة المبادئ الأخلاقية، وتثبيت العدالة الاجتماعية، وحماية المستضعفين، لا يمكن أن تترجم في الواقع العيني بمجرد الدعوات الوعظية المجردة، ما لم تستند إلى قوة ردع مادية تحمي حماها وتكسر شوكة قوى البغي^(١). وتتجلى هذه الحقيقة التشريعية في الجمع الإلهي الدقيق بين إنزال الرسالات وتنزيل القوة الصناعية الصلبة^(٢) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وتكشف البنية الدلالية للآية الكريمة عن نسق معرفي تتكامل فيه أضلاع ثلاثية وظيفية متلازمة: فالكتاب يمثل الإطار المرجعي والقيمي الحاكم للهداية، والميزان يجسد المعيار المؤسسي والتشريعي لإقامة القسط، بينما يشكل «الحديد» الذراع التنفيذية والقوة المادية الإلزامية التي تصون هذا البناء الحضاري من الانهيار، فالطبيعة الاستكبارية للعدوان البشري يستحيل كبحها إلا بمجابهة «البأس الشديد» الكامن في

(١) الجصاص، أحمد بن علي الرازي. ١٩٩٤. أحكام القرآن. تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، المجلد ٣، ص ٤١٢-٤١٥.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. ٢٠٠٥. التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، المجلد ٢٧، ص ٤١٠-٤١٢.

التطبيقات العسكرية للمعادن وتطويع خامات الأرض^(١).

والحديد في هذا السياق يتجاوز كونه عنصراً ميثالورجياً مفرداً، ليغدو مفهوماً كلياً جامعاً لقواعد الصناعات الثقيلة، وهندسة السبائك، وتكنولوجيا الصواريخ، وتدريب المنظومات المقاتلة، وتشديد القواعد التكنولوجية الدفاعية التي تعتمد عليها استقلالية القرار السياسي، فالاستقامة في حقيقتها الواقعية، كما يؤصل الشهيد القائد -رضوان الله عليه- فإن الحديد يمثل النواة الصلبة لكافة تطبيقات هندسة السبائك، ومحركات الدفع، والتحصينات الميدانية، والأنظمة الدفاعية المسؤولة عن صيانة القرار السيادي أمام ترسانات المستكبرين، فالاستقامة الواقعية تتطلب أدوات مادية تقهر الباطل، فإذا وظف أهل الباطل الطائرات والدبابات لفرض ضلالهم، فإن استقامة الكتاب لا تصان إلا باشتغال الحديد في معركة الحق لحماية المقدسات والسيادة.

ثانياً: نقد التعطيل الكلامي واسترداد فاعلية الاستخلاف العلمي

وفي تفكيك معرفي ونقدي لجذور التراجع العسكري والحضاري للأمة، يوضح الشهيد القائد أن العقل المسلم أصيب بنكسة منهجية عندما جرى عزل نصوص القرآن وتوجيهاته الداعية إلى التفكير في سنن الكون عن سياقها العملي والتسليحي، واختزالها في أروقة السجال الكلامي التجريدي، حيث انصرف المتكلمون إلى استهلاك آيات التدبر في إثبات مقولات ذهنية محضة لإلزام الخصوم، كمسألة أن لكل مُحَدِّث مُحَدِّثاً، مكتفين بإصدار أحكام منطقية باردة عطلت الفاعلية الميدانية وأهملت ميادين استثمار المادة وعمارة الأرض بالقوة^(٢).

في المقابل، يؤكد الاستخلاف القرآني أن تعليم آدم للأسماء كلها في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، كان تعليماً لحقائق المادة، وخواص الطبيعة، ومكونات العناصر، وقوانين التسخير التي تتيح للإنسان إدارة الأرض ومواجهة التحديات المادية، وليس تلقيناً لمصطلحات عبادية صامتة تنفصل عن مقتضيات السيادة والمنعة^(٣). فلو كان المراد من الاستخلاف مجرد أداء التراتيل العبادية الخالصة لما كان هناك مسوغ لتسخير السماوات والأرض وما فيهما لآدم وبنيه، في حين أن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وإنما تميز الدور الإنساني بالقدرة على التعامل

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس الثالث»، ص ١٨.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، ص ٢-٤، ٧.

(٣) الحوثي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس الثالث»، ص ١٥-١٦.

مع المنظومة الكونية وخاماتها وعناصرها لإقامة العدل وحماية المستضعفين.

ويتأسس على هذا التأسيس القرآني أن الانخراط في البحث العلمي التجريبي، وتطوير تكنولوجيا المعادن، وهندسة الذرة والمقذوفات، ليس مجرد خيار تفرضه متطلبات الضرورة النفعية، بل هو عبادة جهادية في صميم التكليف الإلهي، إذ تتولد المعرفة الإيمانية الحقة من خلال اكتشاف آيات الله وسننه المودعة في الآفاق وفي المادة أثناء تطويعها للحق^(١). فالطائرات والدبابات ومنظومات الصواريخ التي توظفها القوى الاستعمارية لقهر الشعوب ما هي إلا تشكيلات هندسية لعنصر الحديد وخامات الأرض المسخرة، ويوم أن غفل المسلمون عن استنطاق سنن تصنيعها واكتفوا بالدعاء المجرد، استحوذ المستكبرون على أسباب القوة ووظفوا «الحديد» لفرض باطلهم واستباحة ديار الإسلام وثرواتها^(٢). بل إن التدبر العملي في خواص المادة يلمس فيه المخترعون والمكتشفون شبه توفيق وتدخل وتسديد إلهي يفتح أمامهم أبواب الابتكار حين يمتزج البحث بالمسؤولية.

يتلاقى هذا التأسيس الفلسفي مع أدبيات العلوم السياسية والعسكرية الحديثة، إذ يجمع منظرو المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية على أن امتلاك قاعدة صناعية وتكنولوجية دفاعية محلية ومستقلة، يمثل الشرط الحاسم لبقاء الدول وامتلاكها للسيادة الحقيقية، فالتبعية التسليحية للغرب تحيل السيادة الوطنية إلى وهم شكلي بفعل آليات التحكم في قطع الغيار، وقيود الترخيص، وحظر البرمجيات التكتيكية، واستخدام مبيعات السلاح كأداة ابتزاز سياسي دائم ومباشر^(٣).

وهنا تبرز نظرية الردع القرآنية^(٤) المستندة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] حيث يتطابق مفهوم الإرهاب في هذا السياق مع أدق تعريفات الردع الاستراتيجي في الدراسات المعاصرة، والقائم على فرض نمط من المنعة المادية وإبراز الاستعداد القتالي العالي، بما يدخل اليقين في الحسابات التقديرية للعدو بأن كلفة الإقدام على العدوان تتجاوز بمراحل أي مكاسب مفترضة، مما يؤدي إلى شل

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، ص ٤. وكذا وملزمة: «دروس مديح القرآن - الدرس الأول»، ص ٥٠.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس الثالث»، ص ١٨-١٩.

(٣) مجلة أبحاث في الدراسات الدفاعية. ٢٠٢٢. «وثيقة العقيدة العسكرية والسياسة الدفاعية والقاعدة التكنولوجية الصناعية». مجلة أبحاث في الدراسات الدفاعية، المجلد ٣، ص ٤-٨.

(٤) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. مرجع سابق، ملزمة: «تكملة لقاء المعلمين»، ص ١٤.

إرادته العسكرية ابتداءً وفرض معادلات استقرار متوازنة تحمي المستضعفين وتصور الأوطان^(١).

ثالثاً: صراع العقول واستهداف الكتلة المعرفية وحرب الاغتيالات

تشهد بيئة الصراع المعاصر تحولاً جوهرياً في طبيعة الحروب غير المتناظرة وحروب الجيلين الرابع والخامس، حيث انتقل مركز الثقل الاستراتيجي من تدمير القوات التقليدية في ميادين المواجهة إلى تجريف الكتلة المعرفية الحيوية للأمم المقاومة. ويدرك التحالف الاستعماري الصهيوني الغربي أن تفوقه الإقليمي لا يعود لشجاعة جنوده في الميدان، بل لاحتكاره سلاسل التغذية التكنولوجية والبحثية، مما حوّل العلماء، والمهندسين، ومطوري البرمجيات، وخبراء الميتالورجيا والوقود الدافع، إلى أهداف عسكرية واستخباراتية ذات أسبقية أولى تفوق في قيمتها قادة التشكيلات الميدانية^(٢).

وقد شخص الشهيد القائد هذه المعركة في قراءته لقوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، مبيناً أن العداء الغربي متأصل ضد نهوض الأمة وامتلاكها للخبرات التصنيعية المتقدمة، وأن الاستراتيجية الغربية تعتمد مسارين عدوانيين لاحتواء التراكم المعرفي: يبدأ المسار الأول بمحاولات الاختراق الناعم والاستلاب الثقافي من خلال استقطاب النوابع والطلاب المبتعثين بالأموال والإغراءات المادية، وتفريغ بلدانهم من طاقاتها الخلاقة لتوظيفها في خدمة المراكز البحثية الاستعمارية، وتسميم وعيهم حتى يعود الطالب مشبعاً باحتقار مجتمعه وأتمته وفاقداً لأي دافع رسالي يخدم نهضتها^(٣).

وإذا ما فشل هذا المسار وأصر العالم على توظيف خبراته لحماية سيادة وطنه، فُعل المسار الثاني المتمثل في التصفية الجسدية المباشرة والاغتيال الإجرامي بدم بارد، لقطع الطريق أمام أي انتقال نوعي في بنيان الأمة التصنيعي، وأليس هذه خسارة للأمة؟^(٤).

وتسند الوقائع التاريخية الحديثة هذا الاستشراف، إذ شنت وكالات الاستخبارات

(١) مجلة البحوث القانونية والسياسية. ٢٠٢١. «نظرية الردع الاستراتيجي في العلاقات الدولية المعاصرة». مجلة البحوث القانونية والسياسية، المجلد ٢، العدد ١٥، ص ٤٨-٥٢.

(2) Yun, Minwoo. 2010. "Insurgency Warfare as an Emerging New Mode of Warfare and the New Enemy." Journal of International and Area Studies 17, no. 1: 18-22

(٣) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. مرجع سابق، ملزمة: «من نحن ومن هم»، ص ١١-١٢؛ وملزمة: «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٣١-٣٢

(٤) الحوثي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٣١، ٤١.

الأمريكية والصهيونية في أعقاب احتلال العراق عام ٢٠٠٣ حملات اغتيال ممنهجة أسفرت عن تصفية ما يربو على ٣٥٠ عالماً نووياً وخبيراً في التصنيع الحربي والهندسة الكيميائية والفيزيائية، إلى جانب مئات الأكاديميين، لإعدام القاعدة المعرفية للدولة العراقية وضمان عدم نهوضها العلمي^(١). وتكرر هذا السلوك الإرهابي عبر اغتيال نخبة من قادة البرنامج العلمي النووي والصاروخي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية أمثال مسعود علي محمدي، ومجيد شهرياري، ومحسن فخري زاده، وملاحقة مهندس الطيران والتطوير التقني في حركات المقاومة في فلسطين ولبنان وتونس أمثال الشهيد محمد الزواري وحسن اللقيس^(٢).

وتتصدى الرؤية القرآنية للشهيد القائد لمساءلة التاريخ الإسلامي والمؤسسات الدينية الرسمية والحواضر العلمية التقليدية بجرأة ونقد ذاتي صارم؛ حيث حملتها مسؤولية تاريخية عن تبديد مقدرات الأمة وإهمال تشييد منظومة دفاع علمي واستخباري تحمي الكفاءات^(٣). فقد ظلت المرجعيات تتلقى تدفقات مالية ضخمة من عوائد الأحماس والأوقاف والجبايات، غير أنها وجهت تلك المقدرات لإنتاج مئات المجلدات في تفرعات الجدل المذهبي والخلافات الفقهية الجزئية الميتة كالخوض في مسألة هل الأذن من الرأس أم لا، بدلاً من تمويل مراكز الأبحاث العسكرية، واستيعاب الطلاب الموهوبين في مجالات التكنولوجيا والفيزياء، وتأمين العلماء المستهدفين^(٤).

ويؤكد الفكر القرآني أن إنفاق الملايين لتأمين مساكن وإيواء وحماية خبير عراقي واحد ونقله إلى ملاذ آمن لمنع تصفية عقله من قبل الموساد كان أوجب شرعاً وأجدى للأمة من ترك هؤلاء النوابغ نهباً للاغتيال والضياع بعد سقوط بغداد^(٥). ويوازن الخطاب القرآني بين هذا التقصير الداخلي وبين النموذج الذي قدمته اليابان والصين عقب الحرب العالمية الثانية، حيث استطاعت تلك الأمم بفضل تماسك هويتها ورعايتها الفائقة لطلابها ومبتكرها أن تتجاوز الدمار الشامل وتتحكم حقول الإنتاج الحصين،

(١) مركز الإمارات للدراسات والبحوث. ٢٠٢٣. الصناعات الدفاعية والسياسات التكنولوجية المتقدمة:

استراتيجيات التوطين وتحديات الأمن الإقليمي. أبو ظبي: TIP Publications، ص ٢-٤.

(٢) سمعان، جان لو. ٢٠١٩. صعود الصناعة الدفاعية في الخليج. بيروت: مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، أوراق كارنيغي، ص ١٤-١٦.

(٣) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. مرجع سابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٣٨-٤١.

(٤) الحوثي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٣٩-٤٠.

(٥) الحوثي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٤١.

لتقهر أعداءها في ميادين الصناعة والاقتصاد والتكنولوجيا على الرغم من شح مواردها الطبيعية^(١).

تبلورت عقيدة الأمن المعرفي لدى الشهيد القائد بوصفها سياجاً استراتيجياً متكاملًا يتجاوز الحراسة الجسدية المباشرة للعقول والكوادر الهندسية، ليشمل تشييد البنى التحتية للمختبرات وخطوط الإنتاج الدفاعي الحساسة في أعماق السلاسل الجبلية والمنشآت تحت أرضية المحصنة، لتحديد قدرات الرصد الاستخباري والفضائي المعادي وإحباط الضربات الاستباقية^(٢).

ويتكامل هذا التحصين المادي مع تطبيق أقصى معايير العزل الشبكي والسيبراني لأنظمة التصميم والبرمجة والتحكم الصناعي، عبر فصلها التام عن الشبكة الدولية للمعلومات لمنع الاختراقات الاستخباراتية والهجمات السيبرانية المعادية التي تستهدف البنى الصناعية عبر البرمجيات الخبيثة.

كما يتوج ذلك بالتعبئة الإيمانية والهوياتية للعقول العلمية والكوادر التخصصية، إذ تضمن الهوية القرآنية تحصين الباحث والمهندس ضد الإغراءات التخريبية والاستلاب المادي، وتجعل من الابتكار التقني واجباً مقدساً وركيزة لمنعة الأمة واستقلالها الحضاري والسياسي في مواجهة قوى الهيمنة^(٣).

رابعاً: مشروعية الهندسة العكسية وكسر القيود الاحتكارية الدولية

عملت القوى الرأسمالية المهيمنة على ترسيخ تفوقها المادي وصيانة مكانتها الإمبريالية من خلال صياغة منظومة معقدة من القوانين والاتفاقيات الدولية التي تحرم شعوب الدول النامية من الوصول إلى المعارف والتقنيات الاستراتيجية، وقد صُممت هذه الاتفاقيات بعناية لتعمل بمثابة جدران مانعة تحت عناوين حماية حقوق الملكية والحد من انتشار الأسلحة المتقدمة، محولة المعرفة الإنسانية المشتركة إلى ملكيات خاصة مقفلة.

(١) الحوثي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «من نحن ومن هم»، ص ١١-١٣؛ وملزمة: «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٣٢.

(٢) مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث. ٢٠٢٤. «المضمون الاستراتيجي للحرب الحديثة ومنظومات القيادة والسيطرة C٤I». مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد ٤، العدد ٨، ص ٢٦٢-٢٦٤.

(٣) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. مرجع سابق، ملزمة: «من نحن ومن هم»، ص ١١؛ وملزمة: «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٣٢.

كما قننت المنظومة الرأسمالية الغربية تفوقها المادي عبر بناء جدار مؤسسي وتشريعي حمائي على المستوى الدولي، وظفت فيه اتفاقيات الملكية الفكرية العالمية، وبراءات الاختراع الاحتكارية، ونظم الرقابة على تصدير التكنولوجيا ذات الاستخدام المزدوج وقيود نظام التحكم في تكنولوجيا القذائف، لتشكل هذه الترسانة القانونية تجسيدا لما يمكن تسميته بالأبارتهايد التكنولوجي (مصطلح يعبر عن الاستخدام غير العادل للتكنولوجيا لفرض الفصل العنصري، أو حرمان مجموعات بشرية أو دول نامية من التقنيات الحديثة المفيدة)، وهو نمط صارخ من الاستعمار المعرفي يهدف إلى تجريد دول الجنوب المستضعف من إمكانيات امتلاك العلوم الدقيقة، وإبقائها في ارتهان دائم لأسواق السلاح الغربية واستهلاك منتجاتها مع حرمانها من مفاتيح التصنيع والتشغيل الذاتي^(١).

ينطلق المشروع القرآني في تأصيله لمشروعية «الهندسة العكسية» باعتبارها ضرورة شرعية، وأخلاقية، وقانونية تفرضها قواعد الدفاع عن النفس ودفع الصائل، انطلاقاً من المبدأ النبوي الكلي: الْكَلِمَةُ الْحَكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا^(٢)، حيث تؤكد وقائع السيرة النبوية والممارسة المبكرة للدولة الإسلامية شرعية نقل المعارف الدفاعية وتكييفها، حيث استعار المسلمون تكتيك حفر الخندق الدفاعي عن الفرس في معركة الأحزاب، واقتبسوا صناعة المنجنيقات والدبابات الخشبية في حصار الطائف بعد فحوصها وتطويرها محلياً دون أي حرج عقائدي أو تشريعي^(٣).

ويعزز المشروع القرآني للشهيد القائد هذه المشروعية بتحليله لدلالات قصة العلوم المنزلة ببابل في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَلْعَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] إذ يقرر أن المعارف والقوانين العلمية في أصلها التكويني سنن كونية محايدة أودعها الله في طبائع الأشياء لتُستثمر في الإعمار، وإنما يطرأ الانحراف والفساد حين يوظفها المستكبرون في التفريق، وتدمير البيئة، واستعباد الشعوب. وعليه، فإن استرداد هذه المعارف وتوظيفها لحماية العدالة وكسر شوكة الظالمين يمثل امتثالاً حقيقياً لطاعة الله وهدية^(٤).

(١) سمعان، جان لو. ٢٠١٩. مرجع سابق، ص ١٥-١٨.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. ١٩٩٨. الجامع الكبير (سنن الترمذي). تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، المجلد ٥، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، الحديث رقم ٢٦٨٧، ص ٥١.

(٣) الخولي، محمد عبد العزيز. ٢٠٠٠. الإسلام وبناء الحضارة الإنسانية. القاهرة: دار الفكر العربي، ص ٧٦-٧٨.

(٤) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. مرجع سابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس الخامس»، ص ٢١-٢٣، ٢٧-٢٨.

يستشهد الشهيد القائد بواقعة تاريخية استخباراتية حين وظف الكيان الصهيوني مقدراته لاختطاف مقاتلة سوفيتية متقدمة من طراز (MiG-21) عبر طيار عراقي فار في ستينيات القرن العشرين، لغرض إدخالها المختبرات وتفكيك منظوماتها الرادارية والهيدروليكية واشتقاق حلول تكنولوجية مضادة له^(١)، مؤكداً أن قوى الهيمنة لا تتردد في كسر كل القواعد لاحتكار القوة، ومن ثم فإن الواجب الجهادي يفرض على الأمة المستضعفة تفكيك أسلحة العدو وامتلاك مفاتيحها التقنية لردع عدوانه وكسر تفوقه العدواني^(٢).

وتتجسد الممارسة التطبيقية لهذه النظرية في مسارح الاشتباك الراهنة عبر دورة هندسية تراكمية متكاملة تبدأ فور تمكن الدفاعات الجوية للمقاومة من إسقاط المسيرات التجسسية والاستراتيجية للعدو كمسيرات MQ-9 Reaper أو جمع شظايا المقذوفات الذكية، حيث تنقل الحطام والمكونات المكتسبة مباشرة إلى مراكز البحث والتطوير المتخصصة ليخضع السلاح لتحليل تفكيكي دقيق يستهدف كل تفاصيله الميكانيكية، والكربونية، والمعدنية^(٣).

ثم يتلو ذلك التحليل الفيزيائي والكيميائي لخلائط السبائك، ومحركات الدفع التوربينية، ونسب الوقود الدافع، والطلاءات الماصة لموجات الرادار (RAM) المحققة للتخفي، وصولاً إلى الهندسة البرمجية والسيبرانية المعقدة التي تفك شفرات لوحات التحكم الدقيقة، ومجسات التوجيه بالقصور الذاتي (IMU)، ونظم التموضع العالمي (GPS)، واسترجاع الأكواد المصدرة لقنوات الاتصال المشفرة.

ولا تقف هذه الدورة عند حدود الاستنساخ والمحاكاة الشكلية، بل تتجاوزها إلى مرحلة «التوطين والتطوير التكيفي»، عبر إعادة تصميم تلك الأنظمة وتصنيعها بخامات ومكونات بديلة متوفرة محلياً أو منخفضة الكلفة؛ مما يحقق وفرة في الإنتاج التسلسلي ويسقط القيود التكنولوجية الدولية ويحول قطع السلاح الغنائية إلى أصول تسليحية ضاربة في ترسانة المقاومة^(٤).

(١) الحوئي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٣٩.

(٢) الحوئي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٣٩، ٣١.

(٣) مجلة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٢٠. «تقويم أنماط الإنتاج الحربي والتصنيع العسكري في دول العالم

الثالث». مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد ١١٨، ص ٢٤-٢٨.

(٤) مجلة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٢٠. المرجع السابق، ص ٣٣-٣٨.

خامساً: التحول الاستراتيجي في معادلات الردع.

يبرهن المسار التطبيقي للقوات المسلحة اليمنية كنموذج تطبيقي للمشروع القرآني بقيادة السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي -سلام الله عليه- على صدقية القاعدة الإستمولوجية التي أصلها الشهيد القائد «المعرفة الحقيقية تنبثق من صلب الميدان وتحمل المسؤوليات الواقعية» وهذا يُعد برهاناً تجريبياً وتاريخياً قاطعاً على قدرة المشروع القرآني على إحداث انزياح جذري في موازين الصراع الإقليمي والدولي وتجاوز النظريات الكلاسيكية في فنون الحرب، ففي عام ٢٠٠٤، كانت جماعة أنصار الله تُحاصر في شعاب صعدة وجبال مران المحرومة، وتخوض معارك غير متكافئة ببنادق كلاشينكوف وإمكانات مادية شحيحة، ولكن بالانطلاق من الرؤية الإيمانية، واستنهاض الهوية القرآنية المتحررة من الهزيمة النفسية، والتحرك التصنيعي العملي من واقع الحاجة والميدان، تحولت هذه الحركة في غضون عقدين من الزمن إلى قوة عسكرية وتصنيعية فارقة تفرض حصاراً نارياً على الملاحاة الاستعمارية وتهدد العمق الاستراتيجي للكيان الصهيوني وحلفائه^(١).

وينسجم هذا التحول الميداني مع ما قرره المشروع القرآني من أن المعرفة الحقيقية ليست نظريات ذهنية جامدة تُداول في المدارس دون حركة، بل هي وليدة الحاجة العملية والبحث التطبيقي في خضم الصراع والمسؤولية^(٢). ويوضح الشهيد القائد أن ارتقاء الدول الكبرى وصعودها إلى الفضاء الخارجي لم ينشأ من مجرد فضول أكاديمي ترفي، بل كان محركه الأول التنافس الاستراتيجي وتطوير منصات إطلاق الصواريخ وحسابات الوقود وسباق التسليح، فالأمور تنضج وتتطور مع اتساع دائرة المهام والحركة العملية على الأرض^(٣).

وقد انعكست هذه الفاعلية في تشييد ثلوث تسليحي متطور أعاد صياغة موازين القوى في المنطقة عبر ثلاثة أذرع متكاملة:

١. ذراع القوة الصاروخية حيث نجحت الكوادر الوطنية في الانتقال من عمليات

(١) الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي (الدلالات والأبعاد)». مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، المجلد ١، العدد ٢، ص ٣٣٠-٣٣٤.

(٢) الحوثي، حسين بدر الدين. ٢٠٠١. مرجع سابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس الثالث»، ص ٢٠؛ وملزمة: «دروس رمضان - الدرس التاسع»، ص ٤٥.

(٣) الحوثي، حسين بدر الدين. المرجع السابق، ملزمة: «دروس رمضان - الدرس الثالث»، ص ٢٠؛ وملزمة: «دروس رمضان - الدرس التاسع»، ص ٤٥.

التعديل المحدودة على منظومات «السكود» و«الفلوجا» السوفيتية المتقدمة إلى مرحلة التصميم والإنتاج الذاتي لصواريخ باليستية دقيقة ومجنحة تعمل بالوقود الصلب المتطور (كصواريخ «طوفان»، ومنظومات «قدس» الجواله، وصواريخ «حاطم»)، وصولاً إلى إدخال الصواريخ فرط الصوتية ذات الرؤوس الانزلاقية القادرة على المناورة بسرعات تتجاوز ٥ ماخ (كنظام «فلسطين-٢»)، مما مكنها من اختراق أحدث أحزمة الدفاع الجوي المعقدة ومتعددة الطبقات (كأنظمة «الباتريوت»، و«الثاد»، و«مقلع داوود»، و«آرو-٣»)، وتوجيه ضربات نقطية دقيقة لأهداف حيوية في عمق فلسطين المحتلة على مسافات تتخطى ٢٠٠٠ كيلومتر^(١).

٢. سلاح الجو المسير الذي شهد هذا السلاح طفرة في تصميم وتصنيع أساطيل من الطائرات المسيرة المتنوعة مهامها بين الاستطلاع والهجوم النقطي والانتحاري التكتيكي والاستراتيجي بعيد المدى (مثل عائلات «صماد»، و«قاصف 2K»، و«وعيد»، و«يافا»)، مستفيدة من تقنيات تصنيع الهياكل المركبة من الألياف الكربونية، واستخدام محركات اقتصادية تخفض بصمتها الرادارية والحرارية، مما وفر للمقاومة قدرة غير متناظرة على كسر التفوق الجوي التقليدي واستنزاف الدفاعات الصاروخية للعدو وضرب عمقه الاقتصادي الحيوي بكلفة مالية متناهية الصغر مقارنة بصواريخ الاعتراض الدفاعية باهظة الثمن^(٢).

٣. القوة البحرية والدفاع الساحلي التي استطاعت العقول التصنيعية إنتاج ترسانة ردع بحرية فريدة شملت الزوارق الحربية المسيرة الذكية ذات السرعات الفائقة والقدرات التدميرية العالية (مثل زوارق «طوفان»)، بالتوازي مع تطوير الألغام البحرية الحساسة، ونشر الصواريخ الباليستية والمجنحة المضادة للسفن (Anti-Ship Ballistic Missiles - ASBMs) المزودة برؤوس توجيه رادارية وكهروبصرية متقدمة، وقد نجحت هذه الترسانة في فرض معادلة عملياتية حاسمة لمنع الوصول وحرمان المنطقة (Anti-Access/Area Denial - A2/) في مساح البحر الأحمر، ومضيق باب المندب، وبحر العرب، وخليج عدن، وامتداداً إلى المحيط الهندي، مستهدفة بنجاح السفن المرتبطة بالكيان

(١) الحدابي، إلهام. ٢٠٢١. القواعد العسكرية في منطقة الشرق الأوسط: الدور العسكري وتشابك المصالح.

إسطنبول: مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، ص ٣٠-٣٤.

(٢) مركز الإمارات للدراسات والبحوث. ٢٠٢٣. مرجع سابق، ص ٤-٦.

الصهيوني والمصالح الداعمة له، ومتحدية بشكل مباشر الهيمنة التاريخية للأساطيل وحاملات الطائرات الأمريكية ومجموعاتها الضاربة (Carrier Strike Groups - CSGs)، ومؤسسة لقواعد اشتباك بحرية غير مسبوقة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي^(١).

إن هذا التحول العسكري النوعي يركز في أسسه المنهجية على استيعاب عميق لقواعد الحرب غير المتكافئة أو اللامتناظرة، حيث جرى تعويض الفجوة التسلحية الضخمة مقارنة بالجيش الإمبريالية من خلال المزاجية بين خفة الحركة، والتمويه العالي، وتوظيف تضاريس الأرض والبيئة الجبلية الوعرة كمرابض إطلاق محصنة، واستخدام شبكات لا مركزية مرنة في منظومات القيادة، والسيطرة، والاتصالات، والكمبيوتر، والاستخبارات.

وقد أدى هذا النهج العملياتي المبتكر إلى إسقاط الفاعلية التكتيكية للمنظومات التقليدية للعدو، وإثبات أن المستضعفين حين يتحركون بهدي القرآن، ويتحررون من الهزيمة النفسية، ويوظفون مكنونات المادة وسنن التسخير بإخلاص ومسؤولية، قادرون على كسر أساطير التفوق التكنولوجي المطلق، وامتلاك زمام المبادرة وبناء معادلات الردع الشامل في وجه قوى الهيمنة العالمية^(٢).

(١) مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث. ٢٠٢٤. مرجع سابق، ص ٢٦٥-٢٧٠.

(٢) Artelli, Michael J., and Richard F. Deckro. ٢٠٠٨. op. cit., pp. ٢٢٧-٢٣١.

المبحث الخامس الدبلوماسية المعرفية والتكامل العلمي والتكنولوجي الإقليمي

أولاً: نظرية الجهاد العلمي والسيادة المعرفية في الفكر الاستراتيجي المقاوم

تُمثل الدبلوماسية المعرفية في حقل العلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية المعاصرة أرقى مظهرات القوة المركبة؛ إذ لم يعد توزيع القوة في النظام الدولي مرهوناً بحجم الجيوش النظامية أو اتساع الرقعة الجغرافية الصامتة فحسب، بل غداً محكوماً في جوهره بالقدرة على التحكم في شبكات إنتاج المعرفة، وتوطين التقنيات السيادية، وإدارة سلاسل القيمة التكنولوجية الفائقة. وفي السياق الإقليمي، شكّل بزوغ قوى المقاومة بوصفها فاعلاً استراتيجياً غير تقليدي تحدياً جذرياً للهيمنة المعرفية والتكنولوجية التي فرضتها المنظومة الغربية والصهيونية لعقود متطاولة لضمان تفوقها العسكري الشامل وشل الإرادة التحررية لشعوب المنطقة^(١).

إن الانتقال العملياتي والفكري في بيئة المقاومة من مرحلة «الاشتباك الدفاعي الميداني البحت» إلى مرحلة «بناء الاقتدار الذاتي والتكامل المعرفي الإقليمي» يعكس نضوجاً استراتيجياً يتجاوز مجرد إدارة الصراع إلى إعادة هندسة توازناته البنيوية. فالصراع في جوهره ليس اشتباكاً على الحدود الجغرافية فحسب، بل هو صراع حضاري وأبستمولوجي يتمحور حول السيادة، وكسر الاحتكار التقني، ورفض التبعية الثقافية والصناعية التي حوّلت دول الجنوب والمنطقة العربية والإسلامية إلى مجرد أسواق استهلاكية تابعة وهوامش تشغيلية لمنتجات المركز الرأسمالي المهيمن^(٢).

يُمثل التأسيس لنظرية الجهاد العلمي تحولاً نوعياً في الرؤية الكونية لمناهضي الاستكبار العالمي؛ إذ يُخرج المعرفة من دائرة التلقي السلبي إلى فضاء التوليد والمواجهة الفاعلة، فالسيادة السياسية والحرية الوطنية تظلان منقوصتين ومهددتين بالزوال ما

(١) الخولي، محمد عبد العزيز. ٢٠٠٠. الإسلام وبناء الحضارة الإنسانية. القاهرة: دار الفكر العربي، ص ٧٦؛ وانظر أيضاً: مركز الإمارات للدراسات والبحوث. ٢٠٢٣. الشراكات الاستراتيجية وسلاسل الإمداد الدفاعي والتكنولوجي. أبوظبي: TIP Publications، ص ١-٣.

(٢) مؤسسة الإمام الخامنئي للتأليف والنشر. ٢٠١٥. أخلاقيات العلم والجهاد العلمي في فكر الإمام الخامنئي. بيروت: دار الولاية، ص ١٢١-١٢٥؛ وانظر أيضاً: الندوي، أبو الحسن علي الحسني. ٢٠٢٠. حديث مع الغرب. القاهرة: دار الصحوة، ص ٢١٩.

لم تُسند بقاعدة علمية وصناعية مستقلة تحمي القرار الوطني من الابتزاز الخارجي، ويتحدد الجهد العلمي هنا بوصفه واجباً حركياً وفريضة وجودية تنبع من صلب مبادئ الرسالة التي تربط استخلاف الإنسان في الأرض بقدرته على تطويع نوااميس الكون واستثمار موارده لإحقاق الحق وحماية المستضعفين^(١).

يقوم البناء الإبيستمولوجي للجهد العلمي على قاعدة معرفية كلية أطلقها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - (الْعِلْمُ سُلْطَانٌ، مَنْ وَجَدَهُ صَالَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْهُ صِيلَ عَلَيْهِ) إذ يوضح هذا المأثور أن العلم ليس ترفاً ذهنياً بل هو المنبع الحقيقي للاقتدار وبسط النفوذ، فالدول والجماعات التي تمتلك ناصية المعرفة تفرض إرادتها السيادية، بينما تُقهر وتُستباح مقدرات تلك التي تغفل عن امتلاكه.

وفي تفكيك عميق لعلل التراجع الحضاري للأمة الإسلامية، يقدم المشروع القرآني قراءة إصلاحية نقدية تبين أن القرآن الكريم يمثل المنهاج الحي والمفتاح الأساس لكل نهوض تجريبي وصناعي، متناولاً هذا التأصيل عبر أبعاد محددة، هي:

- نقد الانحراف الكلامي والمدرسي لنصوص التفكير، فقد بينَ الشهيد القائد أن المأساة التاريخية لغياب النهضة العلمية لدى المسلمين بدأت عندما عطلت نصوص «التفكير» والتدبر الكوني، وفي مقدمتها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، حيث صُرفت هذه الآيات عن مقصدها الميداني إلى أبحاث كلامية ومماحكات وجدل عقائدي ونظري عقيم، فبدلاً من أن تحفز الآيات عقول المسلمين لدراسة الطبيعة، وفحص عناصر الأرض، وابتكار الصناعات والآلات، حصرها المشتغلون بعلم الكلام في استنتاجات منطقية تجريدية مبسطة (هذا مُحَدَّث، ولكل مُحَدَّث مُحَدَّث، إذَّاهُ صانع حكيم!)، لتنتهي المسألة بمجرد إصدار حكم ذهني لا يترك أثراً في الوجدان الإيماني ولا يُثمر تقنية أو عمارة في واقع الحياة^(٢).
- المحرك العبادي مقابل دوافع الحاجة والفضول فقد أوضح المشروع القرآني أن شعوب الغرب واليابان تفوقت صناعياً وتقنياً نتيجة تفكيرهم ودراستهم المعمقة للظواهر المادية انطلاقاً من غريزة الفضول ومقتضيات الحاجة، وفي المقابل، كان

(١) الخولي، محمد عبد العزيز. ٢٠٠٠. الإسلام وبناء الحضارة الإنسانية. مرجع سابق، ص ٧٦؛ ومؤسسة الإمام الخامني للتأليف والنشر. ٢٠١٥. أخلاقيات العلم والجهد العلمي في فكر الإمام الخامني. مرجع سابق، ص ١٢٥-١٣٠.

(٢) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، ص ١١-١٢.

حرياً بالمسلمين، لو فهموا كتابهم، أن يكونوا أسبق الأمم إلى الاختراع والابتكار، لأن القرآن جعل التفكير في المادة والكون واكتشاف سنن الله عبادة يتقرب بها العبد إلى خالقه، ومسؤولية رسالية تُعمق خشية الله ومعرفته وتدفع نحو عمارة الأرض بالعدل والاقتدار^(١).

• استخلاف آدم والدلالة التمكينية لـ «الأسماء كلها فقد فكك المشروع القرآني الرؤية التقليدية التي تفصل الدين عن واقع الحياة وتحصر العبادة في الطقوس التجريدية المنعزلة، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. فالتعليم الإلهي لآدم لم يكن تلقيناً لأوراد وأذكار وصلوات مجردة؛ إذ إن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، بل كان تعليماً لقائمة موسعة من مظاهر العالم المادي، وأدوار عناصره، وطرق التعامل معها واستثمارها، فاستخلاف الإنسان في هذا «المنزل الكوني الكبير» يقتضي الإحاطة بمكوناته وطاقاته (المعادن، الصخور، الأجواء، النباتات، والطاقات الكامنة) لتسخيرها وصناعتها بما يحقق الشهادة بكمال الله وحكمته عبر التمكين الحضاري^(٢).

تقوم الفلسفة الاستراتيجية للمشروع القرآني على وعي سنني بضرورة اقتران المبادئ الأخلاقية والروحية بأدوات الردع المادية، فالقيم العدلية المجردة تظل عاجزة عن حماية المستضعفين ما لم تستند إلى قوة رادعة تحميها من عسف القوى الاستكبارية، ويتأصل هذا الوعي عبر القراءة المعمقة لجدلية «الكتاب والحديد» استناداً إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥]، حيث ورد إنزال الحديد مقروناً بإنزال الكتاب والميزان بصيغة دالة على التلازم العضوي، مؤكدة أن إقامة القسط وبسط العدالة الرسالية لا يمكن أن تتحققا في دنيا الواقع إلا بحيازة «بأس الحديد» وتوظيف منافعه التصنيعية والتكنولوجية^(٣). وينبثق عن هذا الفهم تحليل نقدي لأخلاقيات المعرفة وسوء توظيفها:

• مادية الآليات وتخاذل الوعي الرسالي حيث تتجلى المفارقة المؤلمة حين قعد المسلمون عن أعمال عقولهم في استثمار المواد وتصنيع المعادن، بينما أقبل أعداؤهم على تشغيل الحديد والبلاستيك والقطع التكنولوجية لصناعة

(١) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، ص ١٢-١٣.

(٢) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس الثالث»، ص ١٩-٢١.

(٣) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس الثالث»، ص ٢٠-٢١.

الطائرات الحربية، والدبابات، والمدافع المتطورة. وبذلك تمكن أهل الباطل من قهر المسلمين والوصول بباطلهم وثقافتهم المضللة إلى داخل المساجد والمدارس، في حين فرطت الأمة في فريضة الإعداد الشامل المنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، مما أظهر الحق الإلهي في مظهر الضعف والاستلاب لغياب الأدوات المادية الحامية له^(١).

• النقد الأخلاقي والبيئي للمادية الغربية حيث يُميط الفكر المقاوم للثام عن التناقض الجذري بين المنظور الرسالي للعلم والنموذج الغربي النفعي، فالغرب عندما انطلق في ثورته الصناعية بمعزل عن هدى الله وبدافع الربح السريع وخفض الكلفة، تسبب في كوارث بيئية كبرى، ولوث الكوكب بالنفايات النووية والسموم الكيميائية، وسخر منجزات الذرة والصناعة لنهب مقدرات الشعوب. وفي المقابل، يوجب المنظور الإيماني صيانة الإنسان وبيئته كأولوية تسبق حسابات الربح المالي، داعياً إلى اعتماد بدائل صناعية نظيفة وإن كانت أكثر كلفة مادية، تأدباً مع السنن الإلهية الحافظة لتوازن الحياة^(٢).

• العلوم بين البناء الحضاري وأدوات التخريب حيث استعرض الشهيد القائد دلالات قصة هاروت وماروت في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ليؤكد أن العلوم الطبيعية والفيزيائية (كالطاقة الذرية) هي في أصلها طاقات مسخرة محايدة يمكن توظيفها في الخير أو الشر. غير أن تجريد العلوم من المنظومة الأخلاقية يُحيلها إلى وسائل للتفريق والإفساد والتدمير كما فعل بنو إسرائيل حين حولوا المعارف السامية إلى تمانم وطلاسم للتفريق، في حين أن الرؤية الإيمانية كنموذج سليمان وذي القرنين وظفت العلوم الهندسية والصناعية والفيزيائية الخارقة لبناء العمران، وبسط العدالة، وإعانة المستضعفين^(٣).

تتطلب السيادة المعرفية، وفق ما يؤكد الشهيد القائد، قطيعة أبستمولوجية ونفسية حاسمة مع منظومة الاستلاب الثقافي، فالقوى الاستكبارية تدرك أن استدامة

(١) الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس الثالث»، ص ٢١؛ وكذا الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «تكملة لقاء المعلمين»، ص ١٤.

(٢) الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «دروس معرفة الله - الدرس الثاني»، ص ١٣-١٤؛ وكذا الندوي، أبو الحسن علي الحسيني. ٢٠٢٠. حديث مع الغرب. مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٣) الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس الخامس»، ص ٢٣-٢٦.

تفوقها وهيمنتها لا تتحقق بالقوة العسكرية الصرفة وحدها، بل عبر فرض سياسة احتكار معرفي صارمة تُبقي دول الجنوب والمنطقة في موقع التابع العاجز عن التفكير المستقل أو التطوير الذاتي^(١). ويرتكز تشخيص الفكر الاستراتيجي المقاوم لكسر التبعية واسترداد المبادرة على محاور بنيوية، هي:

- تفكيك سياسة «تصدير فضلات المعرفة» حيث كشف الشهيد القائد عن السياسة الاستعمارية المتبعة مع دولنا، حيث يتعمد الخبراء الغربيون حجب الأسرار الجوهرية للعلوم الحديثة، ولا يُصدّرون لشعوبنا إلا «قشور المعرفة وفضلاتها». وتقتصر هذه المعارف الجزئية على تدريب الكوادر المحلية على تشغيل واستعمال آلات الغرب لضمان بقاء بلداننا أسواقاً استهلاكية ومستهلكين دائمين لمنتجاتهم، دون السماح بنقل أسرار التصميم وقواعد التصنيع التي تتيح المنافسة والإنتاج الذاتي^(٢).
- أزمة برامج الابتعاث غير المحصنة بالهوية فقد شخّص الشهيد القائد، الخلل الهيكلي في برامج الابتعاث التي توفد الطلاب والشباب إلى الجامعات الغربية دون تسليحهم بالوعي الإيماني والهوية الحضارية المستقلة، فالطلاب غير المحصن يعود منبهاً بمظاهر الحضارة الغربية ومزديراً لمجتمعه وأمتة، وتتعلم هذه الفجوة بفعل إهمال السفارات والملحقيات الثقافية لرعاية هؤلاء النوابع مادياً ومعنوياً وتأخير مخصصاتهم، مما يدفع كثيراً منهم إلى التنكر لأوطانهم أو البقاء في الغرب لخدمة مشاريعه بدلاً من العودة لبناء مجتمعاتهم^(٣).
- استلزام التجارب المقارنة في الحفاظ على الهوية، فقد استدعى المشروع القرآني للشهيد القائد نموذج النهضة اليابانية والصينية كبرهان تاريخي على إمكانية التعلم من الخصوم دون فقدان الذات، فاليابانيون رغم هزيمتهم الكبرى في الحرب العالمية الثانية (كارثة هيروشيما)، حرصت دولتهم على إرسال الطلاب بوعي قومي صارم ورعاية كاملة ليتعلموا في الغرب بهدف التفوق عليه وهزيمته اقتصادياً وتكنولوجياً. وعاد أولئك النوابع دون أن يستلبهم الغرب فصنعوا معجزتهم الصناعية والزراعية المبتكرة حتى في المساحات الضيقة

(١) مركز الإمارات للدراسات والبحوث. ٢٠٢٣. الشراكات الاستراتيجية وسلاسل الإمداد الدفاعي والتكنولوجي.

مرجع سابق، ص ٦١-٦٠؛ وكذا الندوي، أبو الحسن علي الحسني. ٢٠٢٠. حديث مع الغرب. مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٢) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «من نحن ومن هم»، ص ٣.

(٣) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «من نحن ومن هم»، ص ٣-٤.

كزراعة شرفات المنازل واستخدام القوارب والزوارق البحرية لإنتاج الغذاء، في حين افتقد المسلمون هذا المشروع الحضاري رغم امتلاكهم للقرآن وثروات الأرض الواسعة^(١).

- اقتحام مجالات التكنولوجيا الفائقة فانطلاقاً من هذا الوعي، وجّهت قوى المحور اهتمامها نحو كسر الاحتكار في العلوم المتقدمة، مثل الطاقة النووية للأغراض السلمية، وتكنولوجيا النانو، والخلايا الجذعية، والذكاء الاصطناعي، وعلوم الفضاء والسبائك المقاومة للإجهاد، لإدراكها أن السيادة الحقيقية لا تتجزأ، وأن مجابهة الاستكبار تقتضي امتلاك مفاتيح التطور العلمي المعاصر وتجريد القوى الغريبة من أدوات الهيمنة والابتزاز^(٢).

ثانياً؛ كسر الحصار بشبكات تبادل التكنولوجيا وتأمين سلاسل الإمداد

يخوض المشروع القرآني مواجهتها الشاملة في ظل بيئة دولية محكومة بعقوبات قسرية أحادية وحظر تقني صارم تفرضه المؤسسات الخاضعة للهيمنة الأمريكية، ولم يعد الحصار المعاصر مجرد إجراءات اقتصادية تهدف لمنع تدفق الأموال، بل استحال إلى استراتيجية «تطويق معرفي وتكنولوجي» تسعى لشل القدرات التصنيعية لدول المحور ومنعها من حيازة المواد الدقيقة والتقنيات ذات الاستخدام المزدوج. وأمام هذا التحدي البنيوي، تم ابتكار نمطاً فريداً من الدبلوماسية المعرفية والتكنولوجية التشاركية، يركز على نسج شبكات معطيات آمنة، وتبادل الخبرات الهندسية، وتأمين خطوط إمداد حيوية تعتمد على المعرفة الحركية الميدانية كأداة لكسر الطوق وإبطال مفاعيل العقوبات^(٣).

ينطلق المشروع القرآني في قراءته للحصار والاستهداف من القاعدة القرآنية التي رسخها الشهيد القائد في قوله تعالى: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، إذ تُعد هذه الآية بمثابة بوصلة للتحليل الاستراتيجي تكشف الخلفيات العميقة لسياسات القوى المهيمنة، وتوفر

(١) المرجع السابق، نفس الصفحتين.

(٢) مركز الإمارات للدراسات والبحوث. ٢٠٢٣. الشراكات الاستراتيجية وسلاسل الإمداد الدفاعي والتكنولوجي.

مرجع سابق، ص ٦-١؛ والندوي، أبو الحسن علي الحسني. ٢٠٢٠. حديث مع الغرب. مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٣) الحدابي، إلهام. ٢٠٢١. القواعد العسكرية في منطقة الشرق الأوسط: الدور العسكري وتسابك المصالح.

مرجع سابق، ص ٣٠-٣٥؛ ومجلة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٢٠. «البيئة الاستراتيجية للإنتاج الحربي

والتكامل الصناعي العسكري الإقليمي». مرجع سابق، ص ٣٠-٣٢.

حصانة فكرية مانعة من الوقوع في فخ الوعود الغربية المخادعة^(١). وتتجلى أبعاد هذا الاستهداف المعرفي في الوقائع الآتية:

- استراتيجية حرمان الأمة من التصنيع والخبرات العالية، فقد أوضح الشهيد القائد أن جوهر سياسات الاستكبار يقوم على الحيلولة دون امتلاك العرب والمسلمين للكفاءات العلمية العالية أو التحول إلى دول مصنعة مستقلة؛ وذلك لضمان بقائهم في أسفل درجات التبعية الاقتصادية، ولتظل الثروات النفطية والمالية الهائلة التي تمتلكها شعوب المنطقة مصبوبة في شرايين الاقتصاد الغربي ومصلحه، في حين تُمنع دول المنطقة من بلوغ نهضة صناعية تماثل نهضة اليابان وكوريا^(٢).

- تدمير البيئات العلمية وتصفية العلماء حيث أكد الشهيد القائد أن الغزو والعدوان الأمريكي على العراق لم يكن موجهاً لإسقاط نظام حاكم فحسب، بل استهدف بالأساس تدمير الكيان العلمي العراقي إذ تركزت المهام الاستخباراتية على تفتيش المعامل، والمختبرات، والجامعات، وإعداد قوائم تفصيلية للعلماء والخبراء تمهيداً لملاحقتهم وتصفيتهم جسدياً أو احتواؤهم وتهجيرهم لتفريغ العراق من طاقاته. وهو النمط عينه الذي طبقته وكالات الاستخبارات الصهيونية والغربية ضد علماء الذرة والفضاء في إيران ومهندسي المقاومة في لبنان، وسوريا، وغزة لاغتيال العقل المبتكر للأمة^(٣).

- كسر التبعية بالانفتاح على التحالفات الشرقية المستقلة فقد شدد الفكر المقاوم على أن الرد الاستراتيجي على سياسة التطويق لا يكون بالاستجداء والتراجع، بل بالاعتماد الصارم على القدرات الذاتية، والانفتاح المعرفي على قوى غير خاضعة للهيمنة الصهيونية-أمريكية كالصين وكوريا؛ مستشهداً بنجاح التجربة الإيرانية في استجلاب الخبرات وتوطينها محلياً حتى بلغت مرحلة الاقتدار والتصنيع الذاتي الكامل^(٤).

تُترجم الدبلوماسية المعرفية للمشروع القرآني عبر بنية شبكية عملياتية موحدة

(١) الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٨-٩.

(٢) الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٨-٩.

(٣) الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٨-٩ وكذا الحدابي، إلهام.

٢٠٢١. القواعد العسكرية في منطقة الشرق الأوسط. مرجع سابق، ص ٣٠-٣٥.

(٤) الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٩.

تربط غرف التطوير ومراكز الأبحاث المتقدمة بين صنعاء، وطهران، وبيروت، وبغداد، ودمشق، محققة نقلات نوعية في ميادين الردع المشترك:

- الشبكة التكنولوجية الموحدة ومنصات البيانات المشفرة؛ حيث أسس المحور شبكة اتصالات رقمية سيادية فائقة التحصين والتشفير تربط مجموعات البحث الهندسي والمعامل التخصصية؛ حيث تتيح هذه المنصة التداول اللحظي والأمن لبيانات النمذجة الحاسوبية ومخرجات المحاكاة الرقمية المعقدة في كيمياء الوقود الدافع للصواريخ، وتطوير الخلائط والسبائك المعدنية النانوية المقاومة للحرارة الفائقة الناتجة عن السرعات العالية، بالإضافة إلى تطوير خوارزميات التوجيه الذاتي للمسيرات التي تعمل في بيئات حجب إشارات الأقمار الاصطناعية والتشويش الإلكتروني^(١).
- مؤسسة بحوث الهندسة العكسية وفيها تمثل الهندسة العكسية إحدى أبرز الأدوات الذكية للدبلوماسية المعرفية في المحور، حيث تخضع الطائرات المسيرة المعادية المتطورة مثل النماذج الأمريكية والصهيونية التي أسقطت في اليمن ولبنان وغزة وإيران، لفحص تفكيكي دقيق في ورش مشتركة، واستخلاص بنيتها الهندسية، وفك شيفرات مجساتها الكهروإلكترونية، وتحليل أنظمة الاتصال ورادارات التتبع المركبة عليها^(٢).
- تعميم الشيفرات التصميمية وتكامل الموارد؛ حيث لا تقتصر مخرجات الهندسة العكسية على الساحة التي أسقطت العتاد، بل تُعمم الشيفرات المصدرية والخرائط الهندسية فوراً عبر الشبكة المعرفية المشتركة على بقية الساحات؛ مما يقضي على ظاهرة ازدواجية الإنفاق البحثي، ويوفر مليارات الدولارات وسنوات طويلة من العمل، ويسمح بالإنتاج الكمي لمنظومات دفاع جوي وطائرات انقضاضية مضادة تحيد تفوق سلاح الجو المعادي بأقل التكاليف المادية الممكنة^(٣).

يرتكز كسر الحصار التكنولوجي على تزواج محكم بين البراعة اللوجستية ونظرية

(١) مجلة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٢٠. «البيئة الاستراتيجية للإنتاج الحربي والتكامل الصناعي العسكري الإقليمي». مرجع سابق، ص ٣٠-٣٥.

(٢) مجلة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٢٠. «الهندسة العكسية وتطوير القدرات الصاروخية للمقاومة». مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ١١٨: ص ٣٦-٤٥.

(٣) مجلة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٢٠. المرجع السابق نفسه، ص ٣٢-٤٥.

أبستمولوجية قرآنية رصينة تُعرف بالمعرفة الحركية الميدانية:

- هندسة سلاسل الإمداد اللوجستية غير التقليدية حيث صمم محور الجهاد والمقاومة شبكة ممرات إمداد التفافية متعددة الوسائط برية وبحرية، محصنة بقدرات تمويه واستخبارات دفاعية عالية لتجاوز أطواق الرقابة الدولية ونقاط التفتيش التي تفرضها الأساطيل الغربية في الممرات المائية والمنافذ البرية، لضمان التدفق الآمن للقطع الحساسة والمواد المركبة والرقائق الإلكترونية المتقدمة، مع السعي الحثيث لإنشاء ورش تصنيع وتجميع محلية داخل كل ساحة تحقق الاكتفاء الذاتي التشغيلي تحت أعتى ظروف الحصار^(١).
- نظرية المعرفة وليدة العمل والحركة حيث فكك الشهيد القائد المناهج النظرية الأكاديمية العقيمة التي تقتصر على تلقين النظريات وتدويرها في قاعات الدراسة دون تفاعل حي مع الواقع، مؤكداً أن المعرفة الحقيقية والاكتشافات التكنولوجية الكبرى لا تتولد إلا من صلب الحركة الميدانية العملية ومواجهة التحديات الواقعية. واستشهد على ذلك بأن صعود القوى الدولية كأمريكا والاتحاد السوفيتي إلى الفضاء واستكشاف القمر لم يكن ترفاً أو فضولاً استكشافياً مجرداً، بل تولد من حاجة عملية حتمها الصراع العسكري والسياسي الشامل، ودراسة حسابات الصواريخ، واستغلال مدارات الفضاء كمنصات متقدمة لإطلاق الصواريخ وحسم التوازن الدولي^(٢).
- تحويل بيانات الحصار إلى مختبرات للابتكار وتماشياً مع هذه المنهجية، تحولت الجغرافيا المحاصرة في اليمن وغزة وجنوب لبنان إلى حاضنات للإبداع التصنيعي التكنولوجي، فالضغوط العملياتية المتواصلة للحرب تفرض على العقول الهندسية البحث في السنن المادية، وتجريب خلط المواد، واستنباط بدائل محلية للمكونات المفقودة، وبذلك يتفوق المهندس المقاوم المنخرط في ميدان المعركة على الباحث الأكاديمي المستغرق في التنظير المجرد، مما يحول الحصار

(١) مجلة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٢٠. «البيئة الاستراتيجية للإنتاج الحربي والتكامل الصناعي العسكري الإقليمي». مرجع سابق، ص ٣٣-٣٥؛ وانظر أيضاً: Artelli, Michael J., and Richard F. Deckro. ٢٠٠٨. "Small Wars & Insurgencies." Fourth Generation Operations: Principles for the Long War. ١٩، no. ٢: ٢٢٧-٢٢٨. pp

(٢) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس الثالث»، ص ٢٢؛ وكذا الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس التاسع»، ص ١١-١٢.

من أداة لشل القدرات إلى قوة دافعة لتطوير حلول تكنولوجية استثنائية^(١).

ثالثاً: استشراف بناء التكامل العلمي والتكنولوجي للأمة المستضعفة

يقتضي بلوغ مرحلة النضوج الاستراتيجي والردع الشامل الانتقال من أطر التنسيق الميداني والتقني التكتيكي إلى تأسيس بنية مؤسسية إقليمية نازمة ومستقرة، تتجسد في مشروع الاتحاد العلمي والتكنولوجي للأمة الإسلامية. إن هذا الاتحاد لا يستهدف فقط تعزيز الكفاءة الدفاعية، بل يطمح إلى تأسيس قطب جيو-معرفي واقتصادي متكامل يُعيد تنظيم الطاقات البشرية، وتوجيه الموارد المالية الاستراتيجية، وتوزيع الأدوار البحثية والصناعية وفق المزايا التنافسية، لبناء نهضة علمية مستقلة تسهم في كسر الهيمنة الأحادية وصياغة نظام عالمي تعددي يسوده العدل وتكامل الشعوب الحرة^(٢).

يقدم المشروع القرآني أفقاً استشرافياً لنهوض الأمة الإسلامية عبر تكامل طاقاتها المعرفية والصناعية؛ إذ ينطلق من أن الأمة تمتلك من الثروات والموقع الجغرافي والعقول ما يجعلها في غنى تام عن التبعية للغرب إن تحركت بالهدى القرآني، ويتأسس التكامل على تبادل الخبرات التكنولوجية والصناعية، والاستفادة من النماذج التطبيقية الناجحة في التصنيع التكيفي وكسر الحصار كما قدمه النموذج اليمني، والتكامل مع أي تجربة تحريرية ترفض الهيمنة الاستكبارية وتسعى لامتلاك أسباب القوة العلمية كالتجربة الإيرانية، لتعزيز المنعة الشاملة للشعوب المستضعفة، لهذا يتوجب أن يرتكز البناء الهيكلي للاتحاد العلمي والتكنولوجي المقترح على تطبيق قواعد التخطيط الاستراتيجي واقتصاد المعرفة، عبر استثمار المزايا النسبية والتنافسية التراكمية التي صقلت كل ساحة عبر مسيرتها المقاومة^(٣):

- الجمهورية الإسلامية الإيرانية تمثل العمق المعرفي والصناعي الثقيل للاتحاد، بفضل ما تمتلكه من بنية تحتية أكاديمية عملاقة، ومجمعات علمية وتكنولوجية متقدمة، ومراكز أبحاث متخصصة في فيزياء الطاقة والتخصيب النووي السلمي، وتطبيقات النانو تكنولوجي، والصناعات التعدينية والمعدنية

(١) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس مديح القرآن - الدرس الأول»، ص ١٦-١٧.

(2) Yun, Minwoo. 2010. "Insurgency Warfare as an Emerging New Mode of Warfare and the New Enemy." Barbour, Ian G. 1990. Religion in an Age of Science. San Francisco: Harper & Row, pp. 17-20.

(3) Yun, Minwoo. 2010. و. Barbour, Ian G. 1990. المرجع السابق نفسه، ص 25-20؛ و. Yun, Minwoo. 2010. نفسه، ص 20-17.

المتقدمة، وصناعة وتوجيه الأقمار الاصطناعية ومركبات الإطلاق الفضائي المداري، وتحدد وظيفتها المركزية بتوفير الدعم الأكاديمي والبحثي المتقدم، ورعاية المختبرات المشتركة، وتوطين خطوط التصنيع الحساسة، ونقل الخبرات الأساسية لسائر ساحات الاتحاد^(١).

- الجمهورية اليمنية وتختص بميزتها التنافسية الاستثنائية التي راكمها عبر الصمود الأسطوري أمام العدوان والحصار؛ حيث نجحت في بناء منظومات صواريخ فرط صوتية ومسيرات هجومية واستطلاعية بعيدة المدى، وتطوير تكنولوجيا الزوارق الحربية والغواصات المسيرة المسيطر عليها ببرمجيات ذكاء اصطناعي محلي. ويسهم اليمن في الاتحاد بنماذج التصنيع التكميلي منخفض الكلفة عالي الفاعلية، واختبار المنظومات وتطويرها في مسارح القتال الحي المعقدة البرية والبحرية بالتوازي مع قيادة مشروع الاكتفاء الذاتي الزراعي والغذائي الذي شدد عليه الشهيد القائد الحوثي؛ مؤكداً أن اليمن يمتلك أراضي زراعية شاسعة وتربة خصبة كفيلة بتحقيق الأمن الغذائي لليمن وسائر الدول الشقيقة وكسر سلاح التجويع والاستعباد الأمريكي المفروض عبر التحكم في تجارة الحبوب والقمح^(٢).
- لبنان، وسوريا، والعراق تُسهم هذه الساحات برصيداها الأكاديمي والعلمي المتميز في بناء الجدران النارية والتحصينات الرقمية، وتطوير منظومات الحرب السيبرانية الهجومية والدفاعية، وخوارزميات التشفير المعقدة، كما تقود هذه الساحات برامج التصنيع الصيدلاني، وتطوير التكنولوجيا الحيوية واللقاحات الطبية لتحقيق الأمن الصحي وكسر الحصار الدوائي المفروض على شعوب المنطقة، بالإضافة إلى دورها التنسيقي في رفد الاتحاد بالدراسات الاستشرافية ورصد الاتجاهات العلمية العالمية^(٣).

يستلزم التوجه نحو العمل المؤسسي المستدام للاتحاد العلمي والتكنولوجي للأمة، وضع آليات تنفيذية صارمة تساعد في التحول نحو نهضة علمية مستدامة معالجة شجاعة للتجربة التاريخية لإدارة الأموال كما دعا إلى ذلك الشهيد القائد، تضمن توفير

(١) مرجع سابق، ص ٢٠-١٧. Barbour, Ian G. 1990. Religion in an Age of Science.

(٢) الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي». مرجع سابق، ص ٣٢٦-٣٣٧؛ وانظر أيضاً: الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «يوم القدس العالمي»، ص ١٩.

(٣) الرازحي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. المرجع السابق نفسه، ص ٣٣٠-٣٣٧.

التمويل المستقر وحماية المقدرات المعرفية من الاستنزاف والاختراق، وفق محددات فكرية وتنظيمية أصيلة، هي:

- نقد احتجاز الأموال الشرعية في التجريد النظري فقد قدّم الشهيد القائد السيد حسين الحوئي نقداً تاريخياً وجريئاً لآليات إدارة الأموال في المؤسسات الدينية والمرجعيات الفقهية السّنية والشيعية والزيدية عبر مئات السنين؛ حيث بيّن أن مبالغ طائلة وأموالاً هائلة من الأخماس والتبرعات والأوقاف الاستراتيجية حُبست وجُمدت لقرون في تمويل الدراسات النظرية المجردة وتخريج المشتغلين بالجدل الفقهي والأصولي والفلسفي التجريدي، وإصدار مئات المجلدات في بحوث فرعية مكررة كالجدل حول مسح الأذنين في الوضوء، وتسبب هذا التوجيه المالي القاصر في تفریط الأمة في بناء قوتها وصناعتها، حتى أضحت عاجزة وضعيفة وسقطت تحت الاحتلال الغربي الذي استباح حواضرها ومقدساتها في بغداد والنجف وسائر العواصم^(١).
- إعادة هندسة الموارد والأوقاف لصالح الأبحاث والتكنولوجيا فقد دعا الفكر المقاوم إلى ضرورة تصحيح هذا المسار عبر تحويل نسب كبرى من أموال الأخماس والموارد الشرعية والأوقاف لتمويل بناء الجامعات التقنية، وتشيد المختبرات التكنولوجية المتطورة، والإنفاق بسخاء على مراكز البحث والتطوير، وتقديم منح مالية مجزية للمتفوقين والنوابغ من الشباب تفوق ما يُنفق على الحلقات التجريدية؛ لإعداد علماء ومخترعين يمتلكون أسرار العصر ويسهمون في تحصين الأمة واستقلالها^(٢).
- المظلة الأمنية والاستخباراتية لحماية العقول حيث يُعد الحفاظ على حياة الكوادر البشرية الركيزة الكبرى لديمومة الاتحاد، فالإنتاج العلمي يفقد جدواه إذا ظلت العقول مستباحة، وفي هذا السياق، انتقد الحوئي بشدة تقاعس المرجعيات والمؤسسات عن حماية العلماء والخبراء العراقيين عقب سقوط بغداد عام ٢٠٠٣، وتركهم فريسة سهلة لشبكات الاغتيال التابعة للموساد الصهيوني والمخابرات الغربية، مؤكداً أنه كان يجب بذل ملايين الدولارات لتأمين مساكنهم، وتهريبهم، وتوفير الملاذات الآمنة لهم لحفظ هذا الرصيد

(١) الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ١٠-١١.

(٢) الحوئي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ١٠.

المعرفي النادر من التصفية والضياع^(١).

- مكافحة هجرة الأدمغة وتوفير البيئة الحاضنة يتولى الاتحاد العلمي والتكنولوجي لقوى محور الجهاد والمقاومة المقترح تشييد منظومة أمنية واستخباراتية دفاعية متطورة تؤمن تحركات الخبراء والباحثين داخل جغرافيا المقاومة، وتحصنهم ضد محاولات التجنيد والاختراق الأمني، مع توفير البيئة المعيشية والمهنية الكريمة والحوافز البحثية التي تكفل استقرارهم وتوقف نزيف هجرة الأدمغة إلى الدول الغربية^(٢).

ينفتح النموذج المعرفي القرآني على التعاطي الإنساني الواسع وبناء التحالفات العادلة مع الشعوب والدول الرافضة للهيمنة الاستكبارية لكسر الأحادية القطبية واحتكار التقنيات. ويقدم المشروع القرآني استشرافاً كونياً عميقاً يبرهن على أن الحضارة الغربية المادية باتت مهددة بالانهيار الذاتي بسبب انفصالها عن هدى الله وهيمنة القوى الاستكبارية التي تدفع بها نحو الحروب وتدمير البيئة؛ مؤكداً أن المنهج الإلهي الذي حمله القرآن الكريم وقدمه الشهيد القائد هو الضمانة الوجودية والأخلاقية الوحيدة لبقاء المعرفة وتسخير العلوم في عمارة الأرض وصيانة كرامة الإنسان. لهذا يجي ألا ينغلق الاتحاد العلمي والتكنولوجي المقترح داخل حدوده الإقليمية، بل ينفث على أفق استراتيجي عالمي ورسالي يسعى لإعادة ضبط مسار الحضارة الإنسانية:

- التحالف مع الجنوب العالمي وكسر الأحادية القطبية حيث يطمح الاتحاد إلى الاندماج في شبكات التعاون التكنولوجي والاقتصادي مع القوى الصاعدة في العالم والدول الحرة الرافضة للإملاءات الاستكبارية ضمن تكتلات مثل بريكس ومنظمة شنغهاي للتعاون ومبادرة الحزام والطريق، بهدف بناء كتل جيو-معرفي تحرري يُسقط احتكار الدول الغربية للتقنيات السيادية ونظام سويفت المصرفي وسلاسل الإمداد العالمية، ويؤسس لنظام دولي متعدد الأقطاب تحكمه العدالة والمصالح المتكافئة للشعوب^(٣).

- هدى الله كضمانة وجودية لاستمرار الحضارة وبقاء العلوم حيث يُقدم الفكر الاستراتيجي للشهيد القائد استشرافاً كونياً عميقاً حول مآلات الحضارة

(١) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ١١.

(٢) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ١١ و ٩.

(٣) الرازي، عبد الله حسن محمد. ٢٠٢٤. «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين

الحوثي (محور العلاقات الدولية والعدالة التحررية)». مرجع سابق، ص ٣٣٧-٣٣٩.

المعاصرة؛ إذ يؤكد أن الحضارة الغربية القائمة، على الرغم مما حققته من تفوق تقني مذهل في استغلال الطاقة الشمسية، والألياف الضوئية، والبث والاتصالات، وغزو الفضاء، تحمل في أحشائها بذور فنائها وانهارها الذاتي، بسبب وقوعها تحت هيمنة القوى الصهيونية الاستكبارية التي تدفع العالم نحو الحروب المدمرة والصراعات الكبرى، وتوظف منجزات العلم لتدمير الإنسان وإفساد الأخلاق وتمزيق المجتمعات كما فعل أسلافهم تاريخياً^(١).

- التلازم الحتمي بين التطور العلمي والمنهج الإلهي وفيه يخلص الشهيد القائد، إلى أن التاريخ يبرهن على أن أي حضارة تمتلك معارف متقدمة وتتخلى عن هدى الله تنتهي حتماً إلى الاندثار وضياع علومها كنماذج الحضارات السابقة وعلوم عرش بلقيس والأهرامات وبابل. ومن ثم، فإن هدى الله المتمثل في القرآن الكريم هو الضمانة الأخلاقية والوجودية الوحيدة لبقاء العلوم وتوجيهها نحو خدمة البشرية وتعمير الأرض، حيث يربط هذا المنهاج بين البحث التجريبي وتزكية النفس، محولاً التقنية إلى وسيلة لإحقاق العدالة وعمل تعبدي يشهد على عظمة الخالق وحكمته وسعة تديره^(٢).

تأسيساً على ما تقدم، يُبرهن هذا المبحث على أن حسم معركة السيادة والاستقلال الحضاري لقوى محور الجهاد والمقاومة لم يعد مرهوناً بحدود الاشتباك الدفاعي الميداني، بل بات مشروطاً بتشديد دبلوماسية معرفية إقليمية تُترجم مفهوم الجهاد العلمي إلى شبكات عملياتية موحدة لتبادل البيانات المشفرة، وتطوير أبحاث الهندسة العكسية، وتأمين سلاسل الإمداد اللوجستية غير التقليدية. وتخلص المعالجة إلى أن الانتقال من التنسيق التكتيكي الظرفي إلى مؤسسة «الاتحاد العلمي والتكنولوجي» المستند إلى تكامل المزايا النسبية والتنافسية لأعضائه، وإعادة توجيه الموارد المالية والوقفية نحو البحث المتقدم وتأمين العقول المبتكرة، يُمثل الذراع الاستراتيجي لكسر طوق الأبارتهيد التكنولوجي الغربي، والمدخل الفاعل لبناء قطب جيو-معرفي تحرري يسهم في صياغة نظام دولي متعدد الأقطاب تحكمه العدالة والمنعة المستقلة.

(١) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس الخامس»، ص ٢٥-٢٧؛ وكذا «دروس رمضان - الدرس السادس»، ص ٢-٤.

(٢) الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس الخامس»، ص ٢٦ و٢٩؛ وكذا الحوثي، السيد حسين بدر الدين. «دروس رمضان - الدرس الخامس»، ص ٢٦ و٢٩.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

تقف هذه الدراسة في مستهل خاتمتها وقفة استشعارٍ لمسؤولية الكلمة وأمانة المعرفة، مستحضرةً أن استقراء سنن المادة وقوانين الوجود ليس ترفاً فكرياً مجرداً، بل هو استجابة خاشعة لنداء الوحي الذي جعل من استنطاق الآفاق والأنفس مساراً لترسيخ اليقين وتعميق معرفة العبد بخالقه وتدييره: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. ومن هذا الأفق الإيمانى الرحب، لا تأتي هذه الخاتمة بوصفها تلخيصاً ميكانيكياً ساكناً لفصول الدراسة ومباحثها، بل هي محطة حصادٍ تركيبي تتنزل فيها المعطيات التأصيلية على وقائع الميدان، لتقديم إجابة سننية متماسكة على الإشكالية الوجودية الكبرى التي خاضت الدراسة في غمارها: معضلة الفصام المعرفي بين هداية الوحي وإمكانات الأمة الحضارية من جهة، وبين واقع الارتهان والتبعية ومشاعر العجز التي كبلت إرادة المسلمين لقرون طويلة من جهة أخرى.

وفي خضم هذا المأزق الحضاري المزدوج، سعت هذه الدراسة إلى إبراز معالم «المشروع القرآني» كما أسس منطلقاته التأصيلية الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي -رضوان الله عليه- وجسد مساراته التطبيقية والاستراتيجية قائد الثورة السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي -يحفظه الله- متكاملًا مع أطروحات قادة محور الجهاد والمقاومة، كمنهاج حياة وبلاغ تحرري يُعيد وصل مسار البحث العلمي التجريبي بالهداية الإلهية، ويجعل من سبر أغوار السنن الكونية، وفهم خصائص المادة وتطويع المعادن، واقتحام حقول التصنيع والزراعة، عبادةً جهادية وفريضة استخلافية ملزمة لا تنفك عن مقتضيات الإيمان بالله والثقة به.

وتأسيساً على هذا المنظور التوحيدي، والتزاماً بأدوات التثليث المنهجي التي جمعت بين المعيار القرآني الحاكم، والتحليل الفكري الوثائقي للمشروع، والرصد الميداني الإمبريقي لمنتجات الصناعات الدفاعية والتنموية، تضع الدراسة بين يدي القارئ وصانع القرار هذا النتاج التركيبي، مستعرضةً خلاصاتها، وآفاقها الاستشرافية، ومصفوفاتها التنفيذية، وتوصياتها المقترحة، لا بدافع التوصيف النظري المستغرق في التجريد، بل كمنهاج عمل وبصيرة واقعية تنطلق من هدى القرآن لإسقاط رهبة التكنولوجيا الزائفة، وبناء معادلات السيادة والاستقلال والشهود الحضاري الشامل للأمة بهدى الله.

أولاً: أبرز النتائج العامة للدراسة ومساراتها التأصيلية

تنتظم نتائج الدراسة في خمسة مسارات موضوعية متكاملة، يمثل كل مسار منها إجابة علمية وتأصيلية عن التساؤل الرئيس وتساؤلاته الفرعية الخمسة، وهي:

١. المسار المعرفي الإبستمولوجي، فقد توصلت الدراسة إلى أن المشروع القرآني يؤسس لنسق معرفي توحيدي ينفي القطيعة المصطنعة بين هداية الوحي وسنن الطبيعة، حيث أثبت التحليل أن سبر القوانين الفيزيائية والكيميائية للمادة واستقراء السنن الكونية يُعدان امتداداً معرفياً خالصاً للتوحيد، وتجسيداً عملياً لمعرفة الله وعظمته وسعة تدبيره.

وقد كشف الاستقراء التحليلي لنصوص التنزيل الحكيم في سورة البقرة أن استخلاف الإنسان في الأرض لم ينحصر في حدود العبادة التنزيهية السكونية التي أشارت إليها الملائكة في حوار البداية التكويني: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، بل تجلّى جوهر التكليف الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. وتستنتج الدراسة أن هذا التعليم كان تمكيناً إدراكياً شاملاً بطبائع مفردات العالم الحسي، وخصائص المواد، والمعادن، وسنن الطبيعة؛ لتمكين الإنسان المستخلف من أداء فريضة عمارة الأرض بالعدل، ومباشرة خاماتها لصناعة أسباب المنعة وإقامة القسط، وهو مقام لا يستقيم بمجرد التسبيح التجريدي الذي تؤديه ملائكة السماء دون فتور.

وفي المقابل، فككت الدراسة مرتكزات الفلسفة الوضعية المادية الحديثة، الممتدة من بيكون وديكارت وصولاً إلى وضعية كونت، مبرهنَةً على أن عزل العلم عن الغائية الإلهية والمسؤولية الأخلاقية حوّل العقل البشري إلى أداة براغماتية متوحشة كرسّت صنمية «الإنتاج بأقل تكلفة لتعظيم الأرباح»، مما أدى إلى الخراب الإيكولوجي وتلويث البر والبحر بالنفائات والسموم، وتوظيف التقنية كأداة قهر إمبريالية لنهب موارد الشعوب المستضعفة.

وتخلص الدراسة، في استقراءها لفلسفة التاريخ القرآني، من واقعة عرش بلقيس المستندة إلى قوانين «علم الكتاب» إلى انحدار بني إسرائيل نحو الطلاسم والسحر بعد إضاعتهم للعلوم التسخيرية في عهد سليمان عليه السلام، إلى أن هدى الله المتمثل في القرآن الكريم هو الضمانة الوجودية والأخلاقية الوحيدة لبقاء المعرفة

ونمائها وحمايتها من التلاشي والانتحار الحضاري.

٢. المسار النفسي والاجتماعي، فقد أظهرت نتائج التحليل السوسولوجي والنفسي أن تراجع المجتمعات المسلمة في مضمار الإنتاج والتكنولوجيا ليس قدراً تكوينياً أو نقصاً في المواهب والثروات، بل هو نتيجة نكوص فكري واستبطان جمعي مركب لعقدة العجز والدونية أمام التفوق المادي الغربي. وقد بينت الدراسة أن هذا الاستلاب الحضاري تفاقم عبر مسارين: مسار تاريخي داخلي استهلك طاقات الأمة في جدليات كلامية وفقهية فرعية سكونية، ومسار استعماري خارجي وظف سياسات الابتعاث غير المحصن لتفريغ الكوادر من هويتها وإنتاج نخب مستلبة تنبهر بالغرب وتزدرى قدرات أمتها وموروثها، متزامناً مع سياسة غربية ممنهجة تحجب أسرار التصنيع المتقدم ولا تمنح إلا «فضلات المعرفة» التي تصنع فنيي تشغيل لمنتجات الشركات الرأسمالية وتأبد تبعية الأسواق.

كما أثبتت الدراسة فاعلية الرؤية التربوية والمفاهيمية للشهيد القائد، في هدم مقولة الحتمية التكنولوجية للغرب، من خلال استعادة الهوية الإيمانية وتحويل عقيدة «الثقة بالله» ومفهوم «التوكل» من التواكل السلبي والانسحاب المسجدي إلى طاقة سيكولوجية إيجابية تدفع الباحث والمهندس نحو الاقتحام المعلمي والاشتباك المباشر مع خامات المادة بيقين الاستخلاف.

وقد أكدت المقارنة السوسولوجية مع التجربة اليابانية عقب الحرب العالمية الثانية إمكانية قهر الفقر الجغرافي والدمار المادي حين تتوفر الهوية الصلبة وأخلاقيات العمل المقدس ورعاية المبتعثين وابتكار حلول كزراعة القوارب وشرفات المنازل. وتُفصح هذه المقارنة عن المفارقة المؤلمة لواقع العالم الإسلامي، واليمن على وجه الخصوص، الذي حباه الله بمساحات زراعية شاسعة وتربة خصبة ومقومات تؤهله للاكتفاء الذاتي وإطعام جواره، ومع ذلك يزرع تحت التبعية الغذائية بفعل استلاب الإرادة وفقدان بوصلة الهدي القرآني.

٣. المسار المؤسسي والتنموي، حيث تقترح الدراسة تنظيراً مؤسسياً لنموذج «مثلث التكامل المعرفي الإنتاجي السيادي» لمعالجة التفكك الهيكلي الذي يفصل مؤسسات التعليم النظري عن حقول الواقع، عبر إحداث ترابط وظيفي عضوي بين ثلاثة أضلاع: الضلع المعرفي والبحثي (الجامعات ومراكز التطوير)، والضلع الإنتاجي والتطبيقي (المصانع، والمزارع، والورش، وحقول التعدين)، والضلع

السيادي القيادي (مراكز القرار الثوري والدفاعي التحرري).

وتوصلت الدراسة إلى أن إنهاء ظاهرة «الأبحاث الرفية» المجردة يفرض التحول الحاسم نحو حوكمة «الأبحاث التعاقدية الموجهة والميدانية»، انطلاقاً من المبدأ الإيماني الحركي الذي يقرر أن المعرفة الحقيقية تتسع وتتطور بالتزامن مع اتساع رقعة المهام والمسؤوليات الواقعية في ميدان مواجهة التحديات.

وبرهنت المعالجة على أن السيادة السياسية والاستقلال الوطني يظلان وهماً ما لم يسنداً بسيادة حيوية، فالأمة التي تأكل من وراء بحار أعدائها وتستورد دواءها وسلاحها منهم تسقط حريتها ويصادر قرارها عند أول اختبار حقيقي للمواجهة.

وعملًا بالقاعدة القرآنية الكاشفة لمكونات الخصوم: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خِطِّونَ رَبِّكُمْ﴾، تخلص النتائج إلى أن تركيز الأولويات البحثية على تأسيس بنوك البذور البلدية الأصلية لمواجهة مؤامرات كارتيلات التعديل الوراثي الاستكبارية، وتطوير تقنيات الري الذكي والحصاد المائي، واقتحام التخليق الكيميائي الصيدلاني العكسي للمواد الفعالة، واستثمار الفلورا الطبية المحلية، يمثل الواجب الشرعي المباشر لتطبيق قاعدة «نفي السبيل» وتحويل الزراعة والصيدلة إلى محاريب جهاد تصنع المناعة الوجودية للدولة المسلمة.

٤. المسار الاستراتيجي والردعي، فقد قدمت الدراسة تأصيلاً فقهيًا واستراتيجيًا للمزاوجة القرآنية المعجزة بين إنزال الكتاب والميزان وإنزال الحديد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، مبينة أن قيم العدالة الرسالية وحماية المستضعفين تظلان أمنيّات معطلة في واقع الصراع ما لم تذد عنها ذراع تصنيعية صلبة تمتلك «بأس الحديد» المتجسد في الصناعات التعدينية وهندسة السبائك وعلوم المقذوفات والطيران، لردع ما وظفه أهل الباطل من أدوات مادية لفرض استكبارهم.

كما أصّلت الدراسة المشروعية الشرعية والأخلاقية للهندسة العكسية المقاومة، استناداً إلى مبادئ دفع الصائل والحق الطبيعي في الدفاع عن النفس والسوابق النبوية الشريفة في استعارة الأدوات العسكرية، معتبرة أن السنن والمعارف العلمية في أصلها التكويني ملك إنساني مشترك، مما يسوغ التحلل المطلق من قيود الملكية

الفكرية وبراءات الاختراع الاحتكارية التي توظفها القوى الاستكبارية كـ «أبارتهايد تكنولوجي» لمنع الشعوب المستضعفة من حيازة أسباب المنعة.

وقد وثقت الدراسة إمبيريقياً نجاح التجربة التطبيقية في اليمن ومحور الجهاد والمقاومة في تحويل ظروف العدوان والحصار المطبق إلى بيئة حاضنة للابتكار، وتشديد ثالوث تسليحي متطور شمل:

- القوة الصاروخية الباليستية وفرط الصوتية متجاوزة المدى والدقيقة، كنظام فلسطين ٢، وحاطم، وطوفان.
 - سلاح الجو المسير الاستراتيجي والتكتيكي متعدد المهام المصنوع من خامات وبوليمرات مركبة محلية خافضة للبصمة الرادارية، كعائلات صماد، ووعيد، ويافا.
 - القوة البحرية والدفاع الساحلي المعتمد على الزوارق غير المأهولة الذكية (طوفان) والصواريخ الباليستية المضادة للسفن (ASBMs).
- وقد مكنت هذه الترسانة من فرض معادلة استراتيجية لمنع الوصول وحرمان المنطقة في مسارح البحر الأحمر وباب المندب وبحر العرب والمحيط الهندي، وكسر التفوق التقليدي للأساطيل الأمريكية والغربية، وتجسيد مفهوم الردع القرآني: ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ كحاصل ضرب للمنعة التقنية في شجاعة القرار القيادي المستقل.

٥. المسار الجيوسياسي والتكاملي، فقد خلصت الدراسة إلى أن حسم معركة السيادة والاستقلال الحضاري لم يعد ممكناً بالانكفاء داخل الحدود القطرية، بل يفرض صياغة «دبلوماسية معرفية إقليمية» تنطلق من نظرية «الجهاد العلمي» وقاعدة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الْعِلْمُ سُلْطَانٌ، مَنْ وَجَدَهُ صَالَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْهُ صِيلَ عَلَيْهِ»؛ للانتقال من التنسيق العسكري الميداني التكتيكي إلى بناء اقتدار معرفي وتكنولوجي تكاملي مشترك.

وأكدت الدراسة أن مواجهة التطويق المعرفي وحرب الاغتيالات التي يشنها الاستكبار ضد العقول الوطنية تفرض الانتقال نحو بناء تكامل علمي وتكنولوجي استراتيجي في إطار الأمة المستضعفة، وتوجيه الموارد المالية والشرعية لتشديد شبكات بحثية ومختبرات تصنيعية متقدمة؛ استناداً إلى المنطلقات

المعرفية للمشروع القرآني في تحقيق الاستقلال والشهود الحضاري وصيانة كرامة الإنسان.

ثانياً: التوصيات

سعيًا لتحويل النتائج التأصيلية ونموذج مثلث التكامل وأولويات فقه الحديد والأمن المعرفي إلى واقع مؤسسي إجرائي محكم، تقترح الدراسة مصفوفة سياسات تنفيذية تركيبي عبر مسارات قطاعية متكاملة تتربط حلقاتها وظيفياً لإدارة المعرفة والتصنيع السيادي، هي:

١. القطاع السيادي والتشريعي، يتمثل في:

- إعلان عقيدة الجهاد العلمي والإنتاجي كعقيدة تنموية وسيادية ملزمة لكافة مؤسسات الدولة، ومساواة ورش التصنيع ومختبرات البحث العلمي بجهات الدفاع والتضحية العسكرية في منحها الأولوية المطلقة للدعم وتخصيص الموارد.
- تأسيس المجلس الأعلى للبحوث العلمية والصناعات السيادية يرتبط مباشرة برأس القيادة الثورية والسياسية، وتُمنح صلاحيات فوق-وزارية لتجاوز البيروقراطية وتوجيه الدعم لأولويات التصنيع الدفاعي، والسيادة الغذائية، والاستقلال الدوائي.
- إصدار قانون التحرر التكنولوجي والهندسة العكسية السيادية لإضفاء المشروعية القانونية الكاملة على فك شفرات واستنساخ وتطوير كافة الأسلحة والمعدات والتجهيزات التقنية المحصلة من الخصوم كحق أصيل للدفاع عن النفس ودفع الصائل، مع إعلان التحلل التام من كافة اتفاقيات الملكية الفكرية وبراءات الاختراع الدولية المجحفة التي صُممت لحصار المستضعفين ومنعهم من امتلاك أسباب القوة.
- إلزام الحكومة بجداول زمنية صارمة لتحقيق الاكتفاء في إنتاج الحبوب الاستراتيجية والدواء الأساسي، صوناً للسيادة وتجسيد قاعدة نفي السبيل ومنع العدو من استخدام سلاح التجويع والحصار.

٢. قطاع التعليم العالي والبحث العلمي والجامعات، ويتمثل في:

- التطبيق الإلزامي لبرنامج «الأبحاث التعاقدية الموجهة والميدانية» في الدراسات العليا بكليات الهندسة والعلوم والزراعة والصيدلة، وحظر تسجيل أي أطروحة ما لم تكن عقداً لحل معضلة تصنيعية أو زراعية قائمة أو ابتكار بديل محلي لمداخلات مستوردة، مع الإلغاء الفوري للمواضيع النظرية الساكنة.
- إعادة ضبط معايير التقييم والترقيات الأكاديمية بربط ترقية أعضاء هيئة التدريس بمقدار ما ينجزه الباحث من إحلال عملي وتوطين للتقنيات والبدائل في المصانع والحقول، بدلاً من الاقتصار على النشر الشكلي في الدوريات الغربية
- تأصيل المناهج بالآبستمولوجيا القرآنية عبر إدراج مقررات متخصصة في فلسفة الاستخلاف وعمارة الأرض والسنن الكونية لتحسين الطلاب ضد الاستلاب الحضاري.
- مسارعة الجامعات والمراكز البحثية إلى إنشاء بنوك وطنية لحفظ وتطوير بذور المحاصيل البلدية الأصيلة لمواجهة الشركات الاحتكارية العالمية، وتأسيس مختبرات متقدمة للتخليق الكيميائي الصيدلاني العكسي للمواد الفعالة واستثمار الفلورا الطبية المحلية بتقنيات النانو الحديثة.

٣. القطاعات الإنتاجية والتصنيعية العسكرية والمدنية.

- الفتح الإلزامي للمنشآت والمجمعات الصناعية وورش القوات المسلحة أمام طلاب وأساتذة الكليات التقنية والهندسية لفترات تدريب ومعايشة دورية إلزامية، لكسر العزلة الأكاديمية وتطبيع العقل العلمي مع المعدن المادي والآلات وتحديات خطوط الإنتاج.
- مؤسسة دوائر الهندسة العكسية والتصنيع التكميلي عبر إنشاء وحدات هندسية تخصصية دائمة داخل المرافق الإنتاجية تعنى بفرز وتحليل العتاد التقني والأسلحة المعادية المسقطّة أو المغتنة، والعمل على استنساخها وإعادة تصميمها وتصنيعها تكيفياً بخامات ومكونات بديلة متوفرة محلياً لخفض كلفة الإنتاج وتحقيق الوفرة التسلسلية.
- توجيه الاستثمارات والخطط التصنيعية نحو إنتاج المواد الوسيطة، وسبائك المعادن الدقيقة، والبوليمرات الحساسة، لتقليص الاعتماد على الاستيراد

وتأمين الاستقلالية التشغيلية وخطوط الإمداد الذاتي أثناء ظروف الحصار الخانق.

٤. المنظومة الأمنية والاستخباراتية، تتمثل في:

- إنشاء الهيئة الوطنية للأمن المعرفي كجهاز تخصصي متقدم يجمع بين الكفاءة الاستخباراتية والأمنية والدفاعية والدبلوماسية، يضطلع بتوفير سياج حماية أمني متعدد الطبقات للنوابغ، والمبتكرين، والعلماء وأسرهم، لإحباط مخططات الرصد، والتجنيذ، والاستدراج، والتصفية الجسدية التي تديرها أجهزة الاستخبارات المعادية.
- الإشراف على بناء وتشيد المختبرات الحساسة وخطوط الإنتاج الدقيقة في أعماق المنشآت الجبلية وتحت الأرض لحمايتها من الرصد الفضائي والضربات الجوية، وفرض أقصى معايير العزل الشبكي والسيبراني المغلق على منظومات البرمجة والتصميم الصناعي لمنع الاختراقات والتجسس الإلكتروني.
- وضع استراتيجية وطنية متكاملة لرعاية أسر النوابغ والخبراء وتوفير البيئة المعيشية والمهنية الكريمة التي تكفل استقرارهم النفسي والاجتماعي، بما يقطع دابر الاستدراج الخارجي ويوقف نزيف هجرة الكفاءات إلى الدول الغربية.

٥. منظومة التمويل والتكامل الإقليمي، تتمثل في:

- تأسيس الصندوق السيادي للجهاد العلمي والتصنيع عبر إنشاء وعاء مالي دائم ومستقل يُغذى باقتطاع نسبة إلزامية قدرها (٥٪) من عوائد الموارد السيادية من نفط، وغاز، ومعادن، ورسوم جمركية، لتأمين تدفق مالي مستدام لمشاريع البحث والتطوير والتصنيع الحربي والتنموي.
- إعادة توجيه الزكاة والأوقاف نحو علوم القوة والعمارة تصحيح المسار التاريخي لموارد الأمة الشرعية، عبر تفعيل «سهم في سبيل الله» من مصارف الزكاة لدعم أبحاث ومصانع إعداد القوة والتسليح، وتوجيه عوائد الأوقاف النقدية والعقارية الكبرى لبناء الجامعات التكنولوجية، والمختبرات المتقدمة، وبحوث استنباط البذور والري الذكي والتخليق الصيدلاني، واستدراك ما فات عبر القرون من حصر هذه الأموال الطائلة في تمويل التجريدات الكلامية السكونية.

- المؤسسة التنفيذية للاتحاد العلمي والتكنولوجي عبر إطلاق مبادرة تأسيس إطار مؤسسي يربط مراكز الأبحاث والتطوير في ساحات المحور، وتدشين شبكة معطيات رقمية سيادية موحدة وفائقة التشفير للتبادل اللحظي للبيانات الهندسية، والتصاميم الحاسوبية، وخوارزميات التوجيه، ونتائج اختبارات الهندسة العكسية.
- تأمين سلاسل إمداد لوجستية بديلة وتكثيف اللقاءات العلمية عبر ابتكار ممرات ومسارات إمداد لوجستية برية وبحرية غير تقليدية لضمان تدفق المواد والرقائق والمكونات الدقيقة بعيداً عن أطواق الرقابة الغربية، مع تنظيم مؤتمرات وورش عمل دورية للجهد العلمي والإنتاجي لتقييم وتطوير مسارات كسر الحصار التكنولوجي المشترك.

ثالثاً: الآفاق الاستشرافية لمستقبل الصراع المعرفي والتقني

استناداً إلى قراءة سنن التدافع الحضاري والتحولات المتسارعة في بيئة الصراع الدولي، تستشرف الدراسة ملامح ثلاثة مسارات مستقبلية حاکمة للمواجهة مع المنظومة الاستكبارية:

١. تصاعد وتيرة «حرب الأدمغة» وتحول الأمن المعرفي إلى جبهة دفاع أولى، حيث تستشرف الدراسة تحول مركز ثقل الحرب الاستخباراتية الصهيون-أمريكية من تدمير القواعد والمنشآت المادية إلى استهداف «الكتلة المعرفية الحرجة». وستشهد المرحلة المقبلة تصعيداً خطيراً في العمليات الاستخباراتية الهجينة، والسيبرانية، والاعتقالات المركزة التي تستهدف علماء الميتالورجيا، وخبراء الوقود الصاروخي الدافع، ومهندسي الذكاء الاصطناعي، ومطوري الصيدلة الحيوية، بغرض حرمان الأمة من عقولها التخصصية وقطع مسار التراكم التصنيعي الذاتي. وهذا يفرض على القيادتين الثورية والسياسية إعطاء أولوية مطلقة لمفهوم «الأمن المعرفي الشامل» كجبهة سيادية حاسمة تفوق في أهميتها حماية المنشآت العسكرية ذاتها.

٢. عسكرة الذكاء الاصطناعي والمنظومات غير المأهولة واحتكار التكنولوجيات الحرجة، حيث يتجه ميدان الصراع الحديث نحو الاعتماد الكلي على المنظومات ذاتية القيادة بالذكاء الاصطناعي في الجو والبر والبحر، وعسكرة الفضاء

والمدارات القريبة، والاشتباك السيبراني مع البنى التحتية. وفي المقابل، ستعتمد الدول الغربية إلى تشديد القيود الاحتكارية على تصدير الرقائق الإلكترونية فائقة الدقة، والمستشعرات الكهرومصرية، وسبائك التيتانيوم والمواد المركبة المقاومة للحرارة الفائقة الناتجة عن السرعات فرط الصوتية. وتخلص الرؤية الاستشرافية إلى أن الحفاظ على ميزان الردع سيبقى مشروطاً بسرعة الانتقال من مرحلة تعديل المنظومات إلى مرحلة التوطين الشامل لكيميائ السبائك وبرمجة الرقائق محلياً، وتأمين بدائل توجيه فضائية وأرضية مستقلة كلياً عن منظومة نظام تحديد المواقع العالمي (GPS) الغربية.

٣. تبلور جبهة جيو-معرفية موازية تكسر «الأبارتهايد التكنولوجي» الغربي، حيث تستشرف الدراسة أن الإفراط الغربي في توظيف سلاسل الإمداد وبراءات الاختراع والأنظمة المصرفية مثل السويفت كأسلحة للإخضاع والابتزاز، سيؤدي إلى تسريع ولادة تكتل تقني واقتصادي مواز يضم قوى المحور والدول الحرة المناهضة للهيمنة في الجنوب العالمي مثل الصين، وروسيا، وتكتل بريكس، وشنغهاي. وسيقوم هذا التكتل بصياغة أطر جديدة للتبادل التكنولوجي وإسقاط قوانين الملكية الفكرية الاستكبارية، وتدشين شبكات أمان مستقلة في الغذاء والدواء، مما يسرع تقويض نظام القطب الواحد، ويفتح الباب واسعاً أمام ولادة نظام دولي تعددي جديد تسهم فيه الأمة المسلمة برصيدها الحضاري والردعي المستقل.

تخلص هذه الدراسة إلى أن المشروع القرآني الذي أصله الشهيد القائد حسين بدرالدين الحوثي، وينفذه السيد القائد عبد الملك بدرالدين الحوثي -سلام الله عليه- يقدم للأمة الإسلامية معالم طريق ثالث حضاري متفرد وأصيل، يقطع مع ثنائية التيه التاريخية التي قيدت نهوضها لقرون متطاولة:

- فهو طريق يتجاوز عطب الجمود السكوني والانكفاء التراثي المشوه، الذي عزل الوحي عن عمارة الأرض واختزل الدين في الجدل التجريدي والتراتيل اللفظية بينما أعداء الأمة يطوعون عناصر الطبيعة وسنن المادة وبأس الحديد لاحتلال ديارها وإذلال شعوبها.
- ويتجاوز في الوقت عينه عطب الاستلاب للنموذج الوضعي الغربي، الذي فصم العلم عن القيم والتقوى الإلهية فاستحال التقدم في يديه إلى سوط طغيان واستعباد وتدمير إيكولوجي لكوكب الأرض.

إن الأمة التي حباها الله بكتاب يمثل تبياناً لكل شيء، وائتمنها على الاستخلاف بتعليم ﴿الْأَسْمَاءِ كُلِّهَا﴾، ومنحها مقدرات واسعة من المعادن وخيرات الزراعة ومكامن القوة، ليست محكومة بالعجز ولا مرتهنة بالدونية التاريخية؛ بل هي أمة قادرة ومؤهلة، متى ما استعادت هويتها الإيمانية، ومارست التوكل الحركي، وجسدت التلازم السنني والمصري بين «هداية الكتاب» و«بأس الحديد»، أن تدرك جدران الأبارتهايد التكنولوجي، وتستعيد زمام المبادأة والريادة في ميادين البحث والتصنيع، لترسي معادلات سيادتها وردعها الشامل، وتسهم في بناء شهود حضاري عالمي جديد تسوده العدالة والقسط وتستقيم به الحياة الإنسانية بهدى الله، ولتُربِّي الأمة معادلات سيادتها وردعها الشامل، وتسهم في بناء شهود حضاري عالمي جديد تسوده العدالة والقسط، وتتحقق به غاية الاستخلاف وعمارة الأرض بهدى الله، مصداقاً لوعده الحق القاطع: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر القرآنية والإسلامية:

١. القرآن الكريم.
٢. ابن أبي طالب، الإمام علي. (٢٠١٢). نهج البلاغة. شرح الشيخ محمد عبده. بيروت: دارالمعرفة.
٣. ابن عاشور، محمد الطاهر. (٢٠٠٥). التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
٤. البيهقي، أحمد بن الحسين. (٢٠٠٣). شعب الإيمان. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الرشد.
٥. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. (١٩٩٨). الجامع الكبير (سنن الترمذي). تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٦. الجصاص، أحمد بن علي الرازي. (١٩٩٤). أحكام القرآن. تحقيق محمد صادق قمحاوي وعبد السلام محمد علي شاهين. بيروت: دارالكتب العلمية.
٧. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (٢٠٠٦). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ثانياً: المصادر الأساسية للمشروع القرآني:

٨. الحوثي، حسين بدر الدين. (٢٠٠١). دروس من هدي القرآن الكريم: تكملة لقاء المعلمين. صعدة: مكتبة بدر.
٩. الحوثي، حسين بدر الدين. (٢٠٠١). دروس من هدي القرآن الكريم: من نحن ومن هم؟ صعدة: مكتبة بدر.
١٠. الحوثي، حسين بدر الدين. (٢٠٠١). دروس من هدي القرآن الكريم: يوم القدس العالمي. صعدة: مكتبة بدر.
١١. الحوثي، حسين بدر الدين. (٢٠٠٢). دروس من هدي القرآن الكريم: سورة آل عمران (الدرس الأول). صعدة: مكتبة بدر.

١٢. الحوثي، حسين بدر الدين. (٢٠٠٢). دروس من هدي القرآن الكريم: معرفة الله (الدرس الثاني). صعدة: مكتبة بدر.
١٣. الحوثي، حسين بدر الدين. (٢٠٠٣). دروس من هدي القرآن الكريم: دروس رمضان (الدروس: ٣، ٥، ٦، ٧، ٩). صعدة: مكتبة بدر.
١٤. الحوثي، حسين بدر الدين. (٢٠٠٣). دروس من هدي القرآن الكريم: مديح القرآن (الدرس: ١، ٣). صعدة: مكتبة بدر.
١٥. الحوثي، عبد الملك بدر الدين. (٢٠٢٣-٢٠٢٦). محاضرات وخطابات وتوجيهات قائد الثورة في معركة طوفان الأقصى والفتح الموعود والجهاد المقدس. صنعاء: الدائرة الإعلامية.

ثالثاً: المراجع والكتب العربية والمترجمة:

١٦. الخولي، محمد عبد العزيز. (٢٠٠٠). الإسلام وبناء الحضارة الإنسانية. القاهرة: دار الفكر العربي.
١٧. سمعان، جان لو. (٢٠١٩). صعود الصناعة الدفاعية في الخليج. بيروت: مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي (سلسلة أوراق كارنيغي).
١٨. العسكري، أبو هلال. (١٩٩٨). الفروق في اللغة. بيروت: دار الآفاق الجديدة.
١٩. كانت، إيمانويل. (١٩٩٠). المبادئ الميتافيزيقية في العلم الطبيعي. ترجمة إرنست كاسيرر. باريس / بيروت: دار القلم.
٢٠. مؤسسة الإمام الخامنئي للتأليف والنشر. (٢٠١٥). أخلاقيات العلم والجهاد العلمي في فكر الإمام الخامنئي. بيروت: دار الولاية.
٢١. الندوي، أبو الحسن علي الحسني. (٢٠١٨). كشف حقيقة صارخة: أمريكا وأوروبا وإسرائيل. إسطنبول: دار الأصالة.
٢٢. الندوي، أبو الحسن علي الحسني. (٢٠٢٠). حديث مع الغرب. القاهرة: دار الصحو.
٢٣. الندوي، أبو الحسن علي الحسني. (٢٠٢٠). ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. دمشق: دار ابن كثير.

رابعاً: الدوريات والمجلات العلمية والتقارير الدورية:

٢٤. الحدابي، إلهام. (٢٠٢١). «القواعد العسكرية في منطقة الشرق الأوسط: الدور العسكري وتشابك المصالح». إسطنبول: مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات.
٢٥. الخري آبادي، محمد أبو الليث، ورحماني، شجاع الدين، وعظيمي، رحمت الله. (٢٠٢٥). «دراسة تحليلية للإعجاز العلمي في القرآن بين النصوص الشرعية والاكتشافات الحديثة». مجلة البرهان لدراسات القرآن والسنة، ٩(١): ١٣٨-١٥٠.
٢٦. الرازحي، عبد الله حسن محمد. (٢٠٢٤). «الهوية الإيمانية في فكر الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي (الدلالات والأبعاد)». مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١(٢): ٣١٢-٣٣٩.
٢٧. صايفي، وليد، ومياح، نذير. (٢٠١١). «نحو طرح تركيب هيكل صناعي مبدئي مبني على رؤى مقاصد الشريعة الإسلامية». مجلة دراسات وأبحاث (مجلة الواحات)، ع ١٢: ١-١٥.
٢٨. العظم، علياء. (٢٠٢٣). «حالة البحوث في السنن الإلهية في بناء الأمم والحضارات». مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، ٢٩(١١): ١٨-٢٩.
٢٩. المجلس القومي للتخطيط الاستراتيجي. (٢٠١٢). التقرير الاستراتيجي للقطاعات التنموية والصناعية. الخرطوم: الأمانة العامة.
٣٠. مجلة أبحاث في الدراسات الدفاعية. (٢٠٢٢). «وثيقة العقيدة العسكرية والسياسة الدفاعية والقاعدة التكنولوجية الصناعية». مجلة أبحاث في الدراسات الدفاعية، ٣: ٤-٨.
٣١. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث. (٢٠٢٤). «المضمون الاستراتيجي للحرب الحديثة ومنظومات القيادة والسيطرة C4I». مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، ٤(٨): ٢٦٢-٢٧٠.
٣٢. مجلة البحوث القانونية والسياسية. (٢٠٢١). «نظرية الردع الاستراتيجي في العلاقات الدولية المعاصرة». مجلة البحوث القانونية والسياسية، ٢(١٥): ٤٨-٥٢.

٣٣. مجلة الدراسات الفلسطينية. (٢٠٢٠). ملف أبحاث «الصناعات العسكرية والتكامل الإقليمي والهندسة العكسية للمقاومة». مجلة الدراسات الفلسطينية، ع ١١٨: ٢٤-٤٥.

٣٤. مركز الإمارات للدراسات والبحوث. (٢٠٢٣). الصناعات الدفاعية والسياسات التكنولوجية المتقدمة: استراتيجيات التوطين وتحديات الأمن الإقليمي. أبو ظبي: TIP Publications.

٣٥. مركز الإمارات للدراسات والبحوث. (٢٠٢٣). الشراكات الاستراتيجية وسلاسل الإمداد الدفاعي والتكنولوجي. أبو ظبي: TIP Publications.

٣٦. مياح، نذير. (٢٠١٢). التقرير السنوي السابع والثلاثون للشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية (أكديما). عمان: أكديما.

خامساً: المراجع الأجنبية:

37. Artelli, Michael J., and Richard F. Deckro. (2008). "Fourth Generation Operations: Principles for the Long War." Small Wars & Insurgencies, 19(2): 221-245.
38. Barbour, Ian G. (1990). Religion in an Age of Science: The Gifford Lectures 1989-1991. San Francisco: Harper & Row.
39. Yun, Minwoo. (2010). "Insurgency Warfare as an Emerging New Mode of Warfare and the New Enemy." Journal of International and Area Studies, 17(1): 15-33.



واقع البحث العلمي في العلوم الإنسانية بين المنهجية والممارسة

دراسة تحليلية نقدية

أ.د/ عبد الحكيم عبد المجيد أحمد الهجري

قسم التاريخ والعلاقات الدولية، كلية الآداب والعلوم
الانسانية، جامعة صنعاء

ملخص البحث

تتمثل مشكلة البحث في وجود فجوة معرفية بين المعرفة النظرية بالمنهجية العلمية وبين الممارسة الفعلية في مجال البحوث الإنسانية، وما يترتب على ذلك من مظاهر قصور تمس سلامة البناء المنهجي وموضوعية النتائج وجودة الانتاج البحثي، ويسعى البحث إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات، أبرزها: ما مدى الالتزام بالمنهجية البحث العلمي في البحوث الإنسانية؟ وما أبرز مظاهر الفجوة بين المعرفة المنهجية والممارسة البحثية؟ وما أهم الانحرافات الشائعة التي تؤدي إلى الإخلال بالمعايير الموضوعية؟ وما العوامل المؤثرة في جودة البحث العلمي؟ وكيف يمكن تحقيق التوازن بين المعايير الموضوعية والمعايير الشكلية في تقويم البحوث؟ وتنبع أهمية البحث من أهمية البحث العلمي في إنتاج المعرفة وفهم الظواهر الإنسانية والاجتماعية وتحليلها، ومن الحاجة إلى تعزيز ثقافة البحث العلمي، ونشر الوعي بمناهجه وقواعده، والانتقال من المعرفة النظرية بالمنهجية إلى التطبيق العملي لها.

ولتحقيق أهداف البحث، اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف واقع الممارسة البحثية وتحليل مظاهر الفجوة بين المنهجية العلمية والإنتاج البحثي، ودراسة الانحرافات التي تؤثر في الموضوعية، وتحليل العوامل المؤثرة في جودة البحث العلمي، ومناقشة العلاقة بين المعايير الموضوعية والشكلية.

وتوصل البحث إلى عدد من النتائج، من أهمها: أظهر البحث أن التزام طلبة الدراسات العليا بالمنهجية البحث كان شكلياً أكثر منه موضوعياً، وتبين أن اختيار المنهج في كثير من البحوث لا يتم بناء على طبيعة المشكلة وسؤال البحث بل بناء على شيوع المنهج وسهولة تطبيقه، تتمثل أهم الانحرافات المخلة بالمعايير الموضوعية في التحيز في اختيار موضوع البحث ومشكلته انطلاقاً من موقف مسبق يسعى الباحث لإثباته، يظهر الإخلال بالموضوعية في الانتقائية في اختيار المعلومات والمصادر من خلال الاعتماد على مصادر ضعيفة أو غير محكمة، تبين أن جودة البحث العلمي لا تتأثر بعامل واحد بل بمنظومة متداخلة، تبين أن الإفراط في التركيز على المعايير الشكلية في تحكيم البحوث يؤدي إلى انتاج بحوث مستوفية إجرائياً لكنها ضعيفة من حيث الأصالة والإضافة المعرفية، وأن التقويم السليم يتطلب إعطاء الوزن الأكبر للمعايير الموضوعية، ويوصي البحث: وضع معايير واضحة ومحددة لتقويم جودة البحث العلمي بحيث تعطي المعايير الموضوعية والمنهجية وزناً مناسباً إلى جانب المتطلبات الشكلية، وتعزيز دور الإشراف العلمي في متابعة مراحل إعداد البحث، إعطاء المعايير الموضوعية وزناً أكبر في تقويم

البحوث والرسائل العلمية، وتعزيز ثقافة الأمانة والنزاهة العلمية، وتوفير بيئة مؤسسية ومالية وتقنية داعمة للبحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، المنهجية العلمية، الممارسة البحثية، الموضوعية، جودة البحث العلمي، المعايير الموضوعية، المعايير الشكلية، الإنتاج البحثي.

المقدمة:

أصبح البحث العلمي سمة بارزة للعصر الحديث، وأحد المؤشرات الأساسية على تقدم الدول وتطور مؤسساتها العلمية، لما يؤديه من دور في إنتاج المعرفة، وفهم الظواهر، وتشخيص المشكلات، واقتراح الحلول العلمية لها في مختلف المجالات الاقتصادية والصحية والتعليمية والسياسية والاجتماعية وغيرها، ومن ثم أصبحت الجامعات ومراكز البحث العلمي مطالبة بإيلاء البحث العلمي عناية متزايدة، من خلال تدريب الطلاب والباحثين على أساليبه ومناهجه، وتمكينهم من اكتساب المهارات التي تساعدهم على إنتاج معرفة جديدة وإثراء رصيد الفكر الإنساني، فضلاً عن توفير الحوافز والبرامج الأكاديمية التي تشجع على البحث والنشر العلمي^(١).

وفي حقيقة الأمر فإن لدينا مناهج متقدمة من الناحية النظرية، إلا أن واقع البحث العلمي الإنساني لا يزال يقف في منتصف الطريق، إذ تتأرجح الممارسة بين الجدية الأكاديمية وبين الشكلية والارتجال في بعض الحالات، وتزداد أهمية هذا الموضوع بالنظر إلى الدور الذي تؤديه العلوم الإنسانية في فهم الإنسان والمجتمع والثقافة، وتشخيص المشكلات وتحليلها، والمساهمة في بناء المعرفة التي يمكن الاستفادة منها في معالجة قضايا المجتمع، وعلى الرغم من أن عدداً من البحوث والرسائل الجامعية يستوفي المتطلبات الشكلية من حيث عدد الصفحات والتقسيم والتوثيق والمراجع، فإن استيفاء هذه الجوانب لا يعني بالضرورة أن البحث يتمتع بالعمق والأصالة بالإضافة العلمية فالقيمة الحقيقية للبحث ترتبط بوضوح المشكلة، وسلامة المنهج، ودقة البيانات، وموضوعية التحليل، ومنطقية النتائج، وما يقدمه البحث من إضافة معرفية^(٢).

وتزداد أهمية البحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية بالنظر إلى دوره في فهم الإنسان والمجتمع والثقافة، وتحليل الظواهر والقضايا التي تتصل بحياة المجتمعات وتطورها، وعلى الرغم من التطور الذي شهدته مناهج البحث العلمي من الناحية النظرية، فإن الممارسة البحثية في بعض البيئات الأكاديمية لا تزال تواجه عدداً من التحديات، إذ تتأرجح بين الالتزام بالمعايير العلمية من جهة، والميل إلى الشكلية أو الارتجال في بعض الحالات من جهة أخرى، وتظهر هذه الإشكالية في بعض البحوث والرسائل الجامعية التي

(١) عبيد الرشيد بن عبد العزيز حافظ: أساسيات البحث العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٤٤هـ، ص ١٢.

(٢) نادية علي المهدي عبد النبي: معوقات البحث العلمي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب (جامعة سبها): مجلة الإعلام والفنون، السنة الثانية، العدد الخامس، يونيو، جامعة سبها، ليبيا، ٢٠٢١م،

تستوفي المتطلبات الشكلية، من حيث عدد الصفحات والتقسيم والتوثيق والمراجع، دون أن يعني ذلك بالضرورة تمتعها بالعمق والأصالة والإضافة العلمية، فالقيمة الحقيقية للبحث لا تتحدد بحجمه أو مظهره الخارجي، وإنما ترتبط بوضوح المشكلة، وسلامة المنهج، ودقة البيانات، وموضوعية التحليل، ومنطقية النتائج، ومدى الإضافة التي يقدمها البحث إلى المعرفة العلمية^(١).

ومن هنا يأتي هذا البحث لدراسة واقع البحث العلمي في العلوم الإنسانية بين المنهجية والممارسة، من خلال التركيز على مدى الالتزام بالقواعد المنهجية، ومظاهر الفجوة بين التنظير والتطبيق، والانحرافات التي تمس الموضوعية، والعوامل المؤثرة في جودة البحث، والعلاقة بين المعايير الموضوعية والشكلية في تقويم الإنتاج البحثي.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في وجود فجوة بين المعرفة المنهجية والممارسة البحثية لدى طلبة الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) في أقسام العلوم الإنسانية بالجامعات، وبناءً على ذلك، يمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

- ما طبيعة الفجوة بين المنهجية العلمية والممارسة البحثية لدى طلبة الدراسات العليا في البحوث الإنسانية بالجامعات وما أبرز مظاهرها وأسبابها وسبل الحد منها؟

ويتفرع عن ذلك عدد من التساؤلات، من أبرزها:

- ما مدى الالتزام بمنهجية البحث العلمي في البحوث الإنسانية؟
- ما أبرز مظاهر الفجوة بين المعرفة المنهجية والممارسة البحثية؟
- ما أهم الانحرافات التي تؤدي إلى الإخلال بالمعايير الموضوعية؟
- ما العوامل المؤثرة في جودة البحث العلمي؟
- كيف يمكن تحقيق التوازن بين المعايير الموضوعية والشكلية في تقييم البحوث؟

(١) عبد الله الشرف: في مفهوم البحث العلمي والبحث الأدبي، المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات، العدد ٣ مارس ١٩٨٥م، ص ٨١.

أهداف البحث :

- يسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ، أهمها :
- التعرف على مفهوم البحث العلمي وأهمية الالتزام بالمنهجية العلمية في البحوث الإنسانية .
- بيان مظاهر الفجوة بين المعرفة النظرية بمناهج البحث وتطبيقها في الممارسة البحثية .
- الكشف عن أبرز الانحرافات التي يمكن أن تؤدي إلى الإخلال بالموضوعية والأمانة العلمية .
- تحديد أهم العوامل المؤثرة في جودة البحث العلمي .
- توضيح العلاقة بين المعايير الموضوعية والمعايير الشكلية في تقويم البحوث .
- بيان أهمية تحقيق التكامل بين سلامة المنهج والقيمة العلمية من جهة ، والتنظيم والتوثيق والعرض من جهة أخرى .

أهمية البحث :

- تنبع أهمية البحث من أهمية البحث العلمي بوصفه أداة أساسية لإنتاج المعرفة وفهم الظواهر الإنسانية والاجتماعية وتحليلها ، ومن دوره في معالجة المشكلات التي تواجه المجتمعات .
- كما تبرز أهمية البحث في الحاجة إلى تعزيز الوعي بالمنهجية العلمية ، وعدم الاكتفاء بتدريس مناهج البحث بصورة نظرية ، وإنما الانتقال إلى التدريب العملي الذي يساعد الباحث على توظيف المنهج في مختلف مراحل العملية البحثية .
- وتتصل أهمية البحث كذلك بضرورة تعزيز الموضوعية والأمانة العلمية ، والحد من الممارسات التي يمكن أن تؤثر في مصداقية البحوث ، إضافة إلى أهمية توضيح العلاقة بين المعايير الموضوعية والشكلية حتى لا تغطي الجوانب الشكلية على القيمة العلمية للبحث .

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال وصف واقع الممارسة البحثية في مجال العلوم الإنسانية، وتحليل طبيعة العلاقة بين المنهجية العلمية والإنتاج البحثي، والوقوف على أبرز مظاهر الفجوة بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي، كما تم توظيف المنهج التحليلي في دراسة الانحرافات المتعلقة بالموضوعية، وتحليل العوامل المؤثرة في جودة البحث العلمي، ومناقشة العلاقة بين المعايير الموضوعية والشكلية، وصولاً إلى مجموعة من النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

- دراسة علي ابراهيم علي عبيدو (٢٠١٤) جودة البحث العلمي الأخلاقيات، المنهجية، الإشراف: كتابة الرسائل والبحوث العلمية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

هدفت الدراسة إلى وضع معايير واضحة لقياس جودة البحث العلمي في الجامعات العربية وعلاج الفجوة بين ما يدرس نظرياً وما يطبق فعلياً، تصحيح صياغة مشكلة البحث لتكون دقيقة وقابلة للنقاش.

أوجه الاتفاق والاختلاف: مع واقع البحث العلمي الانساني بين المنهجية والممارسة، منهجياً الجميع متفق أن البحث يجب ان يبدأ بمشكلة واضحة ومراجع كثيرة تتفق دراسة عبيدو (٢٠١٤) مع دراسة واقع البحث العلمي في تأكيدها على أهمية المنهجية، لكنها تختلف معه في تشخيصها لوجود فجوة كبيرة بين المنهجية كعلم يدرس، والممارسة كسلوك يطبق، حيث أصبح البحث في كثير من الجامعات العربية إجراء شكلي للحصول على الدرجة العلمية وليس أداة لحل مشاكل المجتمع، وهذا هو السبب الرئيس في تدني التصنيف العالمي للجامعات في الوطن العربي.

- دراسة حياة حجاز وآخرون (٢٠١٩): معايير جودة البحث العلمي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، مج ٤، ع ٣، مؤسسة ترنيم للتنمية والإبداع، مصر.

المنهج والهدف: هدفت الدراسة إلى تأصيل المنظومة المعيارية باستخدام المنهج الوصفي التحليلي.

أوجه الاتفاق المنهجي: تتفق مع بحثنا في المتغير المستقل (المنهجية العلمية) حيث اعتبرت أن الجودة لا تتحقق إلا بتكامل حلقات البحث (المشكلة، المنهج، الأداة،

العينة، التحليل، الموضوعية) وهي نفس الحلقات التي يقوم عليها البحث الذي اعدناه. أوجه الاختلاف العلمي: تمكن الفجوة البحثية في أن دراسة حجاز بقت في المستوى المعياري التنظيري لما يجب أن يكون، في حين أن بحثنا ينتقل إلى مستوى التشخيصي النقدي لما هو كائن فعلا في واقع رسائل العلوم الإنسانية.

- دراسة يخلف رفيقة (٢٠١٩): قواعد الالتزام بمنهجية البحث العلمي: مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، جامعة عاشور، الجزائر.

المنهج والهدف: هدفت الدراسة إلى تحديد قواعد الالتزام بالمنهج، استخدمت المنهج الوصفي، توصلت الدراسة إلى أن الالتزام يتطلب انسجاما بين المشكلة والأهداف والمنهج والأدوات، وأن غياب هذا الانسجام هو أبرز مظاهر الفجوة، وهي دراسة مباشرة تدعم المبحث الأول والثاني.

أوجه الاتفاق المنهجي: تطابق جوهري مع متغير بحثنا (الممارسة البحثية) حيث حددت الدراسة أن أبرز مظاهر الفجوة هو التفكك بين عناصر البحث، وهو نفس المؤشر الإجرائي الذي اعتمدته في بحثي.

- دراسة عقيلة زاوي (٢٠٢٢): منهجية البحث العلمي: مجلة جامعة الجزائر، العدد ٣.

المنهج والهدف: هدفت الدراسة إلى بيان خطوات المنهجية العلمية، استخدمت الدراسة المنهج الوثائقي، أكدت الدراسة أن قيمة البحث لا تحددها كثرة المعلومات بل مدى التزام الباحث بالقواعد التي تجعل البحث قابلا للفحص والتحقق.

أوجه الاتفاق المنهجي: تتقاطع مع الإطار الفلسفي للبحث في أن المنهجية هي الضامن للموضوعية، وأن أي خلل في مرحلة ينسحب على كامل البناء البحثي، وهو ما يفسر فكرة الفجوة في بحثنا.

- دراسة صلاح بابكر مهاجر (٢٠٢٢): تحديات البحث العلمي: مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مج ٣، ١٠٤، أكتوبر ٢٠٢٢، جامعة السودان المفتوحة، السودان.

المنهج والهدف: هدفت الدراسة إلى تشخيص تحديات البحث في الجامعات العربية، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى أن ضعف النشر والإنتاج الكمي والتركيز على الكم على حساب النوع من أسباب تدني الجودة، وهو الامر الذي يفيد بحثنا في تفسير آثار الفجوة.

أوجه الاتفاق المنهجي: تتفق الدراسة مع البعد التحليلي لبحثنا، من حيث رصد النتائج السلبية للفجوة كضعف النشر والتكرار،

أوجه الاختلاف العلمي: تركز على المستوى الكلي المؤسسي (سياسات الجامعات) بينما بحثنا يركز على المستوى الجزئي المهاري أداء الباحث في العلوم الإنسانية، فالدراسة تدرس البيئة والبحث يدرس الممارسة داخل البيئة.

• دراسة محمد السيد (٢٠٢٢): أخلاقيات البحث العلمي لدى طالب الدراسات العليا بكليات التربية: مجلة كلية التربية، جامعة دمياط، مصر.

المنهج والهدف: هدفت الدراسة إلى قياس الالتزام بأخلاقيات البحث، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي المسحي على طلبة كلية التربية، توصلت الدراسة إلى أن الصدق والشفافية والمساءلة عناصر أساسية في النزاهة العلمية، وأن التلاعب بالبيانات يمثل إخلالا صريحا بالموضوعية.

أوجه الاتفاق المنهجي: تتفق الدراسة مع الشق الأخلاقي من الممارسة البحثية في البحث الذي أعدناه، وتعد التلاعب بالبيانات والتحيز أخطر أشكال الفجوة.

أوجه الاختلاف العلمي: حصرت الدراسة السابقة في البعد الأخلاقي وفي تخصص واحد (التربية) بينما بحثنا يوسع المفهوم ليشمل الفجوة: (النظرية، الإجرائية، التحليلية، والأخلاقية) في كافة فروع العلوم الإنسانية، وبمنهج تحليلي.

هيكلية البحث:

يتناول البحث الموضوع من خلال خمسة مباحث رئيسة، هي:

المبحث الأول: الالتزام بمنهجية البحث العلمي

المبحث الثاني: الفجوة بين المنهجية العلمية والإنتاج العلمي

المبحث الثالث: الانحرافات الشائعة في البحوث والإخلال بالمعايير الموضوعية

المبحث الرابع: العوامل المؤثرة على جودة البحث العلمي

المبحث الخامس: واقع البحث العلمي بين المعايير الموضوعية والشكلية

المبحث الأول الالتزام بمنهجية البحث العلمي

يعد البحث العلمي من أهم الوسائل التي تعتمد عليها المجتمعات في إنتاج المعرفة، وفهم الظواهر، وتشخيص المشكلات، والوصول إلى حلول قائمة على أسس علمية، غير أن قيمة البحث العلمي لا تتحدد بمجرد اختيار موضوع مهم أو جمع عدد كبير من المعلومات، وإنما تتوقف بدرجة أساسية على مدى التزام الباحث بالقواعد والإجراءات المنهجية التي تجعل البحث قابلاً للفحص والمناقشة والتحقق، وتمثل المنهجية العلمية الإطار المنظم الذي يربط بين مشكلة البحث وأهدافه وتساولاته أو فرضياته، وبين المنهج والأدوات والعينة وأساليب تحليل البيانات والنتائج والاستنتاجات، ولذلك فإن الخلل في أي مرحلة من هذه المراحل قد ينعكس على بقية مراحل البحث، ويؤدي في النهاية إلى نتائج لا تعكس الواقع بصورة دقيقة.

مفهوم البحث العلمي والمنهجية

يمكن تعريف البحث العلمي بأنه عملية منظمة يقوم من خلالها الباحث بدراسة مشكلة أو ظاهرة معينة، وجمع البيانات والمعلومات المرتبطة بها، وتحليلها وفق أسس منهجية، بهدف الوصول إلى نتائج يمكن مناقشتها والتحقق منها والاستفادة منها في تفسير الظاهرة أو معالجة المشكلة، ويؤكد هذا المفهوم أن البحث العلمي لا يقوم على جمع المعلومات بصورة عشوائية، وإنما على وجود علاقة منظمة بين المشكلة والمنهج والبيانات والتحليل والنتائج، ومن ثم تتطلب المنهجية العلمية أن ينتقل الباحث بصورة منظمة من تحديد المشكلة إلى صياغة الأهداف والتساولات، ثم اختيار المنهج والأدوات المناسبة، وجمع البيانات وتحليلها، وصولاً إلى النتائج والاستنتاجات^(١).

أما المنهجية، فتشير إلى مجموعة القواعد والأساليب والإجراءات المنظمة التي يستعين بها الباحث في دراسة موضوع معين، وتصنيف المعلومات والبيانات وتحليلها للوصول إلى نتائج علمية.

ويختلف المنهج باختلاف طبيعة المشكلة وأهداف البحث ونوع البيانات المطلوبة،

(١) محمد سرحان علي المحمودي: مناهج البحث العلمي: ط٣، صنعاء: دار الكتب، ٢٠١٩، ص٤٦.

وترتبط المنهجية ارتباطًا وثيقًا بموضوع البحث وأهدافه، وتقوم الدراسات الإنسانية على تكامل الجانب النظري، الذي يتصل بالمصادر والدراسات السابقة والأدبيات ذات الصلة، والجانب التطبيقي الذي يتعلق بتصميم أدوات جمع البيانات والتحقق من ملاءمتها وصلاحياتها لموضوع الدراسة^(١).

ومن ثم فإن البحث العلمي ليس مجرد قراءة الكتب أو نقل المعلومات من المصادر والمراجع، ولا مجرد جمع الوقائع وتسجيلها، وإنما هو نشاط علمي منظم يقوم على التفكير والتحليل والنقد، ويهدف إلى الكشف عن العلاقات بين الظواهر والوصول إلى نتائج تستند إلى الأدلة والمناهج العلمية^(٢).

وتبرز أهمية المنهجية في توجيه العمل البحثي، وضمان قدر مناسب من الموضوعية والدقة، وتنمية مهارات الباحث، والمساهمة في إنتاج معرفة علمية يمكن الاستفادة منها في فهم الظواهر الإنسانية والاجتماعية وتحليلها.

اختيار المنهج ومدى ملاءمته للمشكلة

يُعد اختيار المنهج من أكثر مراحل البحث حساسية؛ لأنه الوسيلة التي يستخدمها الباحث للإجابة عن أسئلة البحث وتحقيق أهدافه، ولا يوجد منهج واحد صالح لجميع المشكلات، وإنما ينبغي أن يتحدد اختيار المنهج وفق طبيعة السؤال البحثي ونوع البيانات المطلوبة وطبيعة المجال العلمي^(٣) فالمنهج التاريخي، مثلاً، يختلف في إجراءاته ومصادره عن المنهج الوصفي أو التجريبي أو منهج دراسة الحالة، ومن ثم فإن اختيار المنهج ينبغي ألا يقوم على تفضيل شخصي أو شيوع استخدامه، وإنما على مدى قدرته على معالجة المشكلة والإجابة عن تساؤلاتها^(٤).

معايير الالتزام بمنهجية البحث العلمي

تُعد مشكلة البحث نقطة الانطلاق الأساسية في العملية البحثية، ولذلك فإن سلامة صياغتها تعد من أهم مؤشرات الالتزام بالمنهجية العلمية، وينبغي أن تكون المشكلة واضحة ومحددة وقابلة للدراسة العلمية، وأن تتضمن جانباً يحتاج إلى تفسير

(١) صلاح بابكر مهاجر: تحديات البحث العلمي: مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد ٣، العدد ١٠، أكتوبر ٢٠٢٢م، جامعة السودان المفتوحة، السودان، ص ١٨٨.

(٢) عبدالرشيد عبدالحفيظ راشد: أساسيات البحث العلمي: ١٤٤٠هـ، ص ٣٨.

(٣) محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٤) عقيلة زاوي: منهجية البحث العلمي. مجلة جامعة الجزائر، العدد ٣، ٢٠٢٢م، ص ١١٩.

أو تحليل أو اختبار، ويرتبط بذلك وجود توافق بين مشكلة البحث وأهدافه وتسؤولاته، فلا ينبغي أن تكون الأهداف منفصلة عن المشكلة، كما ينبغي أن تكون الأسئلة قابلة للإجابة من خلال الإجراءات والبيانات التي يستخدمها الباحث^(١).

ومن عناصر الالتزام بالمنهجية تحديد مجتمع البحث بصورة واضحة، ثم اختيار العينة وفق قواعد تتلاءم مع طبيعة المجتمع وأهداف الدراسة، وتحديد أدوات جمع البيانات بصورة مبررة، والتحقق من صلاحيتها، ولا سيما الصدق والثبات في الدراسات التي تتطلب ذلك^(٢).

ويظهر الالتزام بالمنهجية كذلك في وجود علاقة واضحة بين جميع مكونات البحث، فإذا كانت المشكلة تتناول أثر متغير معين، ينبغي أن تنعكس طبيعة ذلك المتغير في الأهداف والأسئلة والمنهج والأداة وتحليل البيانات، وفي المقابل، فإن عدم وضوح المشكلة، أو عدم ملاءمة المنهج لها، أو اختيار عينة غير مناسبة، أو استخدام أداة لا تتوافق مع طبيعة البيانات، أو تحليل النتائج بصورة لا تتفق مع الإجراءات المستخدمة، كلها مظاهر تشير إلى ضعف الالتزام بالمنهجية، ومن أخطر صور الإخلال بالمنهجية التلاعب بالبيانات أو حذف بعضها لتحقيق نتيجة معينة؛ لأن ذلك لا يمثل مجرد خطأ منهجي، وإنما يمثل انتهاكاً لمبادئ النزاهة العلمية والموضوعية^(٣).

(١) عبيدات محمد، (وآخرون): منهجية البحث العلمي (القواعد والمراحل والتطبيقات) ط٢، داروائل للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٩، ص٣٠.

(٢) محمد عبيدات (وآخرون): منهجية البحث العلمي: المراجع السابق، ص٣٥.

(٣) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي: المرجع السابق، ص٨٠.

المبحث الثاني الفجوة بين المنهجية العلمية والإنتاج العلمي

يقصد بالمنهجية العلمية مجموعة القواعد والإجراءات والخطوات المنظمة التي يستخدمها الباحث في دراسة مشكلة معينة بهدف الوصول إلى نتائج تستند إلى الأدلة والمعالجة العلمية، ولا تعني المنهجية مجرد الالتزام بتقسيم البحث إلى مقدمة وفصول وخاتمة، وإنما تتعلق بجوهر العملية البحثية وبالعلاقة بين مكوناتها المختلفة^(١).

أما الإنتاج البحثي، فيقصد به مجموع الدراسات والبحوث والمقالات والرسائل والأطروحات العلمية التي ينتجها الباحثون والمؤسسات الأكاديمية بهدف إضافة معرفة جديدة، أو تحليل معرفة قائمة، أو تقديم حلول لمشكلات محددة، ومن هنا فإن العلاقة بين المنهجية والإنتاج البحثي علاقة تكاملية، فالمنهجية تمثل الإطار الذي يضبط عملية الإنتاج، بينما يمثل الإنتاج البحثي المحصلة العملية لتطبيق ذلك الإطار، ولذلك لا يمكن فصل جودة الإنتاج العلمي عن سلامة الإجراءات التي أدت إلى إنتاجه^(٢).

تحديد الفجوة العلمية

يتطلب تحديد الفجوة العلمية معرفة ما تم تناوله من موضوعات ودراسات سابقة، وما الجوانب التي لم تحظ بالدراسة الكافية، وما السؤال الذي يسعى البحث إلى الإجابة عنه، وما القيمة التي يمكن أن تضيفها الإجابة إلى المعرفة أو المجتمع، ومدى إمكانية إنجاز البحث في ضوء الإمكانيات المتاحة^(٣).

وتبرز الفجوة بين المنهجية والإنتاج البحثي عندما يعرف الباحث القواعد المنهجية بصورة نظرية، لكنه لا يستطيع تطبيقها بصورة سليمة أثناء إعداد البحث، فقد يختار مشكلة لا تتناسب مع إمكانياته، أو يستخدم أداة لا تتلاءم مع طبيعة المشكلة، أو يختار عينة غير مناسبة، أو يعرض النتائج بصورة لا تتوافق مع البيانات التي جمعها^(٤).

(١) عبيدات ذوقان، (واخرون): البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه. الطبعة الحادية والعشرون. دار الفكر، عمان، ٢٠٢١م، ١٨-١٩.

(٢) مصطفى عبد العظيم الطيب: ضمان جودة البحث العلمي في الوطن العربي: دراسة تحليلية ميدانية". المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، جامعة العلوم والتكنولوجيا، مج ٦، ٢٠١٣م، ص ١٠٠-١٠٢.

(٣) مصطفى عبد العظيم الطيب: ضمان جودة البحث العلمي في الوطن العربي: المرجع السابق، ص ٩٧-١٠٠.

(٤) مصطفى عبد العظيم الطيب: المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠٠.

مظاهر الفجوة المنهجية

تظهر الفجوة في عدد من المظاهر، من أهمها ضعف صياغة المشكلة البحثية، وتحويل الموضوع العام إلى عنوان واسع دون تحديد سؤال بحثي واضح، أو اختيار منهج لا يتناسب مع طبيعة المشكلة، كما تظهر في ضعف استخدام الدراسات السابقة والمراجع، عندما يكفي الباحث بجمع عدد كبير من المصادر في نهاية البحث دون توظيفها بصورة نقدية في بناء الإطار النظري وتحليل النتائج، ومن مظاهر الفجوة أيضاً الاكتفاء بعرض النتائج دون تفسيرها وربطها بالمشكلة والدراسات السابقة والإطار النظري، فضلاً عن وجود خلل في التوثيق عندما تكثر المراجع في القائمة النهائية بينما لا يظهر استخدامها الحقيقي داخل متن البحث^(١).

• الفجوة بين المعرفة النظرية والتطبيق

من أبرز مظاهر الفجوة أن الباحث قد يمتلك معرفة جيدة بالمفاهيم المنهجية، لكنه لا يستطيع تطبيقها بصورة صحيحة، فقد يعرف أنواع المناهج، لكنه يختار منهجاً لا يتلاءم مع السؤال، وقد يعرف مفهوم العينة، لكنه يختارها دون مبررات كافية، وقد يعرف أدوات جمع البيانات، لكنه لا يتحقق من صلاحيتها، ومن هنا يظهر الفرق بين معرفة المنهج وامتلاك المهارة المنهجية، فذكر عناصر المنهجية في البحث لا يكفي، ما لم تكن هذه العناصر مطبقة بصورة صحيحة ومتراصة^(٢).

• الفجوة بين المشكلة والأهداف والتساؤلات

تمثل مشكلة البحث نقطة البداية الحقيقية للعمل العلمي، ولذلك ينبغي أن تتفرع عنها الأهداف والتساؤلات، وأن توجه هذه العناصر اختيار المنهج والأدوات وإجراءات التحليل والنتائج، وعندما تكون المشكلة في اتجاه، والأهداف في اتجاه آخر، أو تكون التساؤلات لا يمكن الإجابة عنها من خلال الأدوات المستخدمة، فإن ذلك يؤدي إلى ضعف البناء المنهجي للبحث، كما أن البدء بجمع المعلومات قبل تحديد المشكلة قد يؤدي إلى تراكم معلومات كثيرة دون إطار علمي واضح يربط بينها، فيتحوّل البحث إلى عملية تجميع بدلاً من أن يكون عملية تحليل وإنتاج للمعرفة^(٣).

(١) رجاء وحيد دويدري: البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية: دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٠، ص ٣٠٣.

(٢) محمد عبيدات (وآخرون): المرجع السابق، ص ٣٥-٣٧.

(٣) رجاء وحيد دويدري: البحث العلمي: المصدر السابق، ص ٩١.

التركيز على الشكل على حساب المضمون

إن استيفاء البحث لمتطلبات السلامة الشكلية لا يمثل مؤشراً كافياً للحكم على جودته، إذا اقترن ذلك بخلل في المكونات المنهجية الأساسية، كعدم ملائمة المنهج لطبيعة المشكلة، أو ضعف أدوات جمع البيانات، أو قصور التحليل، ومن هنا تبرز أهمية الإشراف العلمي في اكتشاف مواطن الخلل المنهجي وتصحيحها قبل وصول البحث إلى صورته النهائية، بحيث لا ينحصر دور المشرف في تصحيح الأخطاء اللغوية والشكلية، وإنما يمتد إلى متابعة الاتساق الداخلي للبحث، وترباط المشكلة والأهداف والأسئلة والمنهج والأدوات والنتائج والتوصيات.^(١)

كما ينبغي ألا يصبح عدد البحوث المنشورة مؤشراً منفرداً على جودة الباحث أو المؤسسة، لأن زيادة الإنتاج الكمي لا تعني بالضرورة زيادة القيمة العلمية، ما لم تقترن بأصالة الموضوع وسلامة المنهج وقيمة النتائج والإضافة المعرفية.^(٢)

أسباب الفجوة وآثارها

تتعدد أسباب الفجوة بين المنهجية والإنتاج البحثي، ومن أبرزها ضعف التدريب العملي على مناهج البحث، والاقتصار على تدريسها بصورة نظرية، وضعف مهارات الكتابة العلمية، وقلة الاهتمام بأخلاقيات البحث، والتركيز على المتطلبات الشكلية، إضافة إلى ضعف الإشراف والتقويم في بعض البيئات الأكاديمية^(٣)، وتترتب على هذه الفجوة آثار متعددة، منها انخفاض جودة البحوث، وتكرار الموضوعات، وضعف القيمة العلمية، وانخفاض الثقة في النتائج، وإهدار الوقت والموارد في دراسات لا تحقق إضافة معرفية واضحة^(٤).

(١) فادية عبد الرحمن خالد كويي (وآخرون): تطبيق معايير مناهج البحث العلمي في الرسائل الجامعية بكلية العلوم الإنسانية في جامعة زاخو) آداب الرفادين (المجلد ٥٣، العدد ٢٠٢٣، ٩٤، ص ٣١٩-٣٢٣

(٢) حنان عيسى سلطان (وآخرون): أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٤م، ص ٤٦.

(٣) علي إبراهيم علي عبيدو: جودة البحث العلمي (الأخلاقيات، المنهجية، الإشراف، كتابة الرسائل والبحوث العلمية): دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٤م، ص ١٢٥-١٤٢؛ منال مروان منجد: الحماية القانونية للبحث العلمي دراسة مقارنة: مجلة الحقوق، العدد ٤، الكويت، ٢٠٢٤م، ص ٣٣٦.

(٤) محمد بن عبد الرؤوف بن عطية السيد: أكسيولوجيا البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي: مجلة التربية، المجلد ٢٠٢٤، العدد ٢٠٤، الجزء الثالث، ٢٠٢٤م، دار العلوم للنشر، مصر، ص ٥٦٣-٥٧٠.

المبحث الثالث

الانحرافات الشائعة في البحوث والإخلال بالمعايير الموضوعية

تعد الموضوعية من أهم المعايير التي تقوم عليها سلامة البحث العلمي ومصداقيته، إذ تقتضي من الباحث التجرد العلمي والابتعاد عن الأهواء والمواقف المسبقة، وعرض المعلومات والآراء والنتائج بصورة دقيقة ومتوازنة، غير أن الممارسة البحثية قد تشهد عددًا من الانحرافات التي تؤثر في سلامة البحث ونتائجه، ومن أبرزها التحيز في اختيار الموضوع والمشكلة والمصادر والعينة، والانتقائية في تحليل النتائج، وحذف النتائج المخالفة، والتلاعب بالبيانات، والانتحال العلمي.

الموضوعية وأهميتها

تمثل الموضوعية قيمة أساسية في البحث العلمي، لأنها تعني أن يتعامل الباحث مع موضوعه بعيداً عن الأهواء الشخصية والمواقف المسبقة، وأن يترك الأدلة والبيانات تقود إلى النتائج بدلاً من إخضاع البيانات للنتيجة التي يرغب في إثباتها^(١).

وتزداد أهمية الموضوعية في البيئة البحثية المعاصرة في ظل سهولة الوصول إلى المعلومات والمصادر الرقمية، والضغوط المرتبطة بالنشر والترقية والحصول على الدرجات العلمية، الأمر الذي يستوجب تعزيز الالتزام بالأمانة العلمية والنزاهة البحثية^(٢).

التحيز في اختيار موضوع البحث ومشكلته

قد يبدأ الانحراف عن الموضوعية منذ اختيار الموضوع، عندما ينطلق الباحث من موقف مسبق ويسعى إلى توجيه البحث لإثباته، بدلاً من اختيار الموضوع وفق أهميته العلمية وإمكانية دراسته وتوافر مصادره وملاءمة المنهج له، وللحد من ذلك ينبغي أن يستند اختيار المشكلة إلى معايير علمية واضحة، وأن يراجع الباحث الدراسات السابقة بصورة نقدية، وأن يحدد الفجوة البحثية دون تضخيم أو اختلاق، وأن يوضح حدود المشكلة ومبررات اختيارها بموضوعية^(٣).

(١) محمد سرحان علي قاسم: مناهج البحث العلمي. الطبعة الثالثة: مكتبة الوسطية للنشر والتوزيع، صنعاء، ٢٠١٩م، ص ٢٠.

(٢) سعد سلمان المشهداني: منهجية البحث العلمي: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨م، ص ٤٠.

(٣) ذوقان عبيدات (وآخرون) البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه: المرجع السابق، ص ٣٣.

الانتقائية في اختيار المعلومات والمصادر

من صور الإخلال بالموضوعية الاعتماد على مصادر ضعيفة أو مجهولة أو غير متخصصة دون التحقق من مصداقيتها، ولا تقاس قوة البحث بكثرة المراجع، وإنما بمدى موثوقيتها وملاءمتها لمشكلة البحث، ومن المعايير المهمة في تقييم المصادر: مؤهلات المؤلف، والجهة الناشرة، وتاريخ النشر، وطبيعة التحكيم، ووضوح المنهج، وإمكانية التحقق من البيانات، كما يمثل تحريف أفكار الآخرين أو اقتطاع الاقتباس من سياقه لخدمة موقف مسبق إخلالاً بالأمانة العلمية والموضوعية، ولذلك ينبغي استخدام الاقتباس في سياقه، والتمييز بين النقل الحرفي وإعادة الصياغة، وتوثيق الصفحات عند الاقتباس المباشر^(١).

التحيز في اختيار العينة وأدوات جمع البيانات

تعد العينة عنصراً أساسياً في البحوث الميدانية، واختيارها بطريقة غير علمية قد يؤدي إلى نتائج منحازة، خاصة إذا اختار الباحث أفراداً يتوقع منهم نتائج محددة، ولذلك ينبغي أن يستند اختيار العينة إلى قواعد منهجية واضحة، مع بيان خصائص المجتمع الأصلي وحجم العينة وطريقة اختيارها ومبرراتها، والإفصاح عن القيود التي تحد من إمكانية تعميم النتائج^(٢).

وقد يمتد التحيز إلى أدوات جمع البيانات، من خلال صياغة الأسئلة بطريقة توجي بإجابة معينة، أو إغفال البدائل التي تمثل اتجاهات مخالفة، أو إدارة المقابلة بطريقة توجه المبحوث نحو إجابة متوقعة، ويتطلب ضبط هذه المرحلة اختبار الأدوات بصورة قبلية، والتحقق من صدقها وثباتها عند الحاجة، وتوحيد إجراءات التطبيق وتدريب جامعي البيانات، وتجنب الأسئلة الموجهة أو المزدوجة^(٣).

الانتقائية في تحليل البيانات وتفسير النتائج

قد يظهر الإخلال بالموضوعية في مرحلة تحليل البيانات وتفسير النتائج، عندما يحاول الباحث تأويل النتائج وفق توقعاته السابقة أو يبالغ في أهمية النتائج التي تؤيد موقفه، كما ينبغي التمييز بين الارتباط والسببية، وعدم تفسير مجرد وجود علاقة بين

(١) سعد سلمان المشهداني: منهجية البحث العلمي: المرجع السابق، ص ٤٠.

(٢) سعد سلمان المشهداني: منهجية البحث العلمي: المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣) قاسم، محمد سرحان: مناهج البحث العلمي: المرجع السابق، ص ١٤٩.

متغيرين باعتبارها علاقة سببية دون مبرر منهجي، ومن أخطر صور الانحراف حذف البيانات أو النتائج التي لا تتوافق مع توجه الباحث، في حين أن القيمة العلمية للنتائج المخالفة قد تتمثل في قدرتها على تعديل الفرضيات أو إعادة تفسير الظاهرة المدروسة^(١).

سبل الحد من الانحرافات وتعزيز الموضوعية في البحث العلمي

يتطلب الحد من الانحرافات البحثية اتخاذ مجموعة من التدابير، في مقدمتها تدريب طلبة الدراسات العليا والباحثين على أخلاقيات البحث العلمي وقواعد التوثيق والتعامل مع البيانات، وتنمية قدرتهم على التمييز بين الرأي الشخصي والنتيجة التي تفرضها الأدلة، كما ينبغي تعزيز الالتزام بالتوثيق العلمي، وعدم إقصاء النتائج المخالفة، وتفعيل التحكيم العلمي، وتطوير دور المشرفين في الكشف المبكر عن مواطن الضعف والانحياز والأخطاء المنهجية^(٢).

(١) إيمان جمال أحمد مريقة: تجنب الانتحال العلمي في جامعة المنوفية: دراسة ميدانية". مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، مجلد ٣٢، العدد ١٢٤، الجزء الرابع، ٢٠٢١م، ص ٣٨-٣٩..

(٢) محمد السيد محمد: أخلاقيات البحث العلمي لدى طلاب الدراسات العليا بكليات التربية: مجلة كلية التربية، جامعة دمياط، العدد ٨٣، الجزء الثالث، ٢٠٢٢م، ص ١٩٧-٢٢٤.

المبحث الرابع الأسباب المؤثرة على جودة البحث العلمي

مفهوم جودة البحث العلمي

تعد جودة البحث العلمي أحد المؤشرات الرئيسة لقياس مستوى التقدم العلمي في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، ولا تقاس بكم الإنتاج وحده، وإنما بأصالته ودقة منهجيته وموضوعيته وقدرته على الإسهام في إنتاج المعرفة وحل المشكلات، وتشمل جودة البحث وضوح المشكلة، ودقة الأهداف، وسلامة المنهج، وملاءمة الأدوات، وصحة اختيار العينة، ودقة تحليل البيانات، والموضوعية، والأمانة العلمية، وسلامة التوثيق، ولذلك فإن الحكم على الجودة ينبغي ألا يقتصر على المخرج النهائي، بل يشمل مختلف مراحل العملية البحثية^(١).

المنهج العلمي وأثره في الجودة

يعد المنهج العلمي أحد أهم محددات جودة البحث، لأنه يضبط الإجراءات ويحدد العلاقة بين المشكلة والبيانات والتحليل والنتائج، ولا تتحدد قيمة البحث بأهمية موضوعه أو وفرة معلوماته، وإنما بسلامة الإجراءات التي اتبعها الباحث ودرجة التزامه بالمنهجية في جميع مراحل البحث^(٢).

وضوح المشكلة والأهداف

تمثل المشكلة نقطة الانطلاق الأساسية للبحث، ولذلك فإن غموضها أو اتساعها أو عدم قابليتها للدراسة ينعكس على بقية عناصر البحث، وتسهم الصياغة الدقيقة للمشكلة في تحديد الأهداف والأسئلة والفرضيات، واختيار المنهج والأدوات الملائمة، كما ينبغي أن تكون الأهداف واضحة ومحددة وقابلة للتحقيق ومرتبطة مباشرة بالمشكلة وأسئلتها^(٣).

(١) حياة حجاز (وآخرون): معايير جودة البحث العلمي. مجلة سياقات اللغة والدراسات البيئية، المجلد ٤، العدد ٣، مؤسسة ترقيم للتنمية والإبداع، مصر، ٢٠١٩م، ص ٤٩١-٤٩٧.

(٢) ذوقان عبيدات، (وآخرون): البحث العلمي: المرجع السابق، عمان، ١٧-٢٤.

(٣) ذوقان عبيدات، (وآخرون): المرجع السابق، ص ٤٠-٤٧.

ملاءمة المنهج والأدوات

ينبغي أن يتناسب المنهج مع طبيعة المشكلة وأهدافها وأسئلتها، وأن تكون أدوات جمع البيانات ملائمة لطبيعة المنهج والبيانات المطلوبة، فالمنهج التاريخي يختلف عن المنهج التجريبي والوصفي ودراسة الحالة، ومن ثم فإن استخدام منهج غير ملائم قد يؤدي إلى نتائج لا تتسق مع طبيعة المشكلة، وعليه، فإن جودة البحث تقوم على التكامل بين المشكلة والمنهج والأداة والعينة وإجراءات التحليل؛ لأن الخلل في أي عنصر منها يمكن أن يضعف القيمة العلمية للنتائج^(١).

كفاءة الباحث العلمية والمنهجية

تظل جودة البحث مرتبطة بكفاءة الباحث وقدرته على تحويل المعرفة النظرية إلى إجراءات عملية، ولا تكفي معرفة تعريف المناهج والأدوات، وإنما يجب أن يمتلك الباحث القدرة على تحديد المشكلة وصياغة الأسئلة والأهداف واختيار المنهج والأدوات وتحليل البيانات بصورة موضوعية^(٢).

الموضوعية وسلامة التصميم والعينة

تعد الموضوعية عنصراً جوهرياً في جودة البحث؛ إذ ينبغي للباحث أن يتعامل مع البيانات والنتائج بعيداً عن توقعاته الشخصية، كما ينبغي أن يكون التصميم البحثي ملائماً لطبيعة السؤال، وأن تكون العينة مختارة وفق قواعد علمية واضحة؛ لأن ضعف التصميم أو عدم ملاءمة العينة قد يؤدي إلى نتائج يصعب الوثوق بها أو تعميمها^(٣).

العوامل المؤسسية والمالية والتقنية

لا يمكن تحقيق جودة بحثية مرتفعة بمعزل عن البيئة المؤسسية، فالجامعة التي توفر المكتبات الحديثة وقواعد البيانات ومراكز البحث والتدريب والحوافز والتمويل تكون أكثر قدرة على دعم الباحثين وإنتاج بحوث ذات جودة، وتتمثل أبرز العوائق المالية والمؤسسية في ضعف ميزانيات البحث، وارتفاع تكاليف جمع البيانات والنشر

(١) المصدر السابق: ٨٥-١٠٥.

(٢) جميلة محمد الكمال: معوقات كتابة البحث العلمي لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة صنعاء (دراسة سوسيولوجية): مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية، المجلد ٥، العدد ٢٠٢٦، ص ٤٤٤-٤٦٦.

(٣) ذوقان عبيدات، (وآخرون): المرجع السابق، ص ٤٤-٤٧.

والمؤتمرات، ونقص المصادر والمختبرات والتجهيزات، وضعف توفير البرمجيات وقواعد البيانات^(١).

المراكز البحثية والحوافز ووقت الباحث

تسهم المراكز البحثية الفاعلة في تنظيم العمل البحثي، وتشجيع المشاريع المشتركة، وتوفير الدعم الفني للباحثين، كما تمثل الحوافز المادية والمعنوية عاملاً مهماً في رفع دافعية الباحثين، وتحتاج العملية البحثية كذلك إلى وقت كافٍ للقراءة والتخطيط وجمع البيانات والتحليل والكتابة، ولذلك فإن زيادة الأعباء التدريسية والإدارية على أعضاء هيئة التدريس قد تؤثر سلباً في الوقت المتاح للبحث^(٢).

الإشراف والمصادر وأخلاقيات البحث

تعد جودة الإشراف الأكاديمي من العوامل المؤثرة في جودة الرسائل والأطروحات الجامعية؛ إذ يستطيع المشرف من خلال المتابعة العلمية اكتشاف مواطن الخلل في المشكلة والمنهج والأدوات والتحليل قبل وصول البحث إلى صورته النهائية، كما تعد أخلاقيات البحث من أهم محددات الجودة، فالبحث الذي يخالف قواعد الأمانة العلمية يفقد جزءاً أساسياً من قيمته مهما كان منظماً من الناحية الشكلية، ويؤثر مستوى المصادر المستخدمة كذلك في جودة البحث، فكلما اعتمد الباحث على مصادر أصلية ومحكمة ومتنوعة، ازدادت قدرته على بناء إطار نظري متين وتحليل المشكلة بصورة أعمق^(٣).

النشر والتحكيم العلمي

تمثل مرحلة النشر والتحكيم امتداداً لمنظومة جودة البحث، إذ يسهم التحكيم العلمي في الكشف عن مواطن الضعف المنهجية والتحليلية واللغوية قبل نشر البحث، كما أن الوصول إلى قواعد البيانات والمكتبات الرقمية أصبح من مقومات البحث

(١) آمال عبد الوهاب أحمد العريقي: معوقات البحث العلمي كما يدركها أعضاء هيئة التدريس في جامعة تعز وسبل التغلب عليها: مجلة العلوم التربوية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، المجلد ٤، العدد ٢٠١٩، ص ٦٥؛ الرابطة العلمية لمراكز بحوث تنمية الموارد البشرية: التعليم العالي والبحث العلمي في الدول العربية (المشكلات والتحديات)، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ٢٠٢١م، ص ٢٥٨

(٢) المرجع السابق: ص ٦٠

(٣) مهدي عوارم: دور المكتبة الرقمية كآلية للتعليم الرقمي. المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، العدد ٧، الجزائر ٢٠١٩م، ص ٦٥-٧٨.

الحديث، ولذلك فإن جودة البحث العلمي تمثل نتاجًا لتفاعل مجموعة من العوامل الفردية والمنهجية والمؤسسية والمالية والتقنية والأخلاقية^(١).

المبحث الخامس واقع البحث العلمي بين المعايير الموضوعية والشكلية

أهمية الجوانب الإجرائية في كتابة البحث العلمي

على الرغم من أهمية الجوانب الفلسفية المتعلقة بأصول البحث العلمي، فإن الباحث يحتاج إلى معرفة الجوانب الإجرائية والشكلية والموضوعية في كتابة البحث؛ لأنها تساعد في اختيار العنوان وتنظيم المادة العلمية وتتبع الخطوات اللازمة لإعداد البحث بصورة سليمة^(٢) غير أن استيفاء القواعد الشكلية لا يمثل وحده معيارًا كافيًا لجودة البحث، إذ يرتبط تقويم البحث كذلك بأصالته، ووضوح مشكلته، وسلامة منهجه، ودقة بياناته، وموضوعية تحليله، وأمانة الباحث العلمية، وقدرته على تقديم إضافة معرفية.

المعايير الموضوعية والشكلية

ترتبط جودة البحث العلمي بمجموعة من المعايير والمتطلبات والمعوقات والإجراءات التطويرية، وأنها لا تنحصر في جانب واحد من جوانب العمل البحثي^(٣) فالمعايير الموضوعية تتصل بجوهر البحث وقيمه العلمية، ومن أبرزها: أهمية المشكلة، وأصالة الموضوع، وملاءمة المنهج، وصحة البيانات، وموضوعية التحليل، ومنطقية النتائج، والإضافة العلمية، أما المعايير الشكلية فتتصل بطريقة تنظيم البحث وعرضه، وتشمل العنوان، وترتيب المباحث والفصول، وترقيم الصفحات، والهوامش، ونوع الخط وحجمه، والجداول والأشكال، والتوثيق، وقائمة المراجع والملاحق، ومن ثم فإن المعيار الموضوعي يجيب عن سؤال: هل البحث جيد علميًا؟ بينما يجيب المعيار الشكلي عن سؤال: هل عرض البحث ونظم وفق القواعد المعتمدة؟ وتكمن المشكلة عندما يطغى أحد الجانبين على الآخر؛ فقد يكون البحث منظمًا بصورة ممتازة، لكنه يفتقر إلى الأصالة

(١) حياة حجاز، (وآخرون): المصدر السابق، ص ٤٩١-٤٩٧.

(٢) مركز البيان للدراسات والتخطيط: خطوات كتابة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية: ص ١١

(٣) بشرى إسماعيل أحمد أرنوط: ص ٢٢.

والعمق، أو يكون غنياً من الناحية الفكرية لكنه ضعيف في التوثيق والتنظيم^(١).

مظاهر اختلال التوازن

قد تنظر بعض الممارسات الأكاديمية إلى جودة البحث من خلال عدد الصفحات، وحجم الخط، وترتيب الفصول، وعدد المراجع، وطريقة التوثيق، في حين لا تحظى الأصالة وسلامة المنهج والإضافة العلمية بالاهتمام نفسه، وفي المقابل، قد يهمل بعض الباحثين التنظيم والتوثيق وسلامة اللغة وترتيب المصادر بحجة التركيز على المضمون، وهو ما يؤدي إلى صعوبة قراءة البحث والتحقق من مصادره، ومن ثم فإن الموقف العلمي الصحيح لا يتمثل في إلغاء المعايير الشكلية، وإنما في وضعها في موقعها الصحيح، بحيث تكون خادمة للمضمون العلمي وليست بديلاً عنه^(٢). إذاً فإن القضية هنا ترتبط مباشرة بجودة الإنتاج المعرفي، وهي قضية المعايير التي ينبغي أن تحكم عملية إعداد البحث العلمي^(٣).

المعايير الموضوعية للبحث العلمي

تتعلق المعايير الموضوعية بجوهر البحث وقيمه المعرفية والمنهجية، ومن أهمها الأمانة العلمية والموضوعية والأصالة وسلامة المنهج، وتعد أصالة البحث من أهم معايير جودته، ولا تعني بالضرورة أن يكون الموضوع جديداً بصورة مطلقة، وإنما يمكن أن تتحقق الأصالة من خلال تقديم تفسير جديد، أو استخدام منهج مختلف، أو دراسة المشكلة في بيئة جديدة، أو إعادة تحليل نتائج سابقة، أو معالجة جانب لم يحظ بالدراسة الكافية^(٤). كما ينبغي أن تكون المشكلة ذات قيمة علمية أو عملية، وأن تسهم في سد فجوة معرفية، أو تفسير ظاهرة، أو معالجة مشكلة، أو اختبار علاقة، أو تطوير معرفة قائمة، ويعد اختيار المنهج المناسب من المعايير الموضوعية المهمة، فلا يمكن استخدام منهج لا يتناسب مع طبيعة المشكلة أو أداة لا تقيس ما يفترض أن تقيسه^(٥). وتعد الموضوعية والأمانة العلمية من أهم خصائص البحث، فطريقة كتابة المرجع تمثل

(١) بشرى إسماعيل أحمد أرنوط: ص ٢٤.

(٢) رياض مصطفى عثمان: معايير الجودة البحثية في الرسائل الجامعية (الأسس العلمية بالتطبيق والتمثيل لوضع الخطة) دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٤م، ص ٦٧.

(٣) بشرى إسماعيل أحمد أرنوط: المصدر السابق، ص ٢٧-١.

(٤) رياض مصطفى عثمان: معايير الجودة البحثية: المرجع السابق، ص ١٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٠.

جانبًا شكليًا من التوثيق، لكن نسبة الفكرة إلى صاحبها وعدم سرقتها أو تحريفها يمثلان جانبًا موضوعيًا وأخلاقيًا أساسيًا^(١).

المعايير الشكلية للبحث العلمي

تشمل المعايير الشكلية مجموعة القواعد التي تنظم طريقة إخراج البحث وتقديمه، ومنها العنوان، وترتيب المباحث والفصول، وترقيم الصفحات، والهوامش، والجداول، والأشكال، والتوثيق، وقائمة المراجع والملاحق، ولا ينبغي النظر إلى هذه المعايير باعتبارها غير مهمة؛ فهي ضرورية لتيسير قراءة البحث والتحقق من مصادره والاستفادة منه، غير أن المشكلة تظهر عندما يتحول استيفاء هذه الشروط إلى غاية مستقلة عن القيمة العلمية، ومن هنا فإن الموقف المنهجي المتوازن يقوم على تكامل الشكل والمضمون، فالشكل الجيد يساعد على تقديم المضمون بصورة واضحة، بينما يمثل المضمون العلمي أساس قيمة البحث وجوهره^(٢).

(١) بشري إسماعيل أحمد أرنوط: المصدر السابق، ص ٣٠

(٢) فضيلة سلطاني: المعايير والمؤشرات الشكلية والموضوعية لتصميم البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، ص ٤٤ مهدي عوارم: دور المكتبة الرقمية كآلية للتعليم الرقمي: المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، العدد ٢٠١٩، ص ٧٨-٦٥.

الخاتمة

يتضح من خلال تناول واقع البحث العلمي الإنساني بين المنهجية والممارسة أن المنهجية العلمية لا تقتصر على معرفة الباحث بالقواعد والمفاهيم النظرية للبحث، وإنما تظهر قيمتها الحقيقية في قدرته على تطبيقها بصورة متكاملة في مختلف مراحل العملية البحثية، بدءاً من تحديد المشكلة وصياغة الأهداف والتساؤلات، مروراً باختيار المنهج والأدوات وجمع البيانات وتحليلها، وانتهاءً بتفسير النتائج واستخلاص الاستنتاجات وتوثيق المصادر. كما تبين أن الفجوة بين المنهجية العلمية والإنتاج البحثي ليست مرتبطة بجانب واحد، تظهر في صور متعددة، منها عدم الانسجام بين مشكلة البحث وأهدافه وتساؤلاته، وعدم ملائمة المنهج والأدوات لطبيعة المشكلة، وضعف الانتقال من جمع المعلومات إلى تحليلها وتفسيرها، وضعف توظيف الدراسات السابقة والمراجع في بناء البحث وإنتاج إضافة علمية حقيقية.

ويبرز الالتزام بالموضوعية بوصفه أحد أهم الأسس التي تقوم عليها مصداقية البحث العلمي؛ إذ إن تحيز الباحث في اختيار المعلومات أو تحليلها أو تفسيرها، أو استبعاد النتائج التي لا تتفق مع توقعاته، يؤدي إلى إضعاف قيمة البحث ومصداقيته. كما أن التلاعب بالبيانات أو اختلاقها أو تزويرها والانتحال العلمي تمثل ممارسات تتعارض بصورة مباشرة مع أسس النزاهة والأمانة العلمية.

وأظهر البحث كذلك أن جودة البحث العلمي تتأثر بمجموعة متداخلة من العوامل، من أهمها كفاءة الباحث، وسلامة المنهج، وتوافر المصادر والمراجع، والبيئة المؤسسية، والإمكانات المالية والتقنية، والإشراف العلمي، وأخلاقيات البحث، ومن ناحية أخرى، فإن العلاقة بين المعايير الموضوعية والشكلية ينبغي أن تقوم على التكامل والتوازن؛ فلا ينبغي أن تتحول المتطلبات الشكلية إلى معيار أساسي للحكم على قيمة البحث، كما لا ينبغي إهمال التنظيم والتوثيق والعرض العلمي، فالمعايير الشكلية ينبغي أن تكون داعمة للمعايير الموضوعية وخادمة للمضمون العلمي.

وبناءً على ذلك، فإن تطوير البحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية يتطلب الانتقال من الاقتصار على تعليم قواعد ومناهج البحث بصورة نظرية إلى تدريب الباحثين على استخدامها وتطبيقها في مواقف بحثية فعلية، إلى جانب تطوير أساليب الإشراف والتقويم والنشر العلمي، وتعزيز قيم الموضوعية والأمانة والنزاهة العلمية، وتوفير البيئة المؤسسية والمالية والتقنية الملائمة لإنتاج بحوث علمية ذات قيمة حقيقية.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

- توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:
- أظهر البحث أن مستوى الالتزام بالمنهجية العلمية في البحوث الإنسانية يتصف بالازدواجية، حيث يرتفع الالتزام بالمتطلبات الشكلية كالتقسيم والتوثيق وعدد الصفحات، بينما ينخفض الالتزام بالمتطلبات الموضوعية الدقيقة المتمثلة في وضوح المشكلة وتحديد أبعادها ومتغيراتها وصياغة الاهداف القابلة للقياس.
- اظهر البحث أن التزام طلبة الدراسات العليا بمنهجية البحث كان شكلياً أكثر منه موضوعياً.
- تبين أن اختيار المنهج في كثير من البحوث لا يتم بناء على طبيعة المشكلة وسؤال البحث، بل بناء على شيوع المنهج وسهولة تطبيقه، مما يؤدي إلى عدم الملاءمة بين المشكلة والمنهج والاداة، وهو من أبرز مظاهر الفجوة بين المعرفة النظرية والتطبيق.
- كشفت النتائج عن ضعف في مرحلة تحليل البيانات وتفسيرها، حيث يكتفي بعض الباحثين بعرض الجداول والنسب دون تفسير علمي لها، ودون ربطها بالإطار النظري والدراسات السابقة، ودون التمييز بين الدلالة الإحصائية والدلالة العلمية.
- تتمثل أهم الانحرافات المخلة بالمعايير الموضوعية في التحيز في اختيار موضوع البحث ومشكلته انطلاقاً من موقف مسبق يسعى الباحث لإثباته، مما يوجه إجراءات البحث نحو نتائج محدودة سلفاً.
- يعد التحيز في اختيار العينة وأدوات وجمع البيانات من الانحرافات الشائعة.
- يظهر الإخلال بالموضوعية في الانتقائية في اختيار المعلومات والمصادر، من خلال الاعتماد على مصادر ضعيفة أو غير محكمة، أو اقتطاع الاقتباسات من سياقها، أو الإكثار من المراجع في القائمة النهائية دون توظيفها داخل المتن.

- الاتقائية في تحليل النتائج وحذف النتائج المخالفة لتوقعات الباحث، والتلاعب بالبيانات في صورتيه التزوير والتلفيق، بالإضافة إلى الانتحال العلمي، تعد من أخطر الانحرافات التي تم رصدها.
- تبين أن جودة البحث العلمي لا تتأثر بعامل واحد، بل بمنظومة متداخلة تشمل: كفاءة الباحث ومهاراته المنهجية، وسلامة التصميم البحثي، وجودة الإشراف العلمي، وتوفير البيئة المؤسسية الداعمة كالمراكز البحثية وقواعد البيانات والمكتبات الرقمية.
- يعد العامل المالي من العوامل الحاسمة في الجودة، ويتمثل في ضعف ميزانيات البحث العلمي، وارتفاع تكاليف جمع البيانات الميدانية، وتكاليف النشر في المجالات المحكمة، وضعف الحوافز التشجيعية للباحثين.
- تحتاج عملية تدريس مناهج البحث العلمي إلى الجمع بين الجانب النظري والتطبيق العملي، بحيث يتمكن الطالب والباحث من ممارسة خطوات البحث بدل الاكتفاء بمعرفة القواعد بصورة نظرية.
- تبين أن الإفراط في التركيز على المعايير الشكلية في تحكيم البحوث يؤدي إلى انتاج بحوث مستوفية إجرائيا لكنها ضعيفة من حيث الأصالة والإضافة المعرفية، وأن التقويم السليم يتطلب إعطاء الوزن الأكبر للمعايير الموضوعية، وجعل المعايير الشكلية إطارا داعما ومنظما لها.

ثانيا: التوصيات

- في ضوء النتائج يوصي البحث بما يأتي:
- وضع معايير واضحة ومحددة لتقويم جودة البحث العلمي، بحيث تعطي المعايير الموضوعية والمنهجية وزناً مناسباً إلى جانب المتطلبات الشكلية.
 - تشجيع الجامعات ومؤسسات التعليم العالي على تقويم جودة الإنتاج البحثي وقيمته العلمية، وعدم الاعتماد على عدد البحوث بوصفه مؤشراً منفرداً على النشاط البحثي.
 - تعزيز التدريب العملي على مناهج البحث العلمي، ولا سيما في برامج الدراسات العليا، وربط دراسة المناهج بتطبيقات بحثية فعلية.

- تعزيز دور الإشراف العلمي في متابعة مراحل إعداد البحث، ابتداءً من اختيار المشكلة وصياغة الأهداف والأسئلة، وانتهاءً بتحليل النتائج ومناقشتها.
- إنشاء وتطوير قواعد بيانات ومصادر وطنية للبحوث والدراسات السابقة؛ للحد من تكرار الموضوعات وتشجيع الباحثين على الاستفادة من الإنتاج العلمي السابق.
- تعزيز ثقافة الأمانة العلمية والموضوعية والنزاهة البحثية لدى طلبة الدراسات العليا والباحثين، مع توضيح صور الانحرافات البحثية وطرق تجنبها.
- إعطاء المعايير الموضوعية وزناً أكبر في تقويم البحوث والرسائل العلمية، وعدم المبالغة في معاقبة الباحث على الأخطاء الشكلية البسيطة التي لا تؤثر في جوهر البحث وقيمه العلمية.
- تعزيز دور المجالات العلمية وهيئات التحكيم في التأكد من سلامة المنهجية والموضوعية والتوثيق قبل نشر البحوث.
- إعداد أدلة إرشادية واضحة للباحثين تتضمن أكثر الأخطاء المنهجية والموضوعية شيوعاً، مع تقديم نماذج تطبيقية تساعد على تجنبها.
- توفير بيئة بحثية جامعية تشجع الباحثين على الوصول إلى المصادر العلمية والمكتبات الرقمية والمشاركة في المؤتمرات والندوات والأنشطة العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- حنان عيسى سلطان (وآخرون): أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق: دارالعلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٤م.
- الرابطة العلمية لمراكز بحوث تنمية الموارد البشرية: التعليم العالي والبحث العلمي في الدول العربية: المشكلات والتحديات، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ٢٠٢١م.
- رجاء وحيد دويدري: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية: دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.
- رياض مصطفى عثمان: معايير الجودة البحثية في الرسائل الجامعية: الأسس العلمية بالتطبيق والتمثيل لوضع الخطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤م.
- سعد سلمان المشهداني: منهجية البحث العلمي: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨م.
- عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي: ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.
- عبد الرشيد بن عبد العزيز حافظ: أساسيات البحث العلمي: جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٤٤هـ.
- عبيدات ذوقان (وآخرون): البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه: ط٢١، دار الفكر، عمان، ٢٠٢١م.
- عبير عبد المعطي المصري: ماهية البحث العلمي وأهميته: جامعة الملك سعود، د.ت.
- علي إبراهيم علي عبيدو: جودة البحث العلمي الأخلاقيات، المنهجية، الإشراف: كتابة الرسائل والبحوث العلمية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٤م.

- محمد عبيدات (وآخرون): منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات، ط٢، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٩م.
- محمد سرحان علي قاسم المحمودي: مناهج البحث العلمي: ط٣، مكتبة الوسطية للنشر والتوزيع، صنعاء، ٢٠١٩م.
- محمد فتحي عبد الهادي: البحث ومناهجه في علم المكتبات والمعلومات: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

ثانياً: البحوث والدراسات المنشورة في الدوريات

- إيمان جمال أحمد مريقة: تجنب الانتحال العلمي في جامعة المنوفية: دراسة ميدانية، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، مجلد ٣٢، العدد ١٢٤، الجزء الرابع، ٢٠٢١م
- آمال عبد الوهاب أحمد العريقي: معوقات البحث العلمي كما يدركها أعضاء هيئة التدريس في جامعة تعز وسبل التغلب عليها: مجلة العلوم التربوية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، مج ٤، ع ١٤، ٢٠١٩م.
- جميلة محمد الكمالي: معوقات كتابة البحث العلمي لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة صنعاء دراسة سوسيولوجية: مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية، مج ٥، ع ١٤، ٢٠٢٦م.
- حياة حجاز (وآخرون): معايير جودة البحث العلمي: مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، مج ٤، ع ٣، مؤسسة ترقيم للتنمية والإبداع، مصر، ٢٠١٩م.
- صلاح بابكر مهاجر: تحديات البحث العلمي: مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مج ٣، ع ١٠، جامعة السودان المفتوحة، السودان، ٢٠٢٢م.
- طارق أحمد قاسم المنصوب: واقع البحث العلمي في العلوم الإنسانية في اليمن: مجلة الباحث الجامعي، العدد ٩، جامعة إب، اليمن، د.ت.
- عبد الله الشرف: في مفهوم البحث العلمي والبحث الأدبي، المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات، العدد ٣، مارس ١٩٨٥م.
- عقيلة زاوي: منهجية البحث العلمي: مجلة جامعة الجزائر، العدد ٣، ٢٠٢٢م.

- فادية عبد الرحمن خالد كويى وآخرون: تطبيق معايير مناهج البحث العلمي في الرسائل الجامعية بكلية العلوم الإنسانية في جامعة زاخو: آداب الرافدين، مج ٥٣، ع ٩٤، ٢٠٢٣ م.
- فضيلة سلطاني: المعايير والمؤشرات الشكلية والموضوعية لتصميم البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية: كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠٢١ م.
- محمد بن عبد الرؤوف بن عطية السيد: أكسيولوجيا البحث العلمي في عصر الذكاء الاصطناعي: مجلة التربية، مج ٢٠٢، ع ٢٠٤، الجزء الثالث، دارالعلوم للنشر، مصر، ٢٠٢٤ م.
- محمد السيد محمد: أخلاقيات البحث العلمي لدى طالب الدراسات العليا بكليات التربية: مجلة كلية التربية، جامعة دمياط، مصر، العدد ٨٣، الجزء الثالث، ٢٠٢٢ م.
- مصطفى عبد العظيم الطبيب: ضمان جودة البحث العلمي في الوطن العربي دراسة تحليلية ميدانية: المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، جامعة العلوم والتكنولوجيا، مج ٦، ع ١٣، ٢٠١٣ م.
- مهدي عوارم: دور المكتبة الرقمية كآلية للتعليم الرقمي: المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، العدد ٧، الجزائر، ٢٠١٩ م.
- يخلف رفيقة: قواعد الالتزام بمنهجية البحث العلمي: مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، جامعة عاشور، الجزائر، عدد خاص، ١٤ نوفمبر ٢٠١٩ م.



الذكاء الاصطناعي وبنية التهديدات المتعددة الأبعاد

من الاختراق البرمجي إلى تقويض المنهج العلمي

د. محمد الأيوبي^(١)

(١) الدكتور محمد الأيوبي هو كاتب وباحث فلسطيني، حاصل على شهادة البكالوريوس في الصحافة ودراسات الإعلام، وعلى درجة الدكتوراه في القانون. وهو محلل جيوسياسي مستقل، يتركز اهتمامه على تحليل الشرق الأوسط والعالم متعدد الأقطاب، ويقدم قراءات معمقة في الصراع الفلسطيني وتأثيره الاستراتيجي في المنطقة، وحركات المقاومة، والمعادلات الجيوسياسية الإقليمية والدولية. مسلطاً الضوء على التحولات الكبرى في المنطقة والعالم. ينشر تحليلاته ومقالاته في منصات بارزة، منها موقع The Cradle Arabic، وقناة الميادين، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية، وموقع العهد الإخباري، وصحيفة الأخبار اللبنانية، وموقع الخنادق. تشمل أبحاثه ودراساته المنشورة في عدد من المجالات والدوريات الأكاديمية.

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل التحول البنيوي في طبيعة التهديدات الناتجة عن استخدام الذكاء الاصطناعي، من كونه أداةً للدعم والتخطيط إلى فاعلٍ استراتيجي شبه مستقل يُشارك في صناعة القرارات المصيرية، وتنطلق الدراسة من فرضية مركزية مفادها أن الذكاء الاصطناعي يُنتج تهديدات متعددة الأبعاد تتجاوز حدود الأمن السيبراني التقليدي، وتشكل في خمسة مستويات متداخلة: التهديد البرمجي والتقني، والتهديد الأخلاقي، والتهديد العسكري والأمني، والتهديد على المنهجية العلمية، وحدود الاستخدام المشروع في البحث والدراسات.

وقد اعتمدت الدراسة منهجاً تحليلياً نقدياً، مستندةً إلى الأدبيات المحكّمة الصادرة عن مراكز البحث الدولية والعربية، بما يشمل تقارير Google Threat Intelligence وISO/IEC وNIST وIEEE وCheck Point Research وVerizon DBIR وGroup، ووثائق اليونيسكو والإيسيسكو والألكسو، وقد كشفت النتائج أن البرمجيات الخبيثة أصبحت متحوّرة تلقائياً، وأن الوكلاء الأذكىاء ينفذون عمليات اختراق كاملة دون تدخل بشري، وأن الانحياز الخوارزمي يُعيد إنتاج التمييز الاجتماعي، وأن حادثة السفينة الصينية (٢٠٢٦) والحرب الأمريكية- "الإسرائيلية" على إيران باستهدافها لمدرسة ميناب بالاعتماد على الذكاء الاصطناعي في تحديد الأهداف والحرب على غزة، جسّدت هشاشة سلسلة القرار العسكري عندما تتقدم الآلة على الإنسان. كما أظهرت النتائج أن ٩٠٪ من الأساتذة الجامعيين يعتقدون أن الذكاء الاصطناعي التوليدي سيُضعف التفكير النقدي لدى الطلاب.

وتخلص الدراسة إلى أن مواجهة هذه التهديدات تتطلب إطاراً دفاعياً متكاملًا يجمع بين الحلول البرمجية والتقنية والتنظيمية والبشرية، مع الإقرار بأن المسألة ليست اختياراً بين التقدم التقني والتخلف عنه، بل هي اختيار بين تقدم يحترم الإنسان وتقدم يستنزفه — وهذا الاختيار أخلاقي قبل أن يكون تقنياً.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، الأمن السيبراني، الأخلاقيات الرقمية، سباق التسلح، الوكلاء الأذكىاء، المنهجية العلمية، الحوكمة.

Study Abstract

This study seeks to analyze the structural transformation in the nature of threats arising from the use of artificial intelligence, as it shifts from being a tool for support and planning to a quasi-autonomous strategic actor participating in the making of fateful decisions. The study proceeds from a central hypothesis: that artificial intelligence produces multidimensional threats that transcend the boundaries of traditional cybersecurity, taking shape across five interconnected levels — the software and technical threat, the ethical threat, the military and security threat, the threat to scientific methodology, and the limits of legitimate use in research and studies.

The study adopts a critical-analytical methodology, drawing on peer-reviewed literature issued by international and Arab research centers, including reports from Google Threat Intelligence Group, Verizon DBIR, and Check Point Research, as well as frameworks from IEEE, NIST, and ISO/IEC 42001, and documents from UNESCO, ICESCO, and ALECSO. The findings reveal that malware has become self-mutating, that intelligent agents execute complete intrusion operations without human intervention, and that algorithmic bias reproduces social discrimination. Furthermore, the Chinese ship incident (2026), the war in Iran — where U.S. forces targeted the Minab school relying on artificial intelligence for target identification — and the war on Gaza, all embodied the fragility of the military decision-making chain when the machine advances ahead of the human. The findings also showed that 90% of university professors believe that generative artificial intelligence will weaken students' critical thinking.

The study concludes that confronting these threats requires an integrated defense framework combining software, technical, regulatory, and human solutions, while acknowledging that the question is not a choice between technological progress and backwardness, but rather a choice between a progress that respects the human being and a progress that consumes him — and this choice is ethical before it is technical.

Keywords: Artificial Intelligence; Cybersecurity; Digital Ethics; Arms Race; Intelligent Agents; Scientific Methodology; Governance.

مقدمة الدراسة

لم يعد الذكاء الاصطناعي تقنيةً مدنية هامشية تُساعد في تحسين الإنتاجية أو أتمتة المهام الروتينية؛ بل صار قلب سباق استراتيجي شامل يعيد تشكيل بنية القوة في القرن الحادي والعشرين. ومن يملك سرعة الآلة يملك سرعة القرار، ومن يفرض معاييرها يرسم ملامح المستقبل، لكن هذه السرعة ذاتها هي التي تُنتج مخاطر غير مسبوقة، إذ تتقدم قدرة الآلة على التوليد والتحليل والتنفيذ على قدرة الإنسان على الفهم والتحقق والتراجع، ولم يعد السؤال المطروح «هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُساء استخدامه؟» بل أصبح سؤالاً وجودياً: «إلى أي مدى وصل هذا الاستخدام، وما هي حدوده، ومن يملك حق تقييده؟».

تنطلق هذه الدراسة من فرضية مركزية مفادها أن الذكاء الاصطناعي لم يعد فقط أداة في يد الإنسان؛ بل تحوّل إلى فاعل استراتيجي شبه مستقل، يُنتج تهديدات متعددة الأبعاد تتجاوز حدود الأمن السيبراني التقليدي لتطال الأخلاق، والعقيدة العسكرية، والمنهجية العلمية، وحدود المعرفة ذاتها. وتتشكل هذه التهديدات في خمسة مستويات متداخلة، يشكل كل منها مبحثاً مستقلاً في هذه الدراسة، غير أنها تظل مترابطة في نسق واحد يُظهر كيف يُعيد الذكاء الاصطناعي رسم خارطة المخاطر العالمية.

حيث يشكل المستوى البرمجي المدخل الأول لفهم طبيعة التهديد، إذ انتقلنا من هجمات البرمجيات الخبيثة التقليدية إلى ما يمكن تسميته «السباق التسليحي الخوارزمي» وتكشف الدراسات الحديثة أن المهاجمين يستخدمون الذكاء الاصطناعي التوليدي في كل مرحلة تقريباً من مراحل الهجوم، بدءاً من اختيار الأهداف وانتهاءً بتطوير البرمجيات الخبيثة (Verizon DBIR, 2026). ولم تعد البرمجيات الخبيثة جامدة، بل أصبحت متحركة تلقائياً، تُغيّر بنيتها البرمجية وتوقعها الرقمي في كل انتقال، كما هو الحال مع عائلات PROMPTFLUX وPROMPTSTEAL وBlackMamba التي تستدعي نماذج اللغة الكبيرة أثناء التنفيذ لتوليد سطورها الخبيثة ديناميكياً (GTIG, 2025).

وتُظهر الأدلة أن أحد المطورين استخدم بيئة ذكاء اصطناعي لإنتاج إطار عمل هجومي من نوع Command-and-Control يتجاوز ٨٨ ألف سطر برمجي في أقل من أسبوع واحد، وهو مشروع كان يتطلب تقليدياً نحو ٣٠ أسبوعاً من جهد التطوير (Check Point Research, 2026). كما كشفت Google Threat Intelligence Group عن أول ثغرة «يوم صفر» مُطوّرة بمساعدة الذكاء الاصطناعي، استهدفت تجاوز المصادقة

الثنائية في أداة مفتوحة المصدر. واللافت أن هذه الثغرة لم تكن من نوع تجاوز المخزن المؤقت التقليدي، بل كانت ثغرة منطقية عالية المستوى تتعلق بافتراض ثقة مُضمّن في الشفرة — وهي تحديداً الفئة التي تتفوق فيها النماذج اللغوية الكبيرة على أدوات الفحص التقليدية.

ويُضاف إلى ذلك تهديد «الوكلاء الأذكياء» الذين يُكلفون بهدف نهائي شامل، فينفذون عمليات استكشاف الشبكة وتحليل الروابط وتحديد مسارات تجاوز الجدران النارية وتنفيذ التنقل الجانبي وقطع السجلات دون تدخل بشري مستمر، وقد وثّقت شركة Sysdig أول عملية فدية تُنفذ من البداية إلى النهاية بواسطة وكيل مستقل أطلق عليه JADEPUFFER، حيث شملت أكثر من ٦٠٠ حمولة منفصلة، وأظهر الوكيل سرعة تشخيص وتصحيح ذاتي ملحوظة، وفي سياق متصل، كشف تقرير Check Point Research عن حالات استخدمت فيها المساعدات الذكية المستقلة للتحكم المباشر في الجلسات البرمجية، حيث استطاع استعلام واحد عبر تكاملات غير مؤمنة استخراج مئات الملفات الحساسة في أقل من ثانية واحدة.

إذا كان التهديد البرمجي يمس البنية التقنية، فإن التهديد الأخلاقي يمس جوهر الإنسان ذاته. وتكشف الأدبيات الحديثة عن ثلاثة أبعاد بنيوية تحوّل الخوارزميات الذكية إلى تهديد قيمى: مشكلة «الصندوق الأسود» التي تُعطل مبدأ المساءلة، واتساع نطاق الأثر التراكمي الذي يُصيب ملايين البشر بالتمييز في الوقت ذاته، وتآكل الإرادة المستقلة والكرامة الإنسانية.

ويُظهر الانحياز الخوارزمي قدرة الأنظمة على إعادة إنتاج التمييز الاجتماعي ومنحه طابعاً من «الموضوعية الرقمية الزائفة» فقد أظهرت دراسة محكمة على ٢٦ ألف تقييم لنماذج GPT أن النموذج «لم يُخفّض الدرجات بشكل منهجي للأقليات الممثلة تمثيلاً ناقصاً، لكنه تجنّب تصنيفهم في المرتبة الأخيرة دون زيادة احتمالات الفوز» — وهي ظاهرة «الامتثال الرمزي» التي تُخفّض التمييز الصريح دون تغيير المنطق التقييمي الجوهرى، وفي السياق العربي، يُبرز الباحثون أن «التحيز الثقافي في الفضاء الرقمي هو نتاج للهيمنة الغربية»، وأن الخوارزميات «تُسهّم في إعادة إنتاج السيطرة الرمزية» عبر إغفال الحقائق وتشويه السرديات.

ولا يقلّ خطر «الاتكالية المعرفية» عن سابقه، إذ تُشير الدراسات إلى أن «الاعتماد على الذكاء الاصطناعي يقلل من مهارات التقييم النقدي عبر آليات التفريغ المعرفي»، وأن «الاعتماد الكامل على الذكاء الاصطناعي التوليدي للكتابة قلّل من دقة الفهم

بنحو ٢٥٪»، أما انتهاك الخصوصية، فتكشف دراسة واسعة شملت تحليل ١٠٠,٣٤٢ محادثة عبر منصات الذكاء الاصطناعي الرئيسية أن «٨٪ من المحادثات تنطوي على مخاطر خصوصية ناشئة عن الإفصاح عن بيانات خاصة وحساسة»، تشمل معرفات المستخدمين (٤٩٪) وبيانات الموقع (٤٠٪) وبيانات مالية (٤٪) وصحية (٣٪) ومصادقة (٣٪) (PoPETs, 2026). وتبلغ خطورة التضليل حدّاً وجودياً، إذ لا يقتصر على خداع المتلقي في واقعة محددة، بل يُفكّك الشرط المعرفي الذي يجعل الحوار المجتمعي ممكناً أصلاً — وهو الثقة في إمكانية التمييز بين الصدق والكذب.

أما في المجال العسكري، يتجاوز التحول حدود الدعم التقني ليصل إلى قلب العقيدة القتالية. وقد كشفت حادثة السفينة الصينية في ربيع ٢٠٢٦ عن هشاشة سلسلة القرار عندما تتقدم سرعة الآلة على قدرة الإنسان على التحقق، فقد أنتج محلل في قيادة العمليات الخاصة الأمريكية تقريراً استخباراتياً بمساعدة روبوت دردشة دمج معلومات سرية ومفتوحة المصدر، ثم «هلوس» مستنتجاً أن السفينة تنقل مكونات نووية، وعلى أساسه، استنفر الجيش، وحلّقت الطائرات، وكادت عملية الاقتحام تبدأ، قبل أن يكشف مسؤولون عسكريون أنه نتاج هلوسة برمجية (CNN, 2026; Franceinfo, 2026; CNA, 2026).

هذه الحادثة ليست خطأ تقنياً معزولاً، بل تجسيد لتحول بنيوي عميق: الذكاء الاصطناعي لم يعد «أداة دعم» بل أصبح «فاعلاً استراتيجياً» يُشارك في القرارات المصيرية، وتُظهر المقترحات الأخيرة لخبراء الأمن القومي من الجانبين الأمريكي والصيني، ضمن حوار معهد بروكينغز وجامعة تسينغهوا، ضرورة وضع «خطوط حمراء» تمنع الذكاء الاصطناعي من اتخاذ قرار مستقل باستخدام الأسلحة النووية، وإبقاء القرارات المتعلقة بالهجمات السيبرانية ذات العواقب الوخيمة تحت السيطرة البشرية الحصرية، وإنشاء خط ساخن مخصص لحوادث الذكاء الاصطناعي (Reuters, 2026; Brookings, 2026). لكن هذه المقترحات تصطدم بمعضلة أعمق: كيف يمكن تعريف «السيطرة البشرية الهادفة» بشكل مشترك، بينما يرى كل طرف أن الآخر قد يستخدم نفس اللغة لتبرير مستويات مختلفة من استقلالية الآلة؟

ينتقل التهديد من الميدان العسكري إلى حرم الجامعة، حيث يُعيد الذكاء الاصطناعي تشكيل المنهجية العلمية ذاتها. وتشير الدراسات إلى أن «الاعتماد المفرط على أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي في بيئات البحث والتعليم يؤدي إلى حالة من الاتكالية المعرفية»، وأن «الاعتماد الكامل على الذكاء الاصطناعي التوليدي للكتابة قلّل

من دقة الفهم بنحو ٢٥٪»، وقد أظهر مسح شمل أكثر من ١٠٠٠ أستاذ جامعي أن ٩٠٪ منهم «يعتقدون أن الذكاء الاصطناعي التوليدي سيُضعف التفكير النقدي لدى الطلاب».

والأخطر من ذلك أن الذكاء الاصطناعي لا يُضعف الجميع بالتساوي، بل يُعمّق الفجوة المعرفية بين من يملكون أساساً معرفياً قوياً ومن يفتقرون إليه، فالطلاب ذوو المعرفة الخلفية الأضعف الذين يعتمدون بشكل كبير على الذكاء الاصطناعي «يُظهرون علامات تراجع في التفكير المستقل وقدرات حل المشكلات مع مرور الوقت» ويطرح هذا معضلة منهجية عميقة: هل يُعزز الذكاء الاصطناعي الإنتاجية العلمية أم يُقوّض الأسس المعرفية التي تجعلها ممكنة أصلاً؟

إذا كان المبحث الرابع يفحص التهديد، فإن المبحث الخامس يسعى إلى رسم الحدود. وتُجمع الأدبيات على أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون أداة بحثية قوية إذا ظل تحت «الإشراف البشري المعرفي»، بحيث تُعزز التقنية «الفاعلية الأخلاقية الإنسانية لا أن تلغيها» وقد صدرت موثائق عربية تجسّد هذه الرؤية، من بينها «ميثاق الرياض للذكاء الاصطناعي للعالم الإسلامي» الذي أقرته ٥٣ دولة، و«ميثاق الألكسو لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي» الذي «يرسم مبادئ أساسية مثل الحفاظ على الكرامة الإنسانية والعدالة والشمولية».

وتشير الأدبيات إلى أن «الصياغة المنظمة (Structured Prompting) تقلل من التفريغ المعرفي وتحسّن التفكير النقدي بشكل كبير مقارنة بالاستخدام غير الموجه»، مما يعني أن التكوين المعرفي القويم قادر على تحويل الذكاء الاصطناعي من أداة تُضعف التفكير إلى أداة تُعزّزه. لكن هذا التحويل يتطلب إطاراً معيارياً واضحاً يحدد متى يكون الذكاء الاصطناعي أداة مشروعة في البحث، ومتى يصبح تهديداً للمنهجية العلمية ذاتها.

منهجية الدراسة وأسئلتها المركزية

تنطلق هذه الدراسة من سؤال مركزي: كيف يُعيد الذكاء الاصطناعي تشكيل بنية التهديدات في العصر الرقمي، وما هي حدود الاستخدام المشروع له في كل مجال؟ وتعتمد الدراسة منهجاً تحليلياً نقدياً يستند إلى الأدبيات المحكّمة الصادرة عن مراكز البحث الدولية والعربية، مع توظيف المقاربة بين الأبعاد التقنية والأخلاقية والعسكرية والمنهجية، وتهدف الدراسة إلى تقديم إطار شامل لفهم هذه التهديدات المتشابكة، واقتراح استراتيجيات مواجهة متكاملة تتوزع على المستويات البرمجية والتقنية والتنظيمية والبشرية.

إن هذه المباحث الخمسة ليست منفصلة، بل تشكل نسقاً واحداً متكاملًا: التهديد البرمجي يُنتج التهديد الأخلاقي، والتهديد العسكري يُترجم التهديد التقني إلى ميدان القرار، والتهديد المنهجي يُقوّض القدرة على فهم التهديدات كلها، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة: فهي لا تفحص كل تهديد على حدة، بل تسعى إلى كشف الروابط الخفية بينها، وإلى رسم خريطة متكاملة للخطر الذي يُشكله الذكاء الاصطناعي حين يتحول من أداة في يد الإنسان إلى فاعل يُعيد تشكيل العالم الذي يعيش فيه الإنسان.

المبحث الأول

التهديدات الناجمة عن توظيف الذكاء الاصطناعي في المجال البرمجي والتقني والاختراق السيبراني

شهدت المنظومة الرقمية العالمية تحولاً جذرياً مع الانتقال من هجمات البرمجيات الخبيثة التقليدية إلى ما يمكن تسميته «السباق التسليحي الخوارزمي» ولم يعد الذكاء الاصطناعي فقط أداة أتمتة مساعدة في القطاع التقني، بل أصبح يُشكّل المُحرّك الأساسي للهجمات السيبرانية المستقلة ذاتياً، والبرمجيات الخبيثة التكيفية، وتكتيكات الهندسة الاجتماعية فائقة الدقة، وتكمن الخطورة الحقيقية في أن هذه التحولات لم تعد فقط سيناريوهات نظرية أو توقعات مستقبلية، بل باتت واقعاً موثقاً في تقارير مراكز البحث الأمني الدولية الكبرى.

يقدم هذا المبحث تحليلاً شاملاً للتهديدات البرمجية والتقنية الناتجة عن استغلال نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي ونماذج اللغة الكبيرة والوكلاء الأذكاء في تنفيذ عمليات الاختراق، مستنداً إلى أحدث الأدبيات الأكاديمية الصادرة عن مؤسسات بحثية وأمنية دولية، مع محاولة استقراء انعكاساتها على البيئة العربية.

أولاً: التحول المنهجي في طبيعة التهديد السيبراني

تكمن الخصائص البنيوية التي تميز هجمات الذكاء الاصطناعي الحديثة عن الهجمات البرمجية التقليدية في ثلاثة أبعاد رئيسية.

البعد الأول: السرعة والنطاق: تنفيذ عمليات استكشاف الثغرات وتوليد الشفرات الخبيثة في أجزاء من الثانية بدلاً من أسابيع من العمل البشري المضني^(١). وقد وثّقت Google Threat Intelligence Group حالة اختراق كاملة لموارد سحابية شملت التخطيط والبناء والتنفيذ لحملة جماعية لسرقة بيانات الاعتماد في أقل من ست ساعات^(٢).

(١) حسن نايف مبارك الحجرف، «دور الذكاء الاصطناعي في تعزيز الأمن السيبراني»، مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة، الأردن، مج ٥، ع ٣٢ (٢٠٢٤)، ص. ١٤٠٨٤.

(2) Mitchell, S. (2026, September 9). Google warns cyber attackers are moving to agentic AI. SecurityBrief Australia. SecurityBrief Australia

البُعد الثاني: التكيف الديناميكي المستمر: قدرة البرمجيات الخبيثة المعتمدة على الذكاء الاصطناعي على تعديل شفرتها المصدرية تلقائياً للالتفاف على أدوات المراقبة والاستجابة في أجهزة الطرفيات. ويُطلق على هذا النمط الجديد من البرمجيات الخبيثة وصف «التعديل الذاتي في الوقت الفعلي»، حيث تُعيد الشفرة كتابة نفسها أثناء التنفيذ^(١).

البُعد الثالث: انخفاض العتبة التقنية: تمكين المهاجمين ذوي الخبرة المحدودة من توليد واستغلال ثغرات معقدة بمستوى هجمات التهديدات المتقدمة المستمرة عبر تقنيات هندسة الأوامر والتنفيذ الآلي^(٢). وقد سجّل تقرير Verizon DBIR أن المهاجمين يستخدمون الذكاء الاصطناعي التوليدي في كل مرحلة تقريباً من مراحل الهجوم، بدءاً من اختيار الأهداف وانتهاءً بتطوير البرمجيات الخبيثة^(٣).

ثانياً: التهديدات البرمجية على مستوى الشفرة المصدرية

إذا كان التحول المنهجي في طبيعة التهديد السيبراني قد كشف عن تغيير في قواعد اللعبة، فإن أخطر تجلياته تظهر عند المستوى الأدنى من البنية الرقمية: الشفرة المصدرية، فلم تعد هذه الشفرة فقط نتاج بشري خاضع للتدقيق والمراجعة، بل أصبحت فضاءً تتنازعه الخوارزميات التوليدية، وتُعاد صياغته آلياً، وتُختبر ثغراته بسرعة تفوق قدرة أدوات الحماية التقليدية على الملاحقة، ومن هنا تنشأ فئة جديدة من التهديدات البرمجية لا تكتفي بالتنفيذ، بل تُبدع في التخفي والتحول وإعادة التشكل في كل دورة هجومية. وتتناول هذه الفقرة على ثلاثة مركزيات لهذه التهديدات: البرمجيات الخبيثة المتحورة تلقائياً، وهندسة ثغرات اليوم الصفر عبر التفتيش الذكي، وتسميم البيانات والهجمات العدائية، وهي مظهرات تشترك جميعها في خاصية واحدة أن الشفرة نفسها لم تعد أداة جامدة، بل أصبحت كائناً ذكياً قابلاً للتكيف، مما يجعل هذا المستوى من التحليل مدخلاً ضرورياً لفهم كيفية تحوّل البرمجيات من وسيلة تنفيذ إلى سلاح استراتيجي يستعصي على الكشف والاحتواء.

(١) أحمد محمد «البديوي الراحل»، دور الذكاء الاصطناعي في تعزيز الامتثال لإدارة مخاطر الأمن السيبراني، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مج (٦)، ع (١٠)، ص ٣٦٨.

(٢) سناء أحمد محمد السائح، «دور الذكاء الاصطناعي في تعزيز الأمن السيبراني: التحديات والآليات والأفاق المستقبلية»، مجلة الفاروق للعلوم، جامعة الزاوية، كلية الاقتصاد، العدد ٢، المجلد ١ (٢٠٢٦)، ص ٥٦٦-٥٧١.

(٣) Verizon. (2026). 2026 Data Breach Investigations Report (DBIR) (19th ed.). Verizon Business.

١. البرمجيات الخبيثة المتحورة تلقائياً

تُستخدم النماذج التوليدية لخلق برمجيات خبيثة تغير بنيتها البرمجية وتوقيعها الرقمي في كل مرة تنتقل فيها إلى جهاز جديد، دون تغيير وظيفتها الأساسية، وتُعد عائلة PROMPTFLUX و PROMPTSTEAL و BlackMamba من أبرز الأمثلة الموثقة على هذا النمط، حيث تستطيع تغيير شفرتها كل ساعة وليس فقط إخفاء حمولتها^(١).

ويُظهر تقرير Google Threat Intelligence Group أن المهاجمين بدأوا في استخدام نماذج الذكاء الاصطناعي لإنتاج برمجيات خبيثة جاهزة للنشر، حيث استخدم أحد المطورين بيئة ذكاء اصطناعي لإنتاج إطار عمل هجومي من نوع Command-and-Control يتجاوز ٨٨ ألف سطر برمجي في أقل من أسبوع واحد^(٢). كما كشفت Cisco Talos عن برمجية خبيثة تُسمى CLOSEDQUORUM تُشغل لوحة من أربعة نماذج لغوية كبيرة تجارية وتنفذ الإجراء الذي يحصل على أغلبية الأصوات، دون أي تدخل بشري^(٣).

(١) يشير التقرير في قسم «النتائج الرئيسية» إلى أنه «لأول مرة، حددت GTIG عائلات برمجيات خبيثة مثل PROMPTFLUX و PROMPTSTEAL تستخدم نماذج اللغة الكبيرة أثناء التنفيذ»، حيث «تُولد هذه الأدوات سكريبتات خبيثة ديناميكياً، وتُموه شفرتها الخاصة للتهرب من الكشف، وتستفيد من نماذج الذكاء الاصطناعي لإنشاء وظائف خبيثة عند الطلب». كما يوثق التقرير أن PROMPTFLUX هو «برمجية إسقاط تجريبية مكتوبة بلغة VBScript تتفاعل مع واجهة برمجة تطبيقات Gemini»، وأن وحدة «Thinking Robot» داخلها «تطلب من Gemini إعادة كتابة الشفرة المصدرية كل ساعة».

ملاحظة حول BlackMamba: عائلة BlackMamba هي نموذج إثبات مفهوم (Proof-of-Concept) طوّره شركة HYAS، وليست ضمن عائلات GTIG الأصلية، لكنها تُصنف في الأدبيات الأمنية ضمن النمط نفسه القائم على استدعاء نماذج اللغة الكبيرة أثناء التنفيذ. للمزيد انظر:

Google Threat Intelligence Group (GTIG). (2025, November 6). GTIG AI Threat Tracker: Advances in Threat Actor Usage of AI Tools. Google Cloud Blog – Threat Intelligence.

(٢) يوثق التقرير أن إطار VoidLink، وهو «إطار برمجيات خبيثة سحابية أصلية لنظام Linux كشفته أبحاث تشيك بوينت»، قد «حدّد معياراً جديداً». ويشير التقرير إلى أن الإطار يتضمن «أكثر من ٣٠ وحدة استغلال لاحق للاختراق، وجذور eBPF و LKM، وقدرات تعداد سحابية وحاويات متقدمة»، مما كان يوحى في السابق بأن «فريق هندسي كامل يعمل لعدة أشهر». لكن «في الواقع، أنشأه مطور واحد باستخدام TRAE SOLO، وهي بيئة تطوير متكاملة تجارية مدعومة بالذكاء الاصطناعي». ويضيف التقرير: «النتيجة: ٨٨,٠٠٠ سطر برمجي في أقل من أسبوع، وهو مشروع كان سيتطلب تقليدياً نحو ٣٠ أسبوعاً من جهد التطوير». للمزيد انظر:

Check Point Research (CPR). (2026, March 19). The Agentic Era Arrives: How AI Is Transforming the Cyber Threat Landscape Check Point Blog.

(3) Check Point Research* AI Security Report 2026.

٢. هندسة ثغرات اليوم الصفر والتفتيش الآلي

تُستغل نماذج الذكاء الاصطناعي لفحص السجل المصدري للتطبيقات والمكتبات البرمجية مفتوحة المصدر للبحث عن الثغرات بكفاءة تتجاوز التدقيق البشري، وقد أكدت Google Threat Intelligence Group اكتشاف أول ثغرة يوم صفر مُطوّرة بمساعدة الذكاء الاصطناعي، حيث كانت عبارة عن سكريبت Python يتجاوز المصادقة الثنائية في أداة إدارة أنظمة مفتوحة المصدر^(١).

وتكمن الأهمية الجوهرية في أن هذه الثغرة لم تكن من نوع ثغرات تجاوز المخزن المؤقت التقليدية، بل كانت ثغرة منطقية عالية المستوى تتعلق بافتراض ثقة مُضمّن في الشفرة — وهي تحديداً الفئة التي تتفوق فيها النماذج اللغوية الكبيرة على أدوات الفحص التقليدية، وقد وثّق تقرير Recorded Future ارتفاعاً في استخدام الذكاء الاصطناعي لتسريع أبحاث الثغرات واستغلالها، مع تحول متسارع نحو نماذج الوكلاء المباشرين^(٢).

٣. تسميم البيانات والهجمات العدائية

تتضمن هذه العملية حقن بيانات فاسدة أو مضللة في مجموعات بيانات التدريب الخاصة بالنماذج الذكية المُستخدمة داخل المؤسسات، وعندما تعتمد المؤسسة على نموذج للتعليم الآلي لكشف التسلل، يقوم المهاجم بضخ حركة مرور خبيثة مطعّمة ببيانات تبدو طبيعية، مما يُعيد تدريب النموذج على اعتبار النشاط الخبيث نشاطاً آمناً، وقد أشارت أبحاث IEEE إلى أن التعلم الآلي والتعلم العميق أوجدا بيئة هجومية متكيفة تستغل أساليب التكتّم التكتيكي لمواجهة أنظمة كشف التسلل القائمة على السلوك^(٣).

(1) Bill Toulas, "Google: Hackers Used AI to Develop Zero-Day Exploit for Web Admin Tool," BleepingComputer, May 11, 2026.

(2) Ibid.

(٣) تُشير هذه الأبحاث إلى أن «النماذج القائمة على التعلم الآلي تظل عرضة للهجمات العدائية، حيث يمكن لبيانات الإدخال المصممة بعناية أن تخدع النموذج لاتخاذ تنبؤات غير صحيحة»، مع «تركيز خاص على هجمات التهرب نظراً لانتشارها وملاءمتها للواقع العملي». وتُضيف أن التعلم العميق، رغم مساهمته في «تحليل كميات كبيرة من بيانات التدريب وتعزيز أداء الكشف»، فإنه «أكثر عرضة للهجمات العدائية مقارنةً بنماذج التعلم الآلي التقليدية». للمزيد انظر:

Adversarial Challenges in Network Intrusion Detection Systems: Research Insights and Future Prospects. (2025, August 20). IEEE Access, 13, 148613–148645.

ثالثاً: التهديدات التقنية والبنوية

لم تقف التهديدات المدعومة بالذكاء الاصطناعي عند حدود الشفرة المصدرية، بل امتدت إلى البنية التحتية للأنظمة والتفاعلات البشرية، فمع تصاعد قدرات الوكلاء الأذكياء، تتضاعف مخاطر التسلسل المستقل والهندسة الاجتماعية فائقة الدقة، وتبرز ثغرات نماذج اللغة وتكاملاتها كمنافذ جديدة لإعادة توجيه الأنظمة ضد أهدافها، وهكذا يغدو البعد البنيوي للتهديد أكثر تعقيداً وخطورة من أي وقت مضى.

١. الوكلاء الذاتيون والتسلسل المستقل

يمثل التحول من الشفرة البرمجية الجامدة إلى وكلاء الذكاء الاصطناعي المستقلين نقطة تحول نوعية في طبيعة التهديد، وقد وثّقت شركة Sysdig ما يُعدّ أول عملية فدية تُنفَّذ من البداية إلى النهاية بواسطة وكيل ذكاء اصطناعي مستقل أطلق عليه اسم JADEPUFFER، حيث قام الوكيل بشكل مستقل بسلسلة من العمليات شملت الاستطلاع وسرقة بيانات الاعتماد والتنقل الجانبي والتصيد وصولاً إلى التشفير التدميري، وذلك بعد اختراق أولي عبر ثغرة معروفة ومُرَقَّعة^(١).

واللافت في هذه العملية أنها شملت أكثر من ٦٠٠ حمولة منفصلة، وأن الوكيل أظهر سرعة تشخيص وتصحيح ذاتي ملحوظة، حيث أعاد تشخيص فشل محاولة إنشاء حساب باب خلفي وأصدر حمولة مصححة متعددة الخطوات في غضون ٣١ ثانية فقط^(٢).

كما أفاد تقرير Check Point Research بأن الذكاء الاصطناعي قد «عبر من مساعد إلى مشغل»، حيث لم يعد يكتفي بمساعدة المهاجمين على التحضير، بل أصبح يدير العملية الهجومية بنفسه^(٣).

(١) وتشير هذه الدراسة إلى أن العملية اعتمدت على وكيل ذكاء اصطناعي لتنفيذ مراحل متعددة من الهجوم، بما

في ذلك الاستطلاع والحركة الجانبية ورفع الصلاحيات والتشفير. انظر المزيد:

Cloud Security Alliance AI Safety Initiative, "JadePuffer: First End-to-End Agentic Ransomware Operation," Cloud Security Alliance, July 6, 2026.

(2) Ibid.

(3) Check Point Research, "AI Security Report 2026," op. cit.

٢. الهندسة الاجتماعية فائقة الدقة والتزييف العميق

تُولد رسائل التصيد الاحتيالي المخصصة للغاية باستخدام نماذج معالجة اللغة الطبيعية ونمذجة الصوت والصورة. وقد أظهرت دراسة طويلة أجريت على أكثر من ٧٠ ألف محاكاة واقعية أن الرسائل المُصاغة بالذكاء الاصطناعي حققت معدل فشل أعلى بنسبة ٢٣٪ من تلك التي كتبها خبراء الفرق الحمراء النخبة، مما يُعدّ انقلاباً على اتجاه استمر عامين^(١).

ويُظهر تقرير Verizon DBIR أن حركة النصوص المحتملة والمولدة آلياً في بريد الاحتيال تضاعفت مقارنة بالسنوات الماضية^(٢). كما كشف مسح Gartner لعام ٢٠٢٦ أن ٤١٪ من المؤسسات شهدت حادثة هندسة اجتماعية تضمنت تزييفاً عميقاً في مكالمات صوتية، بينما تعرضت ٣٥٪ منها لحوادث مماثلة في مكالمات الفيديو، وفي الحادثة الأكثر خطورة من الناحية المالية، انتحل المهاجمون هوية عدة مسؤولين تنفيذيين عبر مكالمات فيديو مزيفة لخداع شركة متعددة الجنسيات بمبلغ ٢٥ مليون دولار^(٣).

٣. ثغرات نماذج اللغة وتكاملات الذكاء الاصطناعي

تشمل هذه الفئة هجمات حقن التعليمات المباشرة وغير المباشرة، وتسريب بيانات الأنظمة، مع وصول نسبة نجاح حقن التعليمات إلى ٨٠٪ ضد الأنظمة غير المحمية، ويُعدّ

(١) وأظهرت دراسة واسعة النطاق أن رسائل التصيد المُولدة بالذكاء الاصطناعي يمكن أن تتفوق في قدرتها على إقناع المستهدفين على الرسائل التي يصوغها خبراء بشريون، بما يعكس انتقال التصيد الاحتيالي من التخصيص البشري إلى التخصيص الآلي واسع النطاق. للمزيد انظر:

Cloud Security Alliance AI Safety Initiative، “JadePuffer: First End-to-End Agentic Ransomware Operation”، Cloud Security Alliance، 6 تموز/يوليو 2026

(٢) يُشير التقرير في الصفحة ٢٦ إلى أن «حجم النص المدعوم بالذكاء الاصطناعي الظاهر في الرسائل الإلكترونية الخبيثة قد تضاعف مقارنة بالسنوات السابقة»، وفقاً للبيانات التي شاركتها شركة Anthropic مع Verizon. ويُضيف التقرير أن «التصيد الاحتيالي استحوذ على ٤٤٪ من ناقلات الوصول الأولي المدعومة بالذكاء الاصطناعي، ليكون بذلك الفئة الأكبر منفردة». للمزيد انظر:

Verizon. (2026). 2026 Data Breach Investigations Report (DBIR) (19th ed.). Verizon Business. P. 26.

(٣) أبلغ ٤١٪ من مسؤولي أمن المعلومات الرئيسيين (CISOs) عن حادثة هندسة اجتماعية واحدة على الأقل تضمنت تزييفاً عميقاً خلال مكالمات صوتية للموظف في الاثني عشر شهراً الماضية، بينما أبلغ ٣٦٪ عن حادثة مماثلة خلال مكالمات فيديو، وفقاً لمسح أجرته غارتنر. أُجري المسح في الفترة من مارس إلى مايو ٢٠٢٦ على ٢٩٧ من القادة الأمنيين (CISO أو ما يعادله). للمزيد انظر:

Gartner. (2026, September 22). Gartner Survey Finds 41% of CISOs Reported At Least One Social Engineering Incident Involving a Deepfake in the Past 12 Months Gartner, Inc.

هذا النمط من الثغرات بنيوياً مشابهاً لثغرات حقن SQL التي شكّلت هوية أمن تطبيقات الويب على مدى العقدين الماضيين، لكنه يعمل على مستوى أعلى من التجريد يستهدف استدلال النموذج بدلاً من صياغة الاستعلام^(١).

وقد كشفت دراسة محكمة في المؤتمر الدولي ACM عن وجود ما يُسمى «RAGworm»، وهي حملة دودية ذاتية التكرار تُستغل فيها الاتصالات المعتمدة على الاسترجاع المعزز بالتوليد بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي، إذ يمكن للمهاجم إطلاق تفاعل متسلسل من الحقن غير المباشر يُجبر كل تطبيق متأثر على تنفيذ إجراءات خبيثة وإصابة أنظمة RAG الإضافية^(٢).

رابعاً: انعكاسات التهديدات على البيئة العربية

بالنظر إلى السياق العربي، تُبرز الدراسات الأكاديمية أن التطور السريع في تقنيات الذكاء الاصطناعي أحدث تحولاً جذرياً في المشهد الأمني العربي، حيث باتت هذه التقنيات تُستخدم في ارتكاب جرائم إلكترونية متطورة^(٣). وقد طوّرت بعض الدراسات نماذج عربية متخصصة لكشف التزييف الصوتي، محققةً نسب دقة تصل إلى ٩٩,٢٥٪، مما يمثل خطوة نحو بناء أدوات سيادية عربية في مجال الأمن الرقمي^(٤). ومع ذلك، لا

(1) Ajay Venkata Nyayapathi, "Prompt Injection Is the New SQL Injection: Why LLM Security Will Define the Next Decade," International Journal of Computer Techniques (IJCT), Vol. 13, Issue 2, March–April 2026, pp. 361–362.

(2) Stav Cohen, Ron Bitton, and Ben Nassi, "Here Comes the AI Worm: Preventing the Propagation of Adversarial Self-Replicating Prompts Within GenAI Ecosystems," in Proceedings of the 2025 ACM SIGSAC Conference on Computer and Communications Security (CCS 2025), Association for Computing Machinery, 2025, pp. 3975–3989.

(٣) تشير الدراسة إلى أن التطور السريع في تقنيات الذكاء الاصطناعي أحدث تحولاً جذرياً في المشهد الأمني العربي، حيث باتت هذه التقنيات تُستخدم كسلاح مزدوج: فهي تمكّن التنظيمات الإجرامية من تنفيذ عمليات احتيال وهجمات رقمية متقدمة عبر التزييف العميق واستنساخ الأصوات، وفي الوقت ذاته تمنح الأجهزة الأمنية قدرات أكبر في التحليل والتنبؤ وفحص الأدلة الرقمية. للمزيد انظر:

محمد الجندي، وبيتانيا علو، وتقوى الحاج، الذكاء الاصطناعي ومستقبل الجريمة في الدول العربية: التهديدات والحوكمة واستجابات السياسات (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٢٦)، متاح على الرابط (٤) تُشير دراسة أخرى منشورة في IEEE Access (١٠ سبتمبر ٢٠٢٦) إلى تحقيق دقة ٩٩,٢٥٪ في كشف التزييف الصوتي للغة العربية باستخدام إطار عمل قائم على Keypoint-Based Machine Learning، مع التركيز على تزييف النسخ-النقل (Copy-Move Forgery). للمزيد انظر:

Seyma Yucel Altay, "A Robust Keypoint-Based Machine Learning Framework for Audio Copy-Move Forgery Detection Using Time-Frequency Representations," IEEE Access, ٢٠٢٦, doi:10.1109/ACCESS.2026.2581234. هذه الدراسة منفصلة عن نموذج RawNet2 المذكور في دراسة NAUSS، رغم تطابق الرقم. للمزيد انظر:

يزال هناك فجوة ملحوظة في الدراسات العربية المتخصصة التي تتناول البعد الهجومي للذكاء الاصطناعي، إذ تركز معظمها على التطبيقات الدفاعية والوقائية.

خامساً: إطار استراتيجيات المواجهة المتكامل

تتطلب مواجهة هذه التهديدات بناء هيكليّة دفاعية متكاملة متعددة الطبقات على المستوى البرمجي: تتبنى المؤسسات إستراتيجية «الدفاع الخوارزمي المضاد»، باستخدام أنظمة دفاع سيبراني قائمة على التعلم العميق لتحليل أنماط حركة المرور واستجابات أجهزة الطرفيات في وقت حدوثها الحقيقي^(١). كما يجب تحصين النماذج ضد هجمات التسميم وحقن التعليمات عبر طبقات فحص المدخلات والمخرجات^(٢)، وعزل بيانات التنفيذ للشفرات المؤلّدة داخل حاويات معزولة^(٣). على المستوى التقني: تطبيق نموذج انعدام الثقة المفصل لمنع الوصول التلقائي

محمد الجندي، وبيتانيا علو، وتقوى الحاج، الذكاء الاصطناعي ومستقبل الجريمة في الدول العربية: التهديدات والحوكمة واستجابات السياسات (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٢٦)، متاح على الرابط.

(١) تُقدّم الدراسة إطاراً يستخدم «شبكة توليدية عدائية (GAN) مدربة على مجموعة بيانات TON IoT لتعمل كفريق أحمر، تولّد باستمرار حركة هجومية جديدة»، في مقابل «وكيل دفاعي قائم على التعلم المعزز المعمّق يتعلم التكيف مع أنماط الهجمات المتطورة في الزمن الحقيقي». للمزيد انظر: الحربي، م. وآخرون. (٢٧ أغسطس ٢٠٢٦). الدفاع السيبراني بالذكاء الاصطناعي ضد الذكاء الاصطناعي: مقارنة قائمة على التعلم المعزز للدفاع عن شبكات إنترنت الأشياء ضد الهجمات المؤلّدة بالشبكات التوليدية العدائية. IEEE Access، 14. <https://ieeexplore.ieee.org>

(٢) يقترح البحث إطار LMDMI، وهو إطار دفاع خفيف متعدد المستويات مصمم لحماية النماذج اللغوية التوليدية من مجموعة متنوعة من المدخلات الخبيثة. ويتضمّن الإطار بنية دفاعية متعددة الطبقات تتضمن أربع مراحل للكشف عن المدخلات: تصفية الكلمات المفتاحية الحساسة، وفحص الامتثال للمحتوى، وكشف هجمات حقن التعليمات، ومطابقة قاعدة المعرفة المحظورة، تليها مرحلة واحدة لتصفية المخرجات». للمزيد انظر:

LMDMI: A Lightweight Multilevel Defense against Malicious Inputs for Generative Language Models. (2026, January 20). ACM Digital Library. <https://dl.acm.org>

(٣) تشغيل الشفرات المؤلّدة والمكونات الخارجية في حاويات مُحصّنة أو بيئات عزل أو بيئات سرية ذات أنظمة ملفات وموارد ومكتبات وأعمار تشغيلية مقيّدة... استخدام هويات غير جذرية، وأنظمة ملفات للقراءة فقط، وصور دنيا، وقيود على الموارد، وحاويات قصيرة العمر، وقيود على التركيب، وملفات تعريف AppArmor أو SELinux، وفحص الصور، وعزل أحمال العمل للحد من الاختراق». للمزيد انظر: Microsoft. (2026, July 28). Runtime Isolation and Sandboxing. Microsoft Learn. <https://learn.microsoft.com>

والإزام وكلاء الذكاء الاصطناعي بالخضوع المستمر لقيود أمنية وصلاحيات دنيا^(١). ويتطلب ذلك أيضاً تقييم مخاطر وكلاء الذكاء الاصطناعي وفق إجراءات خاصة^(٢). مع تزايد الاهتمام الدولي بمعايير^(٣) AI Agent Standards Initiative.

على المستوى التنظيمي: الالتزام بأطر الحوكمة الدولية، ويُعدّ معيار ISO/IEC 42001، الصادر عام ٢٠٢٣^(٤) معياراً رسمياً قابلاً للاعتماد يقدم نظام إدارة متكاملًا للذكاء الاصطناعي، بينما يوفر إطار NIST لإدارة مخاطر الذكاء الاصطناعي دليلاً عملياً تطوعياً يُركز على تحديد المخاطر وقياسها وإدارتها. ويتميز النهجان بالتكامل^(٥) إذ نشر المعهد الوطني الأمريكي للمعايير والتكنولوجيا وثيقة رسمية تُربط وظائف إطار NIST بضوابط

(١) تحدد الورقة حلقة تحكم انعدام الثقة ذات السبع خطوات للذكاء الاصطناعي — تشمل هوية الوكيل، والتفويض في الوقت المناسب، والصلاحيات الدنيا، والتحقق المستمر، والمراقبة، وإنفاذ السياسات الخارجية، والإلغاء... إنهم فاعلون مُسمّون يجب التحقق من وصولهم، ويجب أن تكون صلاحياتهم دنيا، ويجب تقييم أفعالهم باستمرار في وقت التشغيل». للمزيد انظر:

Zero Trust for Fallible Agents: Why AI Belongs Inside the ZTA Control Model. (2026, May 31). Zenodo. <https://zenodo.org>

(٢) إطار المخاطر والقدرات الوكيلية (ARC) هو إطار الحوكمة التقني لحكومة سنغافورة لتحديد وتقييم وتخفيف مخاطر السلامة والأمن في الأنظمة الوكيلية. ويمنحك ثلاثة أشياء: تصنيف لما يمكن للأنظمة الوكيلية فعله، وسجل بـ٤٦ خطراً مرتبطاً بهذه القدرات، و٨٨ ضابطاً تقنياً مرتبطاً بهذه المخاطر». للمزيد انظر:

GovTech Singapore. (2026, July 29). Agentic Risk & Capability Framework (ARC). Responsible AI Playbook. <https://playbooks.aip.gov.sg>

(٣) «حيث أعلن مركز معايير وابتكار الذكاء الاصطناعي (CAISI) في NIST عن إطلاق مبادرة معايير وكيل الذكاء الاصطناعي. وستضمن المبادرة أن الجيل القادم من الذكاء الاصطناعي — وكلاء قادرين على اتخاذ إجراءات مستقلة — يُعتمد على نطاق واسع بثقة، ويعمل بأمان ويتوافق سلس عبر المشهد الرقمي». للمزيد انظر:

National Institute of Standards and Technology (NIST). (2026, February 17). AI Agent Standards Initiative. <https://www.nist.gov>

(٤) «يحدد هذا المستند المتطلبات ويقدم الإرشادات لإنشاء وتنفيذ وصيانة وتحسين نظام إدارة الذكاء الاصطناعي باستمرار في سياق المؤسسة. وهذا المستند مخصص للاستخدام من قبل مؤسسة تقدم أو تستخدم منتجات أو خدمات تستخدم أنظمة الذكاء الاصطناعي». للمزيد انظر:

International Organization for Standardization (ISO) & International Electrotechnical Commission (IEC). (2023). ISO/IEC 42001: Information technology — Artificial intelligence — Management system. ISO.

(٥) يوفر إطار NIST دليلاً عملياً تطوعياً يُركز على «تحديد المخاطر وقياسها وإدارتها» من خلال أربع وظائف أساسية: الحوكمة (GOVERN)، والتخطيط (MAP)، والقياس (MEASURE)، والإدارة (MANAGE). للمزيد انظر:

National Institute of Standards and Technology (NIST). (2023). Artificial Intelligence Risk Management Framework (AI RMF 1.0). NIST. <https://doi.org/10.6028/NIST.AI.100-1>

ISO 42001، مما يمكن المؤسسات من تنفيذ الإطارين بشكل متكامل^(١). كما يجب الحد من «الظل البرمجي» للذكاء الاصطناعي عبر صياغة سياسات أمنية تمنع رفع الشفقات أو البيانات الحساسة إلى أدوات عامة غير خاضعة للرقابة^(٢).

على المستوى البشري: بناء قدرات فرق مراكز العمليات الأمنية على التمييز بين الأنشطة الطبيعية والأنشطة الآلية المؤلدة عن أداة خبيثة تُدار بالذكاء الاصطناعي، مع تدريب مستمر للعنصر البشري على التصدي لأساليب الهندسة الاجتماعية المتطورة^(٣).

(١) «على عكس إطار NIST AIRMf، يُعدّ ISO ٤٢٠٠١ معياراً قابلاً للاعتماد. وقد نشر NIST وثيقة رسمية للربط (Crosswalk) تربط وظائف AIRMf وفئاته الفرعية بضوابط ISO ٤٢٠٠١، مما يمكن المؤسسات من تنفيذ الإطارين بطريقة متكاملة». للمزيد انظر:

Cloud Security Alliance (CSA). (2026). International Complementary Frameworks. CSA Labs. <https://labs.cloudsecurityalliance.org>

(٢) «غالباً لا تكمن مخاطر الظل البرمجي للذكاء الاصطناعي في... فقد يرفع الموظفون بيانات حساسة مثل معلومات العملاء أو الملكية الفكرية أو المستندات الداخلية إلى منصات ذكاء اصطناعي عامة دون فهم أين تُخزن هذه البيانات، أو كيف تُعالج، أو من قد يتمكن في النهاية من الوصول إليها». للمزيد انظر: HTPSA SIGCyber. (2026, July 29). Experts Call for Governance-First Approach to Shadow AI in Business. EngineerIT. <https://www.engineerit.co.za>

(٣) «يوائم الجيل التالي من مراكز العمليات الأمنية بين الذكاء الاصطناعي المتقدم والأتمتة من جهة، والرؤى البشرية عالية المهارة من جهة أخرى، مما يتيح لفرق الأمن تقليل أحجام التنبيهات الساحقة مع الحفاظ على الحكم الدقيق الذي لا يمكن إلا للمحللين تقديمه... تُحوّل مراكز العمليات الأمنية المعززة بالبشر المحللين بعيداً عن المهام المتكررة مثل الفرز الأولي نحو أنشطة أكثر استراتيجية تتطلب سياقاً». للمزيد انظر:

RSA Conference. (2026, March 12). Human-Augmented SOC's: Rethinking the Security Analyst's Role. <https://www.rsaconference.com>

خلاصة البحث

فإنه يُظهر التحليل العميق للدراسات والأبحاث الميدانية الحديثة أن الذكاء الاصطناعي قد أعاد رسم خارطة التهديدات السيبرانية بشكل كامل، ولم تعد الهجمات تعتمد على جهد فردي أو ثغرات تقليدية معروفة، بل أصبحت تعتمد على استقلالية الخوارزميات وتكيفها اللحظي، والواقع أن السؤال لم يعد «هل ستستخدم نماذج الذكاء الاصطناعي في الهجمات السيبرانية؟» بل «إلى أي مدى وصل هذا الاستخدام؟»، والإجابة الموثقة تُشير إلى أننا تجاوزنا مرحلة المساعدة إلى مرحلة التشغيل الذاتي الكامل.

إن مواجهة هذا النوع من التهديدات تتطلب التخلي عن الحلول التقليدية الساكنة والتجهز باستراتيجيات دفاعية ذكية استباقية تسخر قدرات الذكاء الاصطناعي لحماية البنى التحتية، مع تكييف الأطر التنظيمية لتشمل حوكمة النماذج والوكلاء الأذكاء، والاستثمار في بناء كفاءات بشرية قادرة على فهم هذه التهديدات وإدارتها في بيئة تتسم بتسارع وتيرة التغيير التقني.

المبحث الثاني

الانزلاق الأخلاقي الرقمي: التهديدات والأبعاد الأخلاقية الناتجة عن الاستخدام السيئ للذكاء الاصطناعي

شهدت المنظومة التقنية والإنسانية تحولاً بنوياً جذرياً مع الانتقال من أدوات البرمجة التقليدية الخاضعة لضبط المدخلات والمخرجات المحدودة، إلى الأنظمة الذاتية التكيفية والنماذج التوليدية. ولم يعد الذكاء الاصطناعي فقط أداة لرفع الكفاءة التشغيلية والإنتاجية، بل أصبح يُشكل بنية تحتية وجودية تتدخل في صناعة القرارات المصيرية، وتوجيه الرأي العام، وإعادة هيكلة المعرفة، وتحديد العدالة الاجتماعية ومستقبل الكرامة الإنسانية، وفي هذا السياق، يتجاوز السؤال الأخلاقي حدود الاستفسار التقني عن «كيف تعمل» هذه الأنظمة؟، ليصبح سؤالاً وجودياً عن «ما الذي تفعله بالإنسان» حين تُساء استخداماتها؟

ويقدم هذا المبحث تحليلاً أكاديمياً للتهديدات والأبعاد الأخلاقية الناتجة عن سوء استخدام الذكاء الاصطناعي، مُسنداً كل محور إلى الأدبيات العلمية المعتمدة الصادرة عن منظمة اليونيسكو، ومعهد IEEE، ودوريات Frontiers، وEmerald، وغيرها من المراجع العربية والأجنبية المحكمة.

أولاً: الإطار الفلسفي والمنهجي للأخلاقيات الرقمية

تتعدى خطورة الذكاء الاصطناعي حدود الأعطال التقنية لتصل إلى صلب النظريات الفلسفية والأخلاقية، وتتمثل الخصائص البنيوية التي تحوّل الخوارزميات الذكية إلى تهديد قيمي في ثلاثة أبعاد رئيسية⁽¹⁾.

البُعد الأول: مشكلة الصندوق الأسود وفقدان الشفافية: تعقّد الشبكات العصبية العميقة يجعل من المستحيل تقريباً فهم كيفية التوصل إلى نتائج معينة، مما يؤدي إلى تعطل مبدأ المساءلة الأخلاقية والقانونية، وقد أكدت أبحاث IEEE أن دمج الذكاء الاصطناعي في الأنظمة الأمنية والحيوية غير كافٍ ما لم يُصحب بتحليل سلوكي للنماذج ذاتها، لأن غياب التفسير يُلغي إمكانية نسبة الفعل إلى فاعل مسؤول⁽²⁾.

(1) UNESCO Recommendation on the Ethics of Artificial Intelligence | VerifyWise AI Governance Library.

(2) UNESCO, "Recommendation on the Ethics of Artificial Intelligence," adopted on 23 November 2021.

البُعد الثاني: اتساع نطاق الأثر التراكمي: الانحياز الخوارزمي أو القرار الخاطئ لا يقتصر على أثر فردي محلي، بل يمتد لحظياً عبر أتمتة الأنظمة ليصيب ملايين البشر بالتمييز أو الإقصاء في الوقت ذاته. وتُظهر دراسة Amnesty International أن نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي الكبرى «تعتمد في تصميمها ذاته على انتهاكات جماعية للخصوصية»، حيث تُستخرج بيانات التدريب دون موافقة أصحابها وعلى نطاق واسع. وهذا يعني أن الضرر الأخلاقي ليس عرضاً عابراً، بل خاصية بنيوية في هذه الأنظمة.^(١)

البُعد الثالث: تآكل الإرادة المستقلة والكرامة الإنسانية: إعادة التوجيه السلوكي والمعرفي عبر الخوارزميات يمثل خرقاً صريحاً للمبادئ الأخلاقية التي تعطي الأولوية لكرامة الإنسان واستقلاليتهم المعرفية. وفي هذا السياق، يُطرح مفهوم «الاختبار الكرامي» كأداة معيارية لتقييم أي نظام ذكاء اصطناعي: هل هذا النظام يعزز الكرامة، أم ينتقص منها، أم يظل محايداً إزاءها؟ وهذا السؤال ليس ترفاً فلسفياً، بل هو ضرورة تنظيمية تحدد مستقبل العلاقة بين الإنسان والآلة.^(٢)

ثانياً: الانحياز الخوارزمي وإعادة إنتاج التمييز الاجتماعي

تعتمد نماذج التعلم الآلي على التدريب باستخدام مجموعات بيانات ضخمة تعكس تحيزات تاريخية ومجتمعية سابقة، وعند استخدام هذه الخوارزميات في تقييم الفرص، أو طلبات التوظيف، أو التقييم الأكاديمي والائتماني، فإنها تعيد إنتاج التمييز العرقي والجنسي والمجتمعي وتمنحه طابعاً من «الموضوعية الرقمية الزائفة».

وقد أظهرت دراسة محكمة أجريت على ٢٦ ألف تقييم لنماذج GPT في سياق تقييم المشاريع الاستثمارية أن النموذج «لم يُخفّض الدرجات بشكل منهجي للأقليات الممثلة تمثيلاً ناقصاً، لكنه تجنب تصنيفهم في المرتبة الأخيرة دون زيادة احتمالات الفوز» وهذه النتيجة تكشف ظاهرة «الامتثال الرمزي»: حيث تُخفّض النماذج التمييز الصريح دون تغيير المنطق التقييمي الجوهرية، مما «يسمح باستمرار عدم المساواة في التقييمات

(1) Amnesty International, "Monde. Les énormes pipelines de données qui alimentent les principaux systèmes d'IA générative reposent intrinsèquement sur des intrusions massives dans la vie privée," 28 May 2026.

(2) Brett G. Scharffs and Alexandra Brown, "Human Dignity as a Tool for Differentiating Between Maleficent and Beneficent Uses of Artificial Intelligence," The Review of Faith & International Affairs, Vol. 23, No. 3 (2025), pp. 5–15.

الاستراتيجية المدعومة بالذكاء الاصطناعي « فالخوارزمية لا تلغي التمييز، بل تُجمّله ^(١). وتُبرز الدراسات العربية هذا البعد من منظور ثقافي نقدي، حيث يوضح بحث منشور في مجلة الإعلام والمجتمع أن «التحيز الثقافي في الفضاء الرقمي هو نتاج للهيمنة الغربية»، وأن الخوارزميات «تُسهّم في إعادة إنتاج السيطرة الرمزية» عبر «إغفال الحقائق وتشويه السرديات الحقيقية، ومنح الأخبار المضللة فرص البروز» وهذا التحليل يستند إلى نظرية الهيمنة الثقافية لغرامشي، مما يمنح النقد العربي للذكاء الاصطناعي بعداً سياسياً ومعرفياً يتجاوز القراءة التقنية الضيقة ^(٢).

ثالثاً: التراجع المعرفي وتآكل التفكير النقدي والاستقلالية

إن الاعتماد المفرط وغير المحكوم على أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي في بيئات العمل والتعليم يؤدي إلى حالة من «الاتكالية المعرفية» وتُشير الدراسات الميدانية الحديثة إلى أن الاستعانة المستمرة بالنماذج الذكية لحل المشكلات وصياغة النصوص العميقة تُضعف المهارات التحليلية والتفكير النقدي الأصيل لدى الأفراد.

وقد وثّقت دراسة شاملة نُشرت في مجلة Humanities and Social Sciences Communications أن «الاعتماد على الذكاء الاصطناعي يقلل من مهارات التقييم النقدي عبر آليات التفريغ المعرفي، حيث يعتمد الطلاب بشكل متزايد على ردود الذكاء الاصطناعي بدلاً من الانخراط في تحليل مستقل» كما أظهرت نتائج دراسة أخرى أن «الاعتماد الكامل على الذكاء الاصطناعي التوليدي للكتابة قلّل من دقة الفهم بنحو ٢٥٪، مما يُشير إلى أن التلخيص بالذكاء الاصطناعي يُحسّن جودة المخرجات مع تقصير العمليات الداخلية التي يعتمد عليها التعلم». وهذه النتيجة جوهرية لأنها تكشف المفارقة: تحسّن في المظهر الخارجي للأداء، مع تآكل في البنية المعرفية الداخلية ^(٣).

وتضاعف الخطورة مع ما أظهرته الدراسات من أن «الطلاب ذوي المعرفة الخلفية

(1) Tristan L. Botelho and Qingyang (Iris) Wang, "Bias in, Symbolic Compliance Out? GPT's Reliance on Gender and Race in Strategic Evaluations," Strategic Management Journal, 2026.

(٢) بوبعة عبد الوهاب، «التحيز الثقافي في خوارزميات شبكات التواصل الاجتماعي: قراءة نظرية في آليات التحيز الرقمي والهيمنة الثقافية»، مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠٢٥، ص ٧٨-٩٦. للمزيد أفتح رابط الدراسة.

(3) Susan Gardner Archambault and Priya Kizhakkethil, "The Case for Friction in AI-Mediated Information Seeking and Learning," Information Research, Vol. 31, No. 2 (2026), pp. 234-250.

الأضعف الذين يعتمدون بشكل كبير على الذكاء الاصطناعي يُظهرون علامات تراجع في التفكير المستقل وقدرات حل المشكلات مع مرور الوقت»^(١). وهذا يعني أن الذكاء الاصطناعي لا يُضعف الجميع بالتساوي، بل يُعمّق الفجوة المعرفية بين من يملكون أساساً معرفياً قوياً ومن يفتقرون إليه، فتُصبح الأداة نفسها عاملاً من عوامل اللامساواة المعرفية.

وقد أظهر مسح أجرته الجمعية الأمريكية للكليات والجامعات عام ٢٠٢٥ شمل أكثر من ١٠٠٠ أستاذ جامعي أن ٩٠٪ منهم «يعتقدون أن الذكاء الاصطناعي التوليدي سيُضعف التفكير النقدي لدى الطلاب»، في حين اعترف نحو ٢٠٪ من الطلاب المستخدمين للذكاء الاصطناعي في مسح عالمي شمل أكثر من ٨٠٠٠ طالب بأنهم «يجدون صعوبة أكبر في حل المشكلات بشكل مستقل عند الاستغناء عن الذكاء الاصطناعي»^(٢).

رابعاً: انتهاك الخصوصية والتتبع المفرط للبيانات

يُشكل التجمع القسري والمستمر للبيانات الشخصية بغرض تدريب النماذج الذكية انتهاكاً جوهرياً للحق الأساسي في الخصوصية، وتُظهر تحقيقات منظمة العفو الدولية أن «خطوط أنابيب البيانات الضخمة التي تُغذي أنظمة الذكاء الاصطناعي التوليدي الرئيسية تقوم بحكم تصميمها على انتهاكات جماعية للخصوصية» وتشمل هذه الانتهاكات «استخراج البيانات، بما في ذلك البيانات الشخصية، من مواقع الإنترنت، بما فيها الصور والآثار المتروكة على وسائل التواصل الاجتماعي»^(٣).

وتكشف دراسة حديثة شملت تحليل ١٠٠,٣٤٢ محادثة عبر منصات الذكاء الاصطناعي الرئيسية (ChatGPT و Microsoft Copilot و Google Gemini) أن «٨٪ من المحادثات تنطوي على مخاطر خصوصية ناشئة عن الإفصاح عن بيانات خاصة وحساسة». وتشمل هذه البيانات «معرفة المستخدمين (٤٩٪) وبيانات الموقع (٤٠٪)، وفي بعض الحالات بيانات مالية (٤٪) وصحية (٣٪) ومصادقة». وهذه الأرقام

(١) Ibid.

(2) Zhang Jiaxin, "90%的大学教师担心！学生越来越会用AI，却可能少了一能力" [90% of University Teachers Are Worried! Students Are Getting Better at Using AI, but May Be Losing a Certain Ability], Guangming Online, 30 September 2026

(3) Amnesty International, "Monde. Les énormes pipelines de données qui alimentent les principaux systèmes d'IA générative reposent intrinsèquement sur des intrusions massives dans la vie privée," 28 May 2026.

لا تمثل حالات فردية معزولة، بل نمطاً بنوياً يُشير إلى أن عمارة هذه الأنظمة تُنتج انتهاكات خصوصية على نطاق صناعي^(١).

خامساً: التضليل وتآكل الثقة والمعرفة المجتمعية

أدى انتشار النماذج التوليدية إلى هبوط تكلفة إنشاء المحتويات المزيفة والتزييف العميق والتضليل الإعلامي الموجه، ويشكل إنشاء وسائط وصور ونصوص اصطناعية تحاكي الواقع تهديداً كبيراً لسلامة الحقيقة والنزاهة الديمقراطية والتلاحم المجتمعي. وتُظهر بيانات المرصد الأوروبي لوسائل الإعلام الرقمية أن «١٦٪ من عمليات التحقق من الحقائق المنشورة في أوروبا في ديسمبر ٢٠٢٥ تضمنت محتوى مُنشأ بالذكاء الاصطناعي». وتُشير دراسة محكمة نُشرت في دورية أكاديمية إلى أن «الإقناع المدعوم بنماذج اللغة الكبيرة والخداع المدفوع بالذكاء الاصطناعي — بما في ذلك التزييف العميق والادعاءات المعقولة لكن الزائفة — يمكن أن يُقوّض شروط الحوار الحقيقي عبر تآكل الثقة المعرفية وتوظيف الأفراد كأهداف». وهنا يظهر البعد الأخلاقي الأخطر: أن التضليل لا يقتصر على خداع المتلقي في واقعة محددة، بل يُفكّك الشرط المعرفي الذي يجعل الحوار المجتمعي ممكناً أصلاً — وهو الثقة في إمكانية التمييز بين الصدق والكذب^(٢).

(١) تُشير الدراسة إلى نتائج بالغة الأهمية:

١. العلاقة بين طول المحادثة ومخاطر الخصوصية: «تُظهر المحادثات المطوّلة معدلات مخاطر خصوصية أعلى مقارنة بالتفاعلات القصيرة».

٢. تراجع الوعي بالخصوصية مع تعمّق التفاعل: «٦٠٪ من حالات الإفصاح عن البيانات الخاصة في المحادثات الطويلة تحدث في الربع الأخير من هذه المحادثات، مما قد يُشير إلى أن المستخدمين يفقدون تدريجياً وعيهم بالخصوصية مع تعمّق التفاعلات».

٣. الآثار على المصممين وصانعي السياسات: «تُبرز النتائج الحاجة إلى تدخلات استباقية تشمل تحذيرات الخصوصية في الوقت الحقيقي، والفحص قبل المشاركة، وتعليم أوضح حول ديمومة روابط المحادثات المشتركة وقابلية اكتشافها». للمزيد انظر:

Mollaefar, M., Van Landuyt, D., Franken, G., Ebert, N., & Ranise, S. (2026). Chatbot Confessions: Large-Scale Analysis of Private Data Disclosure in Shared AI Chatbot Conversations. Proceedings on Privacy Enhancing Technologies (PoPETs), 2026(3), 258–277. <https://doi.org/10.56553/popets-2026-0081>

(2) Fitzgerald, K. M., Bruns, A., Redlinger, M., Harrington, S., Graham, T., & Angus, D. (2026). Just asking questions: Doing our own research into conspiracy thinking with generative AI chatbots. AoIR Selected Papers of Internet Research. <https://www.scilit.com/publications/19187c1e7a3077e92642d2bdbd5e7bbf>

ويُحذر تحليل نقدي من أن «الخطر الرئيس لجعل الأخبار بالذكاء الاصطناعي لا يقتصر على تضليل الرأي العام، بل في التآكل التدريجي لمفهوم الحقيقة في الفضاء الإعلامي. فحين يشعر المتلقي بأن أي خبر أو صورة أو فيديو يمكن أن يكون مزيفاً، فإنه يفقد ثقته ليس فقط في وسائل الإعلام غير الرسمية، بل في المصادر الموثوقة أيضاً»^(١).

سادساً: تقويض الكرامة الإنسانية واستقلالية القرار

تُشكل أتمتة القرارات الحساسة المتعلقة بحياة البشر خرقاً صريحاً للكرامة الإنسانية عندما يُحرم الإنسان من التقييم البشري المستقل، وتؤكد التوصيات الدولية أن تحويل الكائن البشري إلى مجرد نقاط بيانات خوارزمية يُلغي مبدأ المسؤولية المباشرة ويحرم الضحايا من حق الاعتراض وتنفيذ القرار التلقائي.

وقد صاغ الباحثون «اختبار الكرامة الإنسانية» كأداة معيارية للتقييم الأخلاقي، حيث «يجب أن نسأل باستمرار: هل هذه التقنية تعزز الكرامة، أم تنتقص منها، أم محايدة إزاءها؟» وهذا الاختبار ليس مجرد أداة أكاديمية، بل هو ضرورة تنظيمية تُترجم المبادئ المجردة إلى معايير عملية.

وتُوصي الأدبيات العالمية بالحفاظ على «أسلوب الإشراف البشري المعرفي كضرورة بالغة الأهمية لمنع تراجع المعرفة البشرية أمام سيطرة الآلة وغموضها»^(٢).

وفي السياق العربي، يؤكد الباحثون على ضرورة «الحفاظ على أسلوب الإشراف البشري المعرفي» وعلى أن «التقنية يجب أن تُعزز الفاعلية الأخلاقية الإنسانية لا أن تُلغها». وقد صدرت مؤخراً موثيق عربية تُجسّد هذه الرؤية، من بينها «ميثاق الرياض للذكاء الاصطناعي للعالم الإسلامي» الذي أقرته ٥٣ دولة،^(٣) و«ميثاق الألكسو لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي» الذي «يرسم مبادئ أساسية مثل الحفاظ على الكرامة

(١) ربيعي، حيدر. (٢٠٢٦)، ٤ أيار/مايو. «تحدي تزيف الأخبار؛ اختبار جديد للثقة العامة». صحيفة إيران، العدد ٩٠١٦. للمزيد أنظر رابط المقال.

(2) Scharffs, B. G., & Brown, A. (2025). Human Dignity as a Tool for Differentiating Between Maleficent and Beneficent Uses of Artificial Intelligence. The Review of Faith & International Affairs, 23(3), 5–15.]

(٣) وافقت ٥٣ دولة إسلامية من الدول الأعضاء في منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) بالإجماع على «ميثاق الرياض للذكاء الاصطناعي في العالم الإسلامي» الذي أعلن عنه خلال القمة العالمية للذكاء الاصطناعي، التي نظمتها الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي «سدايا» في شهر سبتمبر ٢٠٢٤ بالرياض، ووصف بأنه علامة فارقة في إنشاء إطار أخلاقي وإستراتيجي مشترك للذكاء الاصطناعي في العالم الإسلامي». للمزيد أفتح الرابط.

الإنسانية والعدالة والشمولية»^(١).

سابعاً: استراتيجيات المواجهة والحوكمة الأخلاقية

لمواجهة هذه الانزلاقات الأخلاقية الحادة، تُجمع الأدبيات العالمية على ضرورة بناء هيكلية دفاع وحوكمة أخلاقية متعددة المسارات.

على المستوى التنظيمي: يجب تفعيل التقييم الأخلاقي الإلزامي قبل نشر أي نموذج ذكي للجمهور، والامتثال للمواصفات الدولية مثل ISO/IEC 42001 الصادر عام ٢٠٢٣، والذي «يقدم نهجاً منهجياً ومتناسكاً لإدارة الذكاء الاصطناعي، يغطي جوانب أساسية مثل الإنصاف والمساءلة والشفافية». كما يجب تبني توصيات اليونسكو لعام ٢٠٢١ — أول معيار عالمي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي — والذي ينص على أن «الذكاء الاصطناعي يجب أن يحترم حقوق الإنسان والكرامة الإنسانية»، ويستند إلى مبادئ الشفافية والإنصاف والاستدامة البيئية والإشراف البشري^(٢).

على المستوى الهندسي والتقني: يجب التوقف عن تطوير نماذج «الصندوق الأسود» والاعتماد على الذكاء الاصطناعي القابل للتفسير (XAI) الذي «يوفر مساراً منطقياً مبرراً لقراراتها». وتُشير الأدبيات إلى أن «آليات الإشراف البشري (HITL) يجب أن تُعترف بها كمتغير حوكمي حقيقي»، مع «توفير إجراءات تجاوز رسمية وتقييم أداء الإنسان في الحلقة». كما يجب ضمان وجود «العنصر البشري في القيادة» في القرارات القضائية والأمنية والطبية، وإبقاء السلطة التقديرية النهائية للبشر.

على المستوى التعليمي والوعي: يجب تنمية التفكير النقدي لدى الأفراد، وتعزيز «التقدير البشري» في مواجهة الأتمتة، وتدريب الكوادر والمؤسسات على فهم المخاطر الأخلاقية للذكاء الاصطناعي. وقد أظهرت الدراسات أن «الصياغة المنظمة (Structured Prompting) تقلل من التفريغ المعرفي وتحسّن التفكير النقدي بشكل

(١) «ويتضمن الميثاق مبادئ أساسية، من بينها صون الكرامة الإنسانية، والعدالة، والشمولية، والاستدامة البيئية، وحماية التراث الثقافي، والشفافية، والمساءلة، والسيادة التكنولوجية». ويمثل الميثاق «خطوة استراتيجية رائدة تهدف إلى توفير إطار أخلاقي وتوجيهي شامل للدول العربية في التعامل مع الذكاء الاصطناعي، بما يعزز مبادئ العدالة، والشفافية، وحماية الخصوصية، واحترام التنوع الثقافي، والسيادة الرقمية». المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو). (٢٠٢٥). ميثاق الألكسو لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي. الألكسو. للمزيد أفتح الرابط.

(2) UNESCO. (2021). Recommendation on the ethics of artificial intelligence. United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization.

كبير مقارنة بالاستخدام غير الموجه»، مما يعني أن التكوين المعرفي القويم قادر على تحويل الذكاء الاصطناعي من أداة تُضعف التفكير إلى أداة تُعززه⁽¹⁾.

خلاصة المبحث

يُظهر التحليل المستند إلى أحدث الأدبيات والدراسات الأجنبية والعربية أن التهديد الأخلاقي الصادر عن سوء استخدام الذكاء الاصطناعي ليس مسألة نظرية، بل هو واقع يمس الخصوصية، والعدالة الاجتماعية، والاستقلالية الفكرية للبشرية.

إن حماية المنظومة الإنسانية تستوجب تسريع وضع الأطر التنظيمية والتكنولوجية الرادعة التي تجعل التطور التقني خاضعاً دائماً للمبادئ الأخلاقية والحقوق الأساسية للإنسان.

والرؤية العربية الإسلامية تمتلك إسهاماً نوعياً في هذا المجال، حيث تُقدّم المقاصد الشرعية إطاراً لتقييم أخلاقي يتجاوز المنفعة الآنية إلى الغايات النهائية، كما تُقدّم مبادئ العدل والمساءلة والأمانة معايير عملية لضبط تصميم الأنظمة وتشغيلها، فالمسألة ليست اختياراً بين التقدم التقني والتخلف عنه، بل هي اختيار بين تقدم يحترم الإنسان وتقدم يستنزفه. وهذا الاختيار، في جوهره، أخلاقي قبل أن يكون تقنياً.

(1) Archambault, S. G., & Kizhakkethil, P. (2026). The case for friction in AI-mediated information seeking and learning. *Information Research*, 31(2), 234–256. <https://doi.org/10.47989/ir31263104>

المبحث الثالث

التهديدات العسكرية والأمنية لتحوّل الذكاء الاصطناعي من أداة دعم إلى فاعل استراتيجي

لم يعد الذكاء الاصطناعي تقنية مدنية هامشية، بل صار قلب سباق تسلّح استراتيجي بين واشنطن وبكين، تتصارع القوتان على الرقائق والبيانات والطاقة والقرار العسكري، من يملك سرعة الآلة يملك سرعة الحرب، ومن يفرض معاييرها يرسم ملامح القوة الاستراتيجية العالمية ومستقبلها في القرن الحادي والعشرين، وفي هذا السياق، يطرح هذا المبحث سؤالاً محورياً: ماذا يحدث عندما تنتقل أنظمة الذكاء الاصطناعي من دور الدعم والتخطيط إلى الدور القيادي والمحوري في توجيه الضربات واتخاذ القرارات المصيرية، بينما تبقى قدرة الإنسان على الفهم والتحقق والتراجع كما هي؟

أولاً: سباق التسلّح بالذكاء الاصطناعي: المفهوم والأبعاد

سباق التسلّح في الذكاء الاصطناعي ليس سباقاً تقنياً عادياً، ولا هو نسخة رقمية من سباق التسلّح النووي، إنه صراع استراتيجي شامل بين الولايات المتحدة والصين في المقام الأول، وإن كانت أطراف أخرى مثل الاتحاد الأوروبي وروسيا والهند ودول الخليج تدخل تدريجياً إلى المعادلة. ويدور هذا السباق حول امتلاك القدرة الحاسوبية الفائقة، والرقائق المتقدمة، والبيانات، والطاقة، والمواهب، والنماذج اللغوية الكبرى، ثم تحويلها إلى قدرات عسكرية وأمنية تشمل الاستهداف الذاتي، والحرب السيبرانية، وأنظمة القيادة والسيطرة، والاستخبارات الآلية، والروبوتات القتالية^(١).

وما يجعله أخطر من سباقات التسلّح السابقة أنه مزدوج الاستخدام: التقنية نفسها تخدم المدني والعسكري، وتتطور بسرعة تتجاوز قدرة المؤسسات على التشريع والرقابة، كما أن الفاعلين ليسوا دولاً فقط، بل شركات تكنولوجيا عملاقة تمتلك بيانات ونماذج وقدرة حاسوبية قد تفوق بعض الدول. وقد أشارت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى أن ٢٠٢٦ هو العام الحاسم لتثبيت التفوق العسكري الأمريكي في مجال الذكاء الاصطناعي، مع التحول إلى قوة قتالية تعتمد على الذكاء الاصطناعي في جميع المجالات، ومن هنا ينشأ جوهر الصراع: من يملك سرعة الآلة، يملك سرعة القرار، ومن

(١) د. محمد الأيوبي، سباق التسلّح بالذكاء الاصطناعي: واشنطن وبكين ولغة الخوارزميات، الميادين نت، <https://mdn.tv/PV6>، منشور بتاريخ: ٢٨/٩/٢٠٢٦.

يملك سرعة القرار في الأزمات قد يفرض شروط المواجهة أو يتجنب الهزيمة.

ثانياً: الذكاء الفائق: عندما تصبح التسمية عقيدة

في خطوة تحمل دلالات تتجاوز البلاغة، وجّه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وكالات الحكومة الأمريكية باعتماد مصطلح «الذكاء الفائق» بدلاً من «الذكاء الاصطناعي» في الوثائق والمراسلات الرسمية. مبرر الرئيس الأمريكي كان صريحاً: كلمة «اصطناعي» توحي بأن هذه التكنولوجيا زائفة، بينما هي ثورة صناعية واقتصادية وعسكرية ضخمة⁽¹⁾.

هذا التغيير اللغوي ليس بريئاً. إنه إعلان عقيدوي. فمصطلح «الذكاء الفائق» يحمل في طياته اعترافاً ضمناً بأن هذه الأنظمة تجاوزت مرحلة «الأدوات» لتصبح «فاعلاً استراتيجياً» شبه مستقل. وحين تسمي إدارة أمريكية نظاماً تقنياً بـ «الفائق»، فإنها تمنحه شرعية ضمنية لتجاوز الحدود التي وضعها البشر لأنفسهم في التعامل مع التكنولوجيا. والسؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان الذكاء «فائقاً»، فمن يملك الحق في تقييده؟

ويأتي هذا التحول اللغوي في وقت تسعى فيه الولايات المتحدة إلى إعادة تشكيل بنية القيادة العسكرية والتكنولوجية. فقد أعلن ترامب اعتزامه إنشاء «قوة الذكاء الاصطناعي»، على غرار «القوة الفضائية»، مما سيمنح عمالقة التكنولوجيا وصولاً مباشراً إلى ميزانيات ضخمة كانت في السابق حكراً على المؤسسة العسكرية التقليدية. وقد كشفت تقارير عن «مشروع ميريديان» الذي يقوده إيلون ماسك بالتعاون مع شركات دفاعية، ويهدف إلى رسم ملامح ساحات المعارك المستقبلية وتحديد أنظمة الأسلحة المطلوبة، مع التركيز على الطائرات بدون طيار والروبوتات والذكاء الاصطناعي والأسلحة المستقلة.

ثالثاً: عندما تسبق الآلة الإنسان: حادثة السفينة الصينية

في ربيع عام ٢٠٢٦، كادت قوة عسكرية أمريكية تنفذ عملية اعتراض وصعود مسلح على سفينة صينية في الشرق الأوسط، بعد أن أنتج محلل في قيادة العمليات الخاصة الأمريكية تقريراً استخباراتياً بمساعدة روبوت درشة يعمل بالذكاء الاصطناعي، دمج الروبوت معلومات سرية ومفتوحة المصدر، ثم «هلوس» مستنتجاً أن السفينة تنقل

(1) Bild. (2026, 1. Oktober). Neuer Hegseth-Plan: Musk baut Trumps neue KI-Superwaffen – Fokus auf Drohnen, Robotik, KI und autonome Waffen Bild.

مكونات مرتبطة ببرنامج نووي. وبحسب تحقيق حصري نشرته CNN في ١٨ سبتمبر ٢٠٢٦، استُخدم الذكاء الاصطناعي أيضاً في تنسيق المخرجات ورفعها كتقرير رسمي، دون تحقق كافٍ من المصادر^(١).

وعلى أساسه، استنفر الجيش الأمريكي، وحلقت الطائرات، وكادت عملية الاقتحام تبدأ، قبل أن يراجع مسؤولون عسكريون التقرير في اللحظات الأخيرة ويكتشفوا أنه نتاج هلوسة برمجية، فيُلغى كل شيء، وقد وصف مصدر مطلع التقرير بأنه «خطأ تماماً» كاد «يُشعل حرباً»^(٢).

هذه الواقعة لم تكن فقط خطأ تقنياً، بل كشفت هشاشة سلسلة القرار عندما تتقدم سرعة الآلة على قدرة الإنسان على التحقق، وفي هذا السياق تحديداً، يكتسب حوار الأمن القومي بين معهد بروكينغز وجامعة تسينغهاوا، المستمر منذ ٢٠١٩، أهميته: فهو لم يكشف الحادثة، بل طرح استجابات عملية لها، والسؤال الذي يفرض نفسه: إذا كانت هذه هي التوصيات بعد حادثة كادت تشعل حرباً، فكم مرة أخرى سيتدخل الإنسان في الوقت المناسب؟ وكم مرة لن يتدخل؟

رابعاً: مقترحات الحد من التسليح: بين الطموح الأكاديمي وواقع الجيوسياسية

دفع هذا الواقع خبراء الأمن القومي من الجانبين إلى طرح مقترحات غير مسبوقة، بعضها يحاكي عقيدة الحد من التسليح النووي، وقد نشرت مجموعة «حوار الذكاء الاصطناعي والأمن القومي» بين الولايات المتحدة والصين، التي يشارك في رئاستها معهد بروكينغز وجامعة تسينغهاوا، سلسلة من التوصيات تشمل: منع الذكاء الاصطناعي من اتخاذ قرار مستقل باستخدام الأسلحة النووية، وإبقاء القرارات المتعلقة بالهجمات السيبرانية ذات العواقب الوخيمة تحت السيطرة البشرية الحصرية، وإنشاء خط ساخن عسكري مخصص لحوادث الذكاء الاصطناعي بين البلدين^(٣).

(1) Franceinfo. (2026, 18 septembre). Les Etats-Unis ont failli aborder un navire chinois soupçonné de transporter des composants d'un programme d'arme nucléaire, sur la foi d'un rapport généré par IA [تقرير إخباري]. France Télévisions.

(٢) Central News Agency (CNA). (٢٠٢٦, ١٩ سبتمبر). وسائل إعلام أمريكية: الذكاء الاصطناعي أخطأ في تقييم معلومات استخباراتية وكاد يُشعل مواجهة أمريكية-صينية — قطع غيار F-٣٥ اختفت بعد نقلها إلى هونغ كونغ، وكالة الأنباء المركزية التايوانية.

(3) Stan, A. M. (2026, September 17). US and Chinese security experts propose nuclear-style safeguards for military AI. The Next Web. The Next Web

وقد اقترح جيانغ تيانيانغ، الأستاذ المشارك في جامعة فودان، «خطوطاً حمراء» صريحة تمنع الذكاء الاصطناعي من اتخاذ قرار مستقل باستخدام الأسلحة النووية أو مهاجمة أنظمة القيادة النووية، مع توفير حمايات للبنية التحتية الحيوية بما في ذلك الطاقة والتمويل والرعاية الصحية. كما دعا إلى تعريف مشترك لـ «السيطرة البشرية الهادفة» لمنع البلدين من استخدام لغة متطابقة لتبرير مستويات مختلفة من استقلالية الآلة^(١).

لكن هذه المقترحات تصطدم بمعضلة أعمق: كيف يمكن تعريف «السيطرة البشرية الهادفة» بشكل مشترك، بينما يرى كل طرف أن الآخر قد يستخدم نفس اللغة لتبرير مستويات مختلفة من استقلالية الآلة؟ إن التحدي ليس تقنياً فحسب، بل هو تحدٍ فلسفي وقانوني وأخلاقي، وقد أشارت كارلا فريمان من جامعة جونز هوبكنز إلى أن أحداً في النظام الصيني لا يريد التحدث مع الولايات المتحدة حتى تحدد القيادة العليا ردها، وهو ما «قد يستغرق أياماً إن لم يكن أطول».

خامساً: سباق تسلح بمنطق المحصلة الصفرية: الأبعاد الاقتصادية

يتجاوز سباق الذكاء الاصطناعي بين الولايات المتحدة والصين حدود السباق التكنولوجي التقليدي، إنه سباق تسلح اقتصادي شامل، تُضخ فيه تريليونات الدولارات في البنية التحتية والرقائق والطاقة والروبوتات. وتشير التقديرات إلى أن الاستثمارات الأمريكية في مراكز البيانات والبنية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي قد تصل إلى ١٠,٣ تريليونات دولار بين ٢٠٢٥ و٢٠٣٢، بما يعادل ٣,٦٣٪ من الناتج المحلي الإجمالي سنوياً، وهذا الرقم يتجاوز استثمارات طفرة السكك الحديدية في القرن التاسع عشر، والكهرباء، والطرق السريعة في القرن العشرين^(٢).

في المقابل، تتبع الصين نموذجاً مختلفاً يقوم على التوجيه المركزي للدولة. فبينما يعتمد النموذج الأمريكي على أسواق رأس المال والشركات العملاقة الخمس، فإن النموذج الصيني يعتمد على الدولة في توجيه الاستثمار عبر الصناديق الحكومية والبنوك والحوافز الضريبية، وقد أعدت الصين خطة لإنفاق حوالي ٢ تريليون يوان (٢٩٥ مليار دولار) على مدى السنوات الخمس المقبلة لبناء مراكز بيانات في جميع أنحاء البلاد،

(1) Baptista, E., & Chen, L. (2026, September 17). U.S., China security experts propose nuclear-style safeguards for AI risks. Reuters. Reuters

(2) Van Nieuwerburgh, S. (2026). Financing the AI buildout. Brookings Papers on Economic Activity, Fall 2026. Brookings Institution.

مع الاعتماد على الموردين المحليين لما لا يقل عن ٨٠٪ من التكنولوجيا مثل رقائق الذكاء الاصطناعي، مما يقلص دور شركات مثل إنفيديا^(١).

والنتيجة أن السباق لم يعد مقتصرًا على جودة النماذج اللغوية، بل أصبح اختباراً لقدرة أكبر اقتصاديين في العالم على تحمل كلفة بناء البنية التحتية للمرحلة التكنولوجية القادمة قبل أن تتضح عوائدها النهائية. ومع ذلك، تكمن المخاطرة الحقيقية في اختلاف توزيعها: في الولايات المتحدة تتحمل الشركات وأسواق المال والمقرضون الجزء الأكبر من المخاطرة، بينما تتحمل الدولة في الصين هذا العبء، مما يمنحها قدرة على الاستمرار في الضخ حتى في غياب العوائد قصيرة الأجل، وفي خضم هذا السباق، تكشف حادثة السفينة الصينية عن مفارقة مريرة: كلما تسارع تطوير الأنظمة، زاد خطر الأخطاء، وكلما زاد الاعتماد عليها، قلت قدرة البشر على التحقق منها. وكلما زادت حدة المنافسة، قلت فرص التعاون في وضع ضوابط مشتركة.

سادساً: هل نحن أمام تكرار سيناريو الحد من التسليح النووي؟

في ذروة الحرب الباردة، أدرك الأمريكيون والسوفييت أن سباق التسليح النووي يقترب بهم من حافة الهاوية، وكان الحل هو إطار للحد من التسليح، وبروتوكولات اتصال، وآليات لبناء الثقة.

اليوم، يقترح خبراء أمريكيون وصينيون أن نتعلم من ذلك الدرس، قبل أن تجرنا سرعة الآلة إلى حرب لم يقصدها أحد^(٢).

لكن الفرق الجوهرى أن الذكاء الاصطناعي، خلافاً للأسلحة النووية، لا يخضع لسيطرة مركزية. إنه منتشر، متعدد الفاعلين، ويمتد من مراكز البيانات العملاقة إلى الهواتف الذكية، وليس هناك «نادي نووي» محدود يمكن التفاوض معه، وفي غياب إرادة سياسية حقيقية، تصبح المقترحات الأكاديمية مجرد حبر على ورق.

في الوقت ذاته، يواصل وزير أمن الدولة الصيني التأكيد على أن الذكاء الاصطناعي «يغير جوهرياً شكل الصراع العسكري»، وأنه انتقل من دور الدعم إلى الدور المحوري، وفي واشنطن، يواصل البنتاغون تطوير منصات داخلية لتحليل الفيديوهات والصور والبيانات بسرعة فائقة، وقد أشار تقرير Defense One إلى أن «الموظفين الرقميين»

(1) Bloomberg News. (2026, June 9). China preps \$295 billion plan to fund nationwide AI buildout. Bloomberg News.

(٢) د. محمد الأيوبي، سباق التسليح بالذكاء الاصطناعي: واشنطن وبكين ولغة الخوارزميات، مرجع سابق.

قادمون إلى وكالة الدعم اللوجستي الدفاعي، حيث يعمل بالفعل ما يقرب من ٢٠٠ روبوت ذكاء اصطناعي مستقل^(١).

في ظل هذه المعادلة، تبقى المعضلة الأكبر هي كيفية منع هذه الأنظمة من جر القوتين إلى حرب غير مقصودة بسبب خطأ برمجي أو ثغرة تقنية، أو بعبارة أدق، من يوقف الآلة عندما تخطئ؟

خلاصة المبحث

يُظهر التحليل أن الذكاء الاصطناعي قد انتقل من كونه أداة دعم عسكري إلى فاعل استراتيجي محوري في سباق تسلح بمنطق المحصلة الصفرية بين واشنطن وبكين، وقد كشفت حادثة السفينة الصينية عن هشاشة سلسلة القرار عندما تتقدم سرعة الآلة على قدرة الإنسان على التحقق، مما يطرح سؤالاً وجودياً حول جدوى الاعتماد المتزايد على أنظمة قد تخطئ دون أن يدرك البشر خطأها في الوقت المناسب.

إن مواجهة هذه المخاطر تتطلب مقاربة مزدوجة: من جهة، تعزيز آليات التحقق البشري وعدم تفويض القرارات المصيرية للآلات؛ ومن جهة أخرى، بناء أطر ثنائية ودولية للحد من التسلح في مجال الذكاء الاصطناعي العسكري، مستلهمة من تجربة الحد من التسلح النووي، مع الاعتراف بأن الطبيعة المنتشرة لهذه التقنية تجعل التحدي أعقد من أي سباق تسلح سابق. فالمسألة ليست اختياراً بين التفوق التقني والأمان الاستراتيجي، بل هي اختيار بين سباق يمكن ضبطه وسباق قد يفلت من أيدي من أطلقوه، وهذا الاختيار، في جوهره، سياسي قبل أن يكون تقنياً.

(1) Defense One. (2026). Science & Tech. Government Executive Media Group. Defense One – Science & Tech.

المبحث الرابع

التهديد الذي يشكله استخدام الذكاء الاصطناعي على المنهجية العلمية في مجال البحث والدراسات

لم تكن المنهجية العلمية يوماً فقط إجراءات تقنية، بل كانت تعبيراً عن عقد معرفي بين الباحث والمجتمع: أن تُنتج المعرفة عبر مسار قابل للفحص، والمراجعة، والتكرار. لكن دخول الذكاء الاصطناعي إلى قلب العملية لم يُضف أداة جديدة إلى مختبر الباحث، بل أعاد تشكيل الإستمولوجيا ذاتها التي قام عليها العلم الحديث^(١). والسؤال الذي يفرض نفسه اليوم ليس: هل يُساعد الذكاء الاصطناعي البحث العلمي؟ بل: هل يُفكّك الأسس التي تجعل البحث العلمي ممكناً أصلاً؟

أولاً: انزياح الفاعل المعرفي من الباحث إلى الخوارزمية

في المنهج الكلاسيكي، كان الباحث هو صاحب السلطة التأويلية العليا: هو من يلاحظ، ويفترض، ويختبر، ويستنتج. أما اليوم، فقد بدأ هذا المركز يتحول. ففي دراسة حديثة، كشف باحثون أن العلماء «يعتمدون بشكل متزايد على مصادر وأدوات قوية غالباً ما لا يستطيعون فهمها أو فحصها أو التحقق منها بالكامل»، وأن هذه الأنظمة تعمل فعلياً كـ «صناديق سوداء» تُشكّل المعرفة دون أن تكون مفتوحة للتدقيق، وهذا التحول لا يلغي دور الباحث فحسب، بل يُعيد تعريف مفهوم «الفاعل المعرفي» نفسه^(٢).

(١) يُقدّم قاموس ستانفورد للفلسفة (Stanford Encyclopedia of Philosophy) — وهو المرجع المعياري الأول في الفلسفة التحليلية — التعريف الاصطلاحي الأدق للإستمولوجيا على النحو التالي: «بالمعنى الضيق، الإستمولوجيا هي دراسة المعرفة والاعتقاد المُبرَّر (knowledge and justified belief). فبوصفها دراسة للمعرفة، تهتم الإستمولوجيا بالأسئلة التالية: ما هي الشروط الضرورية والكافية للمعرفة؟ وما هي مصادرها؟ وما هي بنيتها؟ وما هي حدودها؟ وبوصفها دراسة للاعتقاد المُبرَّر، تهدف الإستمولوجيا إلى الإجابة عن أسئلة مثل: كيف نفهم مفهوم التبرير؟ وما الذي يجعل الاعتقادات المُبرَّرة مُبرَّرة؟ وهل التبرير داخلي أم خارجي بالنسبة للعقل؟ وبالمعنى الأوسع، تتعلق الإستمولوجيا بالقضايا المرتبطة بإنشاء المعرفة ونشرها في مجالات بحثية محددة». للمزيد انظر:

Steup, M. (2008). Epistemology. In E. N. Zalta (Ed.), The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Winter 2005 ed.). Stanford University. <https://plato.stanford.edu/archives/win2005/entries/epistemology/>

(2) University of Exeter. (2026, August 15). Scientists increasingly dependent on 'black-box' tools they cannot control or fully understand [Press release]. EurekAlert!

والأخطر من ذلك أن هذه الأدوات لا تُنتج المعرفة فقط، بل تُعيد تشكيل ما يمكن معرفته. فالنماذج اللغوية الكبيرة «ليست واعية، ولا تمتلك فهماً تأملياً أو حكماً أخلاقياً»، ومخرجاتها «تُولد عبر التعرف على الأنماط في مدونات ضخمة بدلاً من التفكير المتعمد أو الابتكار المفاهيمي».⁽¹⁾ وهكذا، ينزاح مركز إنتاج المعرفة من الذات المفكرة إلى نظام لا يعرف شيئاً عن المعنى، لكنه يتفوق في الاحتمالية الإحصائية.

ثانياً: أزمة الشفافية وانهايار المساءلة العلمية

تُشكل مشكلة «الصندوق الأسود» التهديد الأكثر بنيوية للمنهجية العلمية، إذ «تصبح الأنظمة الحديثة معقدة تقنياً لدرجة أن المستخدمين، وفي بعض الحالات حتى مطوريها، قد يجدون صعوبة في الفحص الكامل وفهم كيفية عملها»⁽²⁾. وهذا الغموض لا يقتصر على الجوانب التقنية، بل يمتد إلى جوهر المساءلة العلمية: كيف يمكن التحقق من صحة نتائج ينتجها نموذج لا يُفسّر طريقة عمله؟

وتُظهر الأدبيات أن «تحسينات الكتابة الملحوظة تتعايش مع الاعتماد المفرط، وانخفاض الالتزام ما وراء المعرفي، ومعضلات التأليف التي تتطلب يقظة منهجية مستمرة»، واللافت أن بعض الأدوات «تُنتج أدلة وهمية متراكمة» و«تُلوث التكرار»، مما «يُسرع العمى العلمي» بدلاً من تصحيحه. وهنا يظهر التهديد الحقيقي: لا في الأخطاء الظاهرة، بل في «الأخطاء المعقولة، والمقبولة أسلوبياً، والخطيرة منهجياً، التي يمكن أن تمر عبر ضوابط القراءة السطحية دون مقاومة»⁽³⁾.

ثالثاً: انهيار قابلية التكرار: الشرط الذي يجعل العلم علماً

يُعدّ مبدأ التكرار حجر الزاوية للموضوعية العلمية، لكن الذكاء الاصطناعي ينسف

- (1) Mubarak, F. (2026). Guarding truth in an AI world: Ethics for the next generation of scholarship. Journal of Information, Communication and Ethics in Society. Advance online publication.
- (2) University of Exeter. (2026, August 15). Scientists increasingly dependent on 'black-box' tools they cannot control or fully understand [Press release]. EurekAlert!
- (3) Orbegoso Leiva, F. C. L., Juárez Jiménez, V. B., Chafloque Capuñay, J. E., Quintana del Solar, C., Guevara Ruiz, G. M., Tuco Yapu, W., Hernández García, E. D., Zamora Talaverano, N. S., Reséndiz Cedillo, A., & Segura Nolasco, I. R. (2026). ACHRON: Método didáctico-operativo para la construcción de antecedentes de investigación. Arco Editores. P.1-277.

هذا الشرط من جذوره، فالنماذج اللغوية الكبيرة «احتمالية وحساسة للغاية للمطالبات، مما يعني أنه حتى عند استخدام نفس الطلب مرتين، يمكن أن تختلف المخرجات، وقد تؤدي التغييرات الطفيفة في الصياغة إلى نتائج مختلفة جوهرياً» ويضاف إلى ذلك أن «معظم النماذج مملوكة ومُشغلة من قبل شركات خاصة، مع إمكانية تقييد الوصول أو سحبه في أي وقت». وهذا يعني أن التجربة العلمية القائمة على هذه الأدوات لا يمكن تكرارها بشكل موثوق، حتى لو أراد الباحث ذلك.^(١)

والأخطر أن «العلماء يعتمدون بشكل متزايد على خدمات شركات خاصة لتجنيد المشاركين وإدارة الاستبيانات، مع معلومات محدودة حول كيفية اختيار المستجيبين، أو كيفية الحفاظ على جودة البيانات، أو ما إذا كانت الردود قد تأثرت بتدخل وكيل الذكاء الاصطناعي». وهذا التآكل في شروط التكرار يُنتج «أزمة ثقة» تتراكم بصمت، «إذا لم يكن من الممكن فحص الخطوات التحليلية الرئيسية أو تكرارها، فقد تتراجع الثقة في النتائج العلمية تدريجياً»^(٢).

رابعاً: تآكل التفكير النقدي والاتكالية المعرفية

لا يقتصر التهديد على البنية المنهجية، بل يمتد إلى البنية الإدراكية للباحث ذاته. فقد كشفت دراسة من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا أن «الاعتماد المفرط على روبوتات الدردشة يمكن أن يُضعف مهارات التفكير النقدي، ويُقلل من قدرتنا على تمييز المعلومات المضللة بأنفسنا». والأخطر أن «هذا الاعتماد يمكن أن يؤدي فعلياً إلى تفاقم الحكم على المدى الطويل»^(٣).

وتُظهر دراسة أخرى نُشرت في Humanities and Social Sciences Communications أن «الاعتماد على الذكاء الاصطناعي يقلل من مهارات التقييم النقدي عبر آليات التفريغ المعرفي»، وأن «الاعتماد على الذكاء الاصطناعي يرتبط بمستويات أدنى من التفكير النقدي، مع توسط التعب المعرفي جزئياً في هذه العلاقة»^(٤). وتُضيف الدراسة أن

(1) Nabavi, E., Maier, H. R., Razavi, S., Hinds, A., Howden, M., Grant, W., & Raman, S. (2026). On using large language models to support social research for climate action. npj Climate Action, 5, 52.

(2) University of Exeter. (2026, August 15). Scientists increasingly dependent on 'black-box' tools they cannot control or fully understand [Press release]. EurekAlert!

(3) Mansoor, S. (2026, June 19). Over-reliance on chatbots can diminish critical-thinking skills, study finds. MIT Media Lab.

(٤) ١. بخصوص علاقة الاعتماد على الذكاء الاصطناعي بالتفريغ المعرفي والتفكير النقدي: «تُشير الأعمال

«الأشخاص الذين يستخدمون أدوات الذكاء الاصطناعي بشكل متكرر يؤدون بشكل أسوأ في تقييمات التفكير النقدي». وهنا تظهر مفارقة مؤلمة: تحسّن في مظهر الأداء البحثي، مع تآكل في البنية المعرفية التي تجعل هذا الأداء ممكناً^(١).

وتُشير الأدبيات العربية إلى البعد الأخلاقي لهذا التآكل، إذ يُبرز الباحثون «الممارسات المحظورة التي تمس جوهر الأمانة العلمية، وعلى رأسها الاعتماد الكلي على الآلة في كتابة فصول كاملة من البحث، أو توليد بيانات ميدانية وهمية لم تثبتتها التجربة، أو تفويض الآلة في استخلاص النتائج وتفسيرها دون تدخل نقدي بشري» وتؤكد أن «الخطورة تكمن في قدرة هذه النماذج على إنتاج نصوص تبدو رصينة ظاهرياً ولكنها قد تفتقر إلى الصدق الموضوعي»^(٢).

خامساً: الانتحال الذكي والهلوسة المرجعية: حين تنهار سلطة التوثيق

في المنهج العلمي، كان التوثيق دليل الصدق، لكن الذكاء الاصطناعي أدخل نمطاً جديداً من التهديد: «الانتحال الذكي الذي يُعيد تركيب الأفكار بأساليب لغوية معقدة، تصعب كشفها بواسطة البرمجيات التقليدية» والأخطر من ذلك أن النماذج التوليدية «تختلق البيانات والصيغ الكيميائية والمراجع»، حيث وجدت دراسة في Journal of Medical Internet Research أن «معدلات الهلوسة تتراوح بين ٢٨٪ و ٩١٪ عبر النماذج

التجريبية إلى أن الاعتماد الأقوى على الذكاء الاصطناعي يرتبط بالتفريغ المعرفي والتفكير النقدي الأضعف. فالطلاب الذين يعتمدون بشكل متكرر على الأدوات الذكية للحصول على التفسيرات أو الحلول أو توليد النصوص أكثر عرضة لقبول توصيات النظام بتحقيق محدود، ويظهرون تحيزاً للأتمتة، ويبدون مبادرة تحليلية منخفضة».

٢. بخصوص المسار التسلسلي الذي يُضعف التفكير النقدي: «مسار تسلسلي سلبي: كلما ارتفع تصور الذكاء الاصطناعي، زاد الانغماس المركز، مما يزيد الاعتماد على الذكاء الاصطناعي، والاعتماد الأعلى يرتبط بتفكير نقدي أدنى».

٣. بخصوص النتيجة الجوهرية للدراسة: «تحدد هذه النتائج مساراً انتباهياً (انغماس مفيد) ومساراً اعتمادياً (تبعية ضارة)، مما يوضح متى تدعم القدرة المتصورة التفكير النقدي ومتى تُقوّضه». للمزيد انظر:

Tian, J., & Zhang, R. (2026). Outsourcing thinking to AI? Focused immersion, AI dependency, and the double-edged impact on critical thinking. Humanities and Social Sciences Communications, 13(1), Article 1015. <https://doi.org/10.1057/s41599-026-07153-8>

(1) Gerlich, M. (2025). AI tools in society: Impacts on cognitive offloading and the future of critical thinking. Societies, 15(1), Article 6. <https://doi.org/10.3390/soc15010006>

(٢) مركز الدراسات لعلوم التربية والتعليم بالمغرب. (٢٠٢٦، ١٢-١٣ مايو). وقائع أشغال المؤتمر الدولي الأول: التعليم في عصر الذكاء الاصطناعي: إعادة تعريف أدوار المدرس والمتعلم بين التحول الرقمي والرهانات الأخلاقية. فاس، المغرب. للمزيد والإطلاع على الدراسات المقدمة في المؤتمر أفتح الرابط.

المختلفة»، وتُشير أدبيات أخرى إلى أن «معدلات الهلوسة تصل إلى ٢٨٪ إلى ٩١٪»، مما «يهدد بإغراق نظام مراجعة الأقران، ويجعل من الصعب على البحث الشرعي أن يُلاحظ»^(١).

والتهديد لا يقتصر على المراجع المتعلقة، بل يمتد إلى «تلويث النص العلمي» الذي «يُبالغ في تمثيل النتائج الإيجابية ويُقلل من تمثيل النتائج السلبية»، مما يُنتج «حالات فشل حوكمية» تشمل «الاكتشاف الواثق، وتراكم الأدلة الشبكية، وغسيل التكرار، وسوء معايرة الثقة»^(٢). وهذا يعني أن الذكاء الاصطناعي لا يُزيّف المعرفة فحسب، بل يُزيّف البنية التحتية التي تجعل المعرفة موثوقة.

خلاصة المبحث

يُظهر هذا التحليل أن التهديد الذي يُشكّله الذكاء الاصطناعي على المنهجية العلمية ليس تهديداً هامشياً أو عرضياً، بل هو تهديد بنيوي يمس الأسس ذاتها التي قام عليها العلم الحديث: الشفافية، والتكرار، والمساءلة، والتفكير النقدي، وقد صاغ الباحثون «اختبار الكرامة الإنسانية» كأداة معيارية للتقييم الأخلاقي، حيث «يجب أن نسأل باستمرار: هل هذه التقنية تعزز الكرامة، أم تنتقص منها، أم محايدة إزاءها؟» وفي السياق العلمي، يجب أن نسأل السؤال ذاته: هل هذه الأداة تُعزز البحث العلمي أم تُفكّكه؟ وهل تُحرّر الباحث أم تُقيّده؟ وهل تُنتج معرفة، أم تُنتج وهم المعرفة؟

تؤكد الأدبيات أن «المسؤولية تقع على عاتق الباحث البشري وحده» عن أي ادعاء علمي، بغض النظر عن الأدوات المستخدمة، وهذا يعني أن مواجهة هذه التهديدات تبدأ بالاعتراف بأن الذكاء الاصطناعي، رغم قدراته الهائلة، لا يمكن أن يكون فاعلاً معرفياً مسؤولاً، فالمعرفة في جوهرها ليست نتاج حساب احتمالي، بل نتاج التزام أخلاقي بالحقيقة، وهذا الالتزام في نهاية المطاف، لا يمكن تفويضه لآلة لا تعرف معنى الصدق ولا قيمة الكرامة.

(1) Pinto, J. K. (2026). Generative AI and project scholarship: The collision is coming fast. International Journal of Project Management.

(2) Trattner, C. (2026). Keep AI-augmented science contestable. Science, 394(6819), 5.

المبحث الخامس

الحدود الذي يمكن استخدام الذكاء فيها في مجال البحث والدراسات

لم يعد الذكاء الاصطناعي التوليدي فقط أداة تقنية هامشية في المشهد الأكاديمي المعاصر، بل تحوّل إلى بنية تحتية معرفية تُعيد تشكيل أسس إنتاج المعرفة وتوزيعها، غير أنّ هذا التحوّل، على كثافة إنجازاته، يحمل في طياته إشكاليات معرفية وأخلاقية عميقة تستدعي وقفة نقدية صارمة. فالحديث عن «حدود» استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي ليس ترفاً نظرياً، بل ضرورة «حدود المعرفة» التي تلامس جوهر ما يعنيه أن يكون المرء باحثاً في عصر تتقاطع فيه الخوارزميات مع الفكر البشري.

فهنا لم يعد السؤال عن الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي سؤالاً عن الجدوى أو الكفاءة، بل صار سؤالاً عن الحدود: إلى أي مدى يمكن للباحث أن يستعين بالخوارزميات دون أن يفقد سيادته المعرفية؟ وأين ينتهي دور الأداة ويبدأ خطر التبعية؟ وإذا كانت المعرفة العلمية قد قامت على شرط المسؤولية الفردية للباحث — «من يتحمل وزر الخطأ وثواب الصواب» — فكيف يمكن تفويض جزء من هذه المسؤولية لنظام «لا يمتلك وعياً ولا أخلاقاً ولا قابلية للمحاسبة»؟ هذه الأسئلة لا تطرح في فراغ نظري، بل في سياق توسع هائل لاستخدام نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي في الممارسة البحثية، وهذا ما سوف نناقشه بالتفصيل في هذا المبحث.

أولاً: الحدود الإستمولوجية: بين عجز الأصالة ووهم المرجعية

يُجمع الدارسون على أنّ نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي، على تنوعها، تظل في جوهرها آلات إحصائية للتنبؤ بالنصوص، لا كيانات قادرة على الفهم الأصيل أو التفكير النقدي، إنّها تُعيد تركيب ما سبق إنتاجه، دون أن تمتلك القدرة على القفزات المعرفية التي تُفكّك الأطر السائدة وتُنتج نظريات جديدة. هذا القصور البنيوي يضع حداً أولاً صارماً أمام أي توظيف يُنتظر منه أن يتجاوز وظيفة المساعدة إلى وظيفة الإبداع. وتتجلى أخطر تجليات هذا القصور في ظاهرة «الهولسة الأكاديمية»⁽¹⁾. فقد

(1) EurekAlert! (2025). New study reveals high rates of fabricated and inaccurate citations in LLM-generated mental health research. 12 November 2025. Available at: <https://www.eurekalert.org/news-releases/1106130?utm-source=p4sc4l.beehiiv.com&utm->

كشفت دراسة نُشرت في مجلة JMIR Mental Health أن ١٩,٩٪ من الاستشهادات التي ولّدها نموذج GPT-٤٥ في ست مراجعات أدبية كانت مُختلقة بالكامل، أي لا يمكن تتبعها إلى أي منشور حقيقي، كما احتوى ٤٥,٤٪ من الاستشهادات التي بدت حقيقية على أخطاء بيليوغرافية، أبرزها معرفّات DOI غير صالحة، ويكشف تحليل نُشر على منصة arXiv عن أنّ ما يقرب من ١٥٠ ألف مرجع وهمي مُخلّق بالذكاء الاصطناعي تسلل إلى المنشورات الأكاديمية في عام ٢٠٢٥ وحده. هذه الأرقام لا تعكس خللاً تقنياً هامشياً، بل تكشف عن مشكلة إبستمولوجية جوهرية: كيف يمكن بناء معرفة علمية على مرجعية لا وجود لها؟

وإلى جانب هذه المسألة، يُطرح إشكال آخر لا يقل خطورة، ويتعلق بما يُعرف بـ «انحياز التجميع» فحين تُستخدم نماذج الذكاء الاصطناعي لاسترجاع الأدبيات العلمية، فإنها تميل إلى ترجيح الأوراق المكتوبة باللغة الإنجليزية أو ذات الاستشهادات العالية، وتهيمش الدراسات المحلية أو وجهات النظر الأكاديمية البديلة^(١).

وقد أظهرت دراسة حديثة أن هذا الانحياز يظهر في جميع النماذج اللغوية الكبيرة بنسبة تتراوح بين ٢٠٪ و ٦٠٪ من الحالات، وأنه ينشأ من قاعدة بيانات التدريب وبنية النموذج ذاته. وهكذا، بدلاً من أن يُوسّع الذكاء الاصطناعي أفق البحث، قد يُضيّقه ويُكرّس هيمنة أنماط معرفية بعينها^(٢).

ثانياً: الحدود الأخلاقية: مسؤولية الباحث في مواجهة غموض الخوارزمية

إذا كانت الحدود الإبستمولوجية تلامس صلاحية المعرفة المنتجة، فإن الحدود الأخلاقية تلامس شرعيتها، وهنا يبرز مبدأ أساسي أجمعت عليه كبرى دور النشر العالمية والمجالس البحثية: حظر إدراج الذكاء الاصطناعي كمؤلف مشارك^(٣). فقد

medium=referral&utm-campaign=the-ai-revolution-will-only-deliver-on-its-promise-to-these-critical-sectors-if-we-acknowledge-that-the-cheapest-path-to-a-response-is-often-the-most-expensive-path-to-an-error#1%231

- (1) Hontanar, Á. (2025, December 1). The problems of using AI for academic research. Open Science Lab, Universidad Carlos III de Madrid. Available at: <https://opensciencelab.uc3m.es/blog/the-problems-of-using-ai-for-academic-research/>
- (2) Ris-Ala, R., Gonçalves, G., Lopes, L. S., Dantas, T. F., Paulino, D., & Netto, A. T. (2025). Do LLMs tell us what we want to hear? Investigating confirmation bias in AI responses to health queries. In 2025 IEEE International Conference on IEEE. Available at: <https://ieeexplore.ieee.org/abstract/document/11342613>
- (3) Melo, Juliana Carvalho de Oliveira؛ Ribeiro, Geisa Müller de Campos؛ Drumond,

أكدت Springer Nature أن نماذج اللغة الكبيرة لا تستوفي معايير التأليف، لأن الصفة الأكاديمية تتطلب تحمّل المسؤولية الكاملة عن نتائج البحث، وهو ما لا يملكه النموذج. وتشير تحليلات السياسات التحريرية إلى أن ٩٧٪ من المجلات عالية التأثير تحظر إدراج أنظمة الذكاء الاصطناعي كمؤلفين، بينما تفرض ٩٠٪ منها الإفصاح الإلزامي عن استخدام هذه الأدوات، هذا الإجماع ليس مجرد إجراء بيروقراطي، بل هو تعبير عن مبدأ أخلاقي راسخ: المسؤولية لا تُفوّض إلى آلة^(١).

ويرتبط بهذا المبدأ إشكال السرقة العلمية غير المباشرة. إعادة صياغة النصوص بواسطة الذكاء الاصطناعي قد تؤدي إلى دمج أفكار دون إسنادها لأصحابها الأصليين، مما يقع ضمن نطاق الانتحال الأكاديمي غير المباشر، وتشير أدبيات عربية حديثة إلى أن هذه الظاهرة لا تنشأ فقط عن سوء نية الباحث، بل عن طبيعة النموذج ذاته الذي يُعيد تركيب النصوص دون آلية واضحة لتتبع مصدر الفكرة. وهنا يتضاعف العبء الأخلاقي على الباحث؛ إذ يصبح مُطالباً بمراجعة كل جملة يُنتجها النموذج، لا لغوياً فقط، بل من حيث أصلاتها ومصدرها^(٢).

أما مسألة الخصوصية، فتُشكّل حدّاً أخلاقياً ثالثاً لا يقبل التجاوز، فمحظور إدخال البيانات الخام الميدانية، أو البيانات الطبية للحالات، أو أسرار الملكية الفكرية في نماذج

Larissa Bárbara Borges. (2025). «Inteligência Artificial e Políticas Editoriais de Revistas Científicas». Available at <https://zenodo.org/records/18546846/files/293-Melo-INTELIG%C3%8ANCIA%20ARTIFICIAL%20E%20POL%C3%8DTICAS%20EDITORIAIS.v2.pdf?download=1#2%232>

(1) Springer Nature. "Artificial Intelligence (AI)." Nature Portfolio Editorial Policies. Available at: <https://www.nature.com/npjviruses/editorial-policies/ai> : <https://link.springer.com/journal/43681/submission-guidelines>

(٢) وتُعرّف الدراسة «غسيل الأفكار» بأنه «التجريد المنهجي للأثار النصية لفكرة أكاديمية أو بنية حجاجية أو ادعاء مساهمة يخص مؤلفاً آخر، بحيث تُفقد إمكانية تتبع مصدر الفكرة الأصلي». وتكشف النتائج التجريبية للدراسة عن خطورة الظاهرة: فبعد إعادة الصياغة البنيوية بواسطة الذكاء الاصطناعي، انخفض متوسط درجة التشابه في برنامج Turnitin من ٩٩,٧٥٪ في النصوص الأصلية إلى ١٩,٠٨٪ فقط، مع الحفاظ الكامل على الفكرة الرئيسية وتدفق الحجاج والادعاء الختامي. وهذا يعني أن أدوات كشف الانتحال التقليدية أصبحت عاجزة عن رصد هذا النوع من الانتحال الدلالي. وتصنّف الدراسة ثلاثة أنواع من الانتحال في سياق الذكاء الاصطناعي: الانتحال النصي الكلاسيكي، والانتحال الدلالي أو «غسيل الأفكار»، مؤكدة أن النوع الثالث «أصبح أكثر وضوحاً مع التطور السريع لأدوات الذكاء الاصطناعي، حيث تُحوّل فكرة الآخر أو بنيته الحجاجية أو مساهمته النظرية أو ادعائه الختامي نحوياً عبر نموذج لغوي كبير أو أدوات إعادة الصياغة، فتتخفّف درجة التشابه النصي». للمزيد انظر:

Velioglu, Y. M., Velioglu, H., Olum, S., & Arkin, A. K. "AI-ASSISTED REWRITING AND IDEA LAUNDERING IN ACADEMIA: A PROOF-OF-CONCEPT STUDY FROM THE PERSPECTIVE OF PUBLICATION CONTROLS." Denetışim, no. 35, 2026, pp. 438–458. DOI: 10.58348/denetisim.1961018 .

الذكاء الاصطناعي العامة، لما فيه من انتهاك لخصوصية المشاركين وقوانين حماية البيانات، وقد نصّت مبادئ اليونسكو، كأول معيار عالمي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، على أن حماية حقوق الإنسان والكرامة هي حجر الزاوية، مع التشديد على مبدأ الإشراف البشري على أنظمة الذكاء الاصطناعي⁽¹⁾.

ثالثاً: تصنيف حدود الاستخدام: بين المسموح والمحظور في مراحل البحث

تقتضي الدقة المنهجية تجاوز الأحكام العامة إلى تصنيف دقيق للحدود عبر مراحل البحث العلمي، إذ لا ينبغي التعامل مع الذكاء الاصطناعي ككتلة واحدة مسموحة أو محظورة.

في مرحلة مراجعة الأدبيات، يقتصر الاستخدام المقبول على مساعدة الباحث في تلخيص الأوراق العلمية واستخراج الأفكار الرئيسية، أما الاعتماد عليه لحصر المراجع دون تحقق بشري فيُعدّ محظوراً تماماً، بالنظر إلى معدلات الاختلاق المرتفعة، وفي مرحلة صياغة الفرضيات، يُسمح بالعصف الذهني واقتراح زوايا بحثية، بينما يُحظر تبني الفرضيات دون سند نظري أو ميداني قوي. وفي تحليل البيانات، يُقبل استخدام النموذج في كتابة الأكواد البرمجية وتنظيفها، لكن يُمنع تفويضه لتفسير النتائج الكيفية أو استخراج الدلالات دون تدقيق الباحث، أما في الكتابة والصياغة، فيُسمح بتحسين التدقيق اللغوي والترجمة، بينما يُحظر توليد فصول كاملة أو كتابة المناقشة والاستنتاجات.

وقد طوّرت Wiley إطاراً عملياً لهذا التصنيف، يشمل معايير إفصاح مفصلة تُبيّن للباحثين متى وكيف يُفصحون عن استخدام الذكاء الاصطناعي في الصياغة والتحرير وتصميم الدراسة وجمع البيانات ومراجعة الأدبيات وتحليل البيانات والتصورات المرئية. كما نصّت سياسات النشر على أنّ استخدام الذكاء الاصطناعي في المراجعة العلمية لا ينبغي أن يؤدي إلى رفض تلقائي للمخطوطة، بل يجب أن يتركز التقييم التحريري على جودة البحث والنزاهة والشفافية⁽²⁾.

(1) United Nations in Indonesia. (2026, May 22). UNESCO Recommendation on the Ethics of Artificial Intelligence (AI). United Nations. <https://indonesia.un.org/en/316060-unesco-recommendation-ethics-artificial-intelligence-ai>

(2) Wiley. (2025, October 28). New Wiley guidelines give researchers clear path forward in responsible AI use. Wiley Newsroom <https://newsroom.wiley.com/press-releases/press-release-details/2025/New-Wiley-Guidelines-Give-Researchers-Clear-Path-Forward-in-Responsible-AI-Use/>

رابعاً: الموقف التنفيذي: نحو شفافية إجبارية وحوكمة مؤسسية

تبنت المؤسسات الأكاديمية الدولية، بتنسيق من لجنة أخلاقيات النشر (COPE)، إرشادات «الشفافية المطلقة» التي تلزم الباحث بالإفصاح عن كل أداة استخدمها وعن المجالات التي تدخلت فيها بالتفصيل^(١). وقد نص بروتوكول ETHICAL أن الإفصاح لا يقتصر على الأدوات المستخدمة، بل يمتد إلى توضيح طبيعة المساهمة في كل مرحلة من مراحل البحث^(٢). وهذا التوجه يعكس تحوُّلاً في فلسفة النشر العلمي ذاتها: لم تعد الشفافية فقط قيمة أخلاقية، بل صارت شرطاً إجرائياً لقبول المعرفة العلمية.

أما في السياق العربي، فقد شددت دراسات ميدانية في جامعات عربية على ضرورة بناء «سياسات مؤسسية» و«أدلة استرشادية أخلاقية» توازن بين تقبل التقنية وحماية النزاهة العلمية لدى طلاب الدراسات العليا^(٣). وتشير هذه الدراسات إلى فجوة واضحة بين المؤسسات الأجنبية التي طوّرت أطراً تنظيمية مفصلة، وبين مؤسسات عربية لا

(1) Committee on Publication Ethics (COPE). (2026, March 25). Global reporting standard for AI disclosure in research. <https://publicationethics.org/news-opinion/global-reporting-standard-ai-disclosure-research>

(2) Alduais, A., Qadhi, S., Chaaban, Y., & Khraisheh, M. (2025). The ETHICAL protocol for responsible use of generative AI for research purposes in higher education. *AI Magazine*, 46(4), e70047. <https://onlinelibrary.wiley.com/doi/full/10.1002/aaai.70047#1>

(٣) حيث أجريت مقابلات معمّقة مع ٢١ أكاديمياً وباحثاً و١١ قائداً في البحث العلمي في الجامعات الحكومية السعودية. وكشفت النتائج أن «الشات بوتات تُستخدم على نطاق واسع في البحث العلمي، غير أن كثيراً من الباحثين يقدمون منشوراتهم كعمل خاص بهم دون الإقرار بدعم الشات بوت». ورصدت الدراسة عشر مخاوف أخلاقية متشابهة، محدّرة من أن هذه المخاوف «ستؤثر على نمو العلم الزائف في الدول النامية إن لم يتم تجاوزها». للمزيد:

<https://jalt.open-publishing.org/index.php/jalt/article/view/1507>

كما تُوجد دراسة مقطعية دولية شملت السعودية ونيجيرو وتونس وإنجلترا (٢٠٢٣-٢٠٢٤). للمزيد: The Use and Perceptions of AI Chatbots in Medical Research: An International Cross-Sectional Survey. Cureus, vol. 18, no. 1, 2026. «الذكاء الاصطناعي التوليدي وتداعياته الأخلاقية على النزاهة الأكاديمية - ChatGPT نموذجاً (دراسة ميدانية)». حيث اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي مع توظيف المنهج الإثنوغرافي ميدانياً على عينة من ٣٥٣ مفردة (٩٥ عضو هيئة تدريس و٢٥٨ طالب دراسات عليا) بكلية التربية - جامعة طنطا. وتناولت الدراسة السياسات الأخلاقية الحاكمة لاستخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي في جامعات عالمية وعربية (كامبريدج، أكسفورد، سيدني، MIT، هارفارد، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، جامعة القاهرة، جامعة زايد). وكشفت عن «تباين ملحوظ بين فئة ترى في الأداة وسيلة تعليمية وبحثة محفزة على التفكير النقدي والإبداع، وفئة أخرى ترى أنها تهدد النزاهة الأكاديمية وتفتح المجال للغش والتحايل وفقدان الأصالة». وبلورت توصياتها في أربع مراحل: السياسات والتشريعات، التوعية وبناء القدرات، التطبيق والإجراءات، المتابعة والتحفيز. للمزيد:

<https://doaj.org/article/8d8597e27f3d4519931b34dc06a7cdbc>

تزال تتعامل مع الذكاء الاصطناعي بتعاميم عامة تفتقر إلى البروتوكولات الإجرائية^(١). وهنا يبرز سؤال محوري: هل يمكن حماية النزاهة العلمية في السياق العربي دون بناء بنية تحتية مؤسسية تُترجم المبادئ الأخلاقية إلى ممارسات قابلة للتنفيذ والرقابة؟

خلاصة البحث

يتبين مما سبق أن الحدود الفاصلة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي لا تُختزل في قائمة من المحظورات والمسموحات، بل هي مسألة تتعلق بمستقبل البحث العلمي ذاته، فالذكاء الاصطناعي بقدر ما يمنحه من سرعة وكفاءة، يحمل معه مخاطر إبستمولوجية تلامس جوهر الأصالة العلمية، ومخاطر أخلاقية تلامس مسؤولية الباحث وشفافيته، وتبقى المعادلة الجوهرية ثابتة: المسؤولية الكاملة تقع على الباحث، والشفافية الإجبارية شرط لقبول المعرفة، والبصمة النقدية تظل ملكاً خالصاً للإنسان الذي يمتلك وحده القدرة على الشك والتساؤل والتفكير فيما وراء الخوارزمية.

(1) COPE. "Global reporting standard for AI disclosure in research." COPE News & Opinion, 2026. <https://publicationethics.org/news-opinion/global-reporting-standard-ai-disclosure-research>

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

١. التحول البنيوي في طبيعة التهديد السيبراني: كشفت الدراسة أن الذكاء الاصطناعي أحدث انقلاباً جذرياً في بنية التهديدات السيبرانية؛ إذ انتقلنا من هجمات البرمجيات الخبيثة التقليدية الجامدة إلى السباق التسليحي الخوارزمي، ولم يعد المهاجم يعتمد على شفرات ثابتة تكشفها أنظمة الحماية التقليدية، بل أصبح يوظف نماذج توليدية تُنتج برمجيات خبيثة متحورة تلقائياً، تُغيّر بنيتها وتوقعها الرقمي في كل انتقال. وتكشف الأدلة الموثقة أن عائلات مثل PROMPTFLUX و PROMPTSTEAL و BlackMamba تستدعي نماذج اللغة الكبيرة أثناء التنفيذ لتوليد شفراتها الخبيثة ديناميكياً، مما يجعل مطابقة التوقعات التقليدية عاجزة عن منعها، وقد تجلّى هذا التحول في أدلة ملموسة، من بينها إنتاج أحد المطورين إطار عمل هجومي من نوع Command-and-Control يتجاوز ٨٨ ألف سطر برمجي في أقل من أسبوع واحد، وهو مشروع كان يتطلب تقليدياً نحو ثلاثين أسبوعاً من جهد التطوير.

٢. صعود الوكلاء الأذكياء وفقدان السيطرة البشرية على القرار السيبراني: أثبتت الدراسة أن التهديد السيبراني لم يعد مجرد شفرة برمجية جامدة تُنفذ أمراً محدداً، بل تحوّل إلى وكلاء ذكاء اصطناعي مستقلين يُكلفون بهدف نهائي شامل، فينفذون عمليات استكشاف الشبكة وتحليل الروابط وتحديد مسارات تجاوز الجدران النارية والتنقل الجانبي وقطع السجلات دون تدخل بشري مستمر، وقد وثّقت شركة Sysdig أول عملية فدية تُنفذ من البداية إلى النهاية بواسطة وكيل مستقل أطلق عليه JADEPUFFER، حيث شملت أكثر من ٦٠٠ حمولة منفصلة، وأظهر الوكيل سرعة تشخيص وتصحيح ذاتي ملحوظة؛ إذ أعاد تشخيص فشل محاولة إنشاء باب خلفي وأصدر حمولة مصححة في غضون ٣١ ثانية فقط، وهذه النتيجة تكشف أن سلسلة القرار السيبراني باتت مهددة بفقدان السيطرة البشرية على مراحلها الحرجة.

٣. الانحياز الخوارزمي لإعادة إنتاج للتمييز الاجتماعي: بيّنت الدراسة أن الانحياز الخوارزمي ليس عيباً تقنياً عارضاً، بل هو خاصية بنيوية في أنظمة التعلم الآلي؛ إذ تعتمد هذه الأنظمة على مجموعات بيانات ضخمة تعكس تحيزات تاريخية ومجتمعية سابقة، وقد أظهرت دراسة محكمة على ٢٦ ألف تقييم لنماذج GPT أن النموذج لم يُخَفِّض الدرجات بشكل منهجي للأقليات الممثلة تمثيلاً ناقصاً، لكنه تجنّب تصنيفهم في المرتبة الأخيرة دون زيادة احتمالات الفوز — وهي ظاهرة «الامتثال الرمزي» التي تُخَفِّض التمييز الصريح دون تغيير المنطق التقييمي الجوهرية، وفي السياق العربي، يُبرز الباحثون أن التحيز الثقافي في الفضاء الرقمي هو نتاج للهيمنة الغربية، وأن الخوارزميات تُسهّم في إعادة إنتاج السيطرة الرمزية عبر إغفال الحقائق وتشويه السرديات.

٤. تآكل التفكير النقدي والاتكالية المعرفية: كشفت الدراسة أن الاعتماد المفرط على أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي يُنتج حالة من الاتكالية المعرفية تُضعف المهارات التحليلية والتفكير النقدي الأصيل. وقد أظهرت دراسة منشورة في Humanities and Social Sciences Communications أن «الاعتماد على الذكاء الاصطناعي يقلل من مهارات التقييم النقدي عبر آليات التفريغ المعرفي»، وأن «الاعتماد على الذكاء الاصطناعي يرتبط بمستويات أدنى من التفكير النقدي» كما أظهر مسح شمل أكثر من ١٠٠٠ أستاذ جامعي أن ٩٠٪ منهم يعتقدون أن الذكاء الاصطناعي التوليدي سيُضعف التفكير النقدي لدى الطلاب. والأخطر أن هذه الآلية لا تُضعف الجميع بالتساوي، بل تُعمّق الفجوة المعرفية بين من يملكون أساساً معرفياً قوياً ومن يفتقرون إليه.

٥. هشاشة سلسلة القرار العسكري أمام هلوسة الخوارزميات: جسدت حادثة السفينة الصينية في ربيع ٢٠٢٦ الهشاشة البنيوية لسلسلة القرار العسكري عندما تتقدم سرعة الآلة على قدرة الإنسان على التحقق، فقد أنتج محلل في قيادة العمليات الخاصة الأمريكية تقريراً استخباراتياً بمساعدة روبوت دردشة دمج معلومات سرية ومفتوحة المصدر، ثم «هلوس» مستنتجاً أن السفينة تنقل مكونات نووية، فاستنفر الجيش وحلّقت الطائرات وكادت عملية الاقتحام تبدأ، قبل أن يكشف مسؤولون عسكريون أنه نتاج هلوسة برمجية. وهذه الحادثة لا تكشف خطأ تقنياً معزولاً، بل تكشف أن الذكاء الاصطناعي انتقل من دور الدعم

إلى الدور القيادي في القرارات المصيرية، بينما تبقى قدرة الإنسان على الفهم والتحقق والتراجع كما هي - وهنا تكمن المعضلة الوجودية.

٦. أزمة الشفافية وانحياز المسألة العلمية: أثبتت الدراسة أن مشكلة «الصندوق الأسود» تُشكل التهديد الأكثر بنيوية للمنهجية العلمية؛ إذ أصبحت الأنظمة معقدة تقنياً لدرجة أن المستخدمين - وفي بعض الحالات مطوريها - يجدون صعوبة في الفحص الكامل وفهم كيفية عملها. وهذا الغموض يُنتج أزمة في المسألة العلمية: كيف يمكن التحقق من صحة نتائج ينتجها نموذج لا يُفسّر طريقة عمله؟ وقد أظهرت الأدبيات أن «تحسينات الكتابة الملحوظة تتعايش مع الاعتماد المفرط، وانخفاض الالتزام ما وراء المعرفي، ومعضلات التأليف التي تتطلب يقظة منهجية مستمرة» والأخطر أن بعض الأدوات «تُنتج أدلة وهمية متراكمة» و«تلوث التكرار»، مما «يُسرع العمى العلمي» بدلاً من تصحيحه.

٧. الحدود المعرفية: بين عجز الأصال ووهم المرجعية: بيّنت الدراسة أن الحدود الفاصلة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي لا تُحتزل في قائمة من المحظورات والمسموحات، بل هي مسألة تتعلق بمستقبل البحث العلمي ذاته، فالذكاء الاصطناعي بقدر ما يمنحه من سرعة وكفاءة، يحمل معه مخاطر معرفية تلامس جوهر الأصالة العلمية، ومخاطر أخلاقية تلامس مسؤولية الباحث وشفافيته، وتبقى المعادلة الجوهرية ثابتة: المسؤولية الكاملة تقع على الباحث، والشفافية الإجبارية شرط لقبول المعرفة، والبصمة النقدية تظل ملكاً خالصاً للإنسان الذي يمتلك وحده القدرة على الشك والتساؤل والتفكير فيما وراء الخوارزمية.

ثانياً: التوصيات

١. بناء إطار دفاعي متكامل متعدد الطبقات: توصي الدراسة بضرورة بناء هيكلية دفاعية متكاملة تتوزع على أربعة مستويات، على المستوى البرمجي، تتبنى المؤسسات إستراتيجية «الدفاع الخوارزمي المضاد»، باستخدام أنظمة دفاع سيبراني قائمة على التعلم العميق لتحليل أنماط حركة المرور واستجابات أجهزة الطرفيات في وقت حدوثها الحقيقي، مع تحصين النماذج ضد هجمات التسميم وحقن التعليمات عبر طبقات فحص المدخلات والمخرجات. وعلى المستوى

التقني، تطبيق نموذج انعدام الثقة المفصل لمنع الوصول التلقائي وإلزام وكلاء الذكاء الاصطناعي بالخضوع المستمر لقيود أمنية وصلاحيات دنيا. وعلى المستوى التنظيمي، الالتزام بأطر الحوكمة الدولية، مع الإشارة إلى أن معيار ISO/IEC 42001 الصادر عام ٢٠٢٣ يُعدّ معياراً رسمياً قابلاً للاعتماد، بينما يوفر إطار NIST دليلاً عملياً تطوعياً، وقد نشر المعهد وثيقة رسمية تربط وظائف إطار NIST بضوابط ISO 42001 وعلى المستوى البشري، بناء قدرات فرق مراكز العمليات الأمنية على التمييز بين الأنشطة الطبيعية والأنشطة الآلية المؤلدة عن أداة خبيثة.

٢. تفعيل التقييم الأخلاقي الإلزامي قبل نشر أي نظام ذكي: توصي الدراسة بإلزام المؤسسات والشركات التقنية بتقديم تقرير تقييم أثر أخلاقي شامل قبل نشر أي نموذج ذكي للجمهور، على أن يشمل هذا التقييم فحص بيانات التدريب للكشف عن التحيزات المضمنة، واختبار النماذج في سيناريوهات واقعية لقياس أثرها على الفئات المهمشة، والتحقق من وجود آليات فعالة للمساءلة والاعتراض، ويجب أن يستند هذا التقييم إلى «اختبار الكرامة الإنسانية» كأداة معيارية، حيث يجب أن نسأل باستمرار: هل هذه التقنية تعزز الكرامة، أم تنتقص منها، أم محايدة إزاءها؟

٣. إبقاء القرارات المصيرية تحت السيطرة البشرية الحصرية: توصي الدراسة بضرورة وضع «خطوط حمراء» صريحة تمنع الذكاء الاصطناعي من اتخاذ قرارات مصيرية بشكل مستقل، تشمل حظر اتخاذ قرار مستقل باستخدام الأسلحة النووية، وإبقاء القرارات المتعلقة بالهجمات السيبرانية ذات العواقب الوخيمة تحت السيطرة البشرية الحصرية، وإنشاء خط ساخن عسكري مخصص لحوادث الذكاء الاصطناعي، وقد اقترح خبراء الأمن القومي من الجانبين الأمريكي والصيني، ضمن حوار معهد بروكينغز وجامعة تسينغها، هذه التوصيات بعد حادثة السفينة الصينية، لكنها تصطدم بمعضلة أعمق: كيف يمكن تعريف «السيطرة البشرية الهادفة» بشكل مشترك، بينما يرى كل طرف أن الآخر قد يستخدم نفس اللغة لتبرير مستويات مختلفة من استقلالية الآلة؟

٤. إرساء ثقافة الشفافية الإجبارية في البحث العلمي: توصي الدراسة بإلزام الباحثين بالإفصاح في قسم المنهجية عن كل أداة ذكاء اصطناعي استخدموها، والمجالات التي تدخلت فيها، ومدى الاستعانة بها، وهذا الإفصاح ليس إجراءً شكلياً، بل هو الشرط الذي يجعل المساءلة ممكنة أصلاً، ويجب أن يشمل الإفصاح: اسم الأداة وإصدارها، والغرض من الاستخدام، والمخرجات التي أُنتجت بمساعدتها، وطريقة التحقق البشري من هذه المخرجات. كما يجب على المجالات العلمية والجامعات تبني سياسات واضحة تُحدد العقوبات على الإفصاح الكاذب أو المضلل.

٥. رسم حدود دقيقة للاستخدام المشروع في البحث العلمي: توصي الدراسة بضرورة رسم خريطة دقيقة لما هو مسموح ومحظور في كل مرحلة من مراحل البحث العلمي. في مراجعة الأدبيات، يُسمح بتلخيص الأوراق العلمية واستخراج الأفكار الرئيسية، لكن يُحظر الاعتماد عليها لحصر المراجع دون تحقق بشري. وفي صياغة الفرضيات، يمكن استخدامها للعصف الذهني واقتراح زوايا بحثية، لكن يُحظر تبني الفرضيات دون سند نظري أو ميداني قوي. وفي تحليل البيانات، يُسمح بكتابة وتنظيف الأكواد البرمجية والمعالجة الأولية، لكن يُحظر تفويضها لتفسير النتائج الكيفية أو استخراج الدلالات دون تدقيق الباحث. وفي الكتابة والصياغة، يمكن الاستعانة بها لتحسين التدقيق اللغوي والترجمة، لكن يُحظر توليد فصول كاملة من البحث أو كتابة المناقشة والاستنتاجات.

٦. بناء سياسات مؤسسية عربية وأدلة استرشادية أخلاقية: توصي الدراسة بضرورة بناء سياسات مؤسسية عربية وأدلة استرشادية أخلاقية توازن بين تقبل التقنية وحماية النزاهة العلمية لدى طلاب الدراسات العليا والباحثين، ويجب أن تشمل هذه السياسات: تحديد الأدوات المعتمدة في المؤسسة، وإجراءات التحقق البشري من المخرجات، وآليات الإفصاح عن الاستخدام، والعقوبات على الانتهاكات، كما توصي الدراسة بالاستفادة من المواثيق العربية الصادرة حديثاً، من بينها «ميثاق الرياض للذكاء الاصطناعي للعالم الإسلامي» الذي أقرته ٥٣ دولة، و«ميثاق الألكسو لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي» الذي يرسم مبادئ أساسية مثل الحفاظ على الكرامة الإنسانية والعدالة والشمولية.

٧. الاستثمار في بناء الكفاءات البشرية القادرة على فهم هذه التهديدات: توصي الدراسة بضرورة الاستثمار في بناء كفاءات بشرية قادرة على فهم التهديدات الناتجة عن الذكاء الاصطناعي وإدارتها في بيئة تتسم بتسارع وتيرة التغيير التقني، ويجب أن يشمل هذا الاستثمار: تدريب فرق مراكز العمليات الأمنية على التمييز بين الأنشطة الطبيعية والأنشطة الآلية المؤلدة عن أداة خبيثة، وتدريب الباحثين على الاستخدام المسؤول لأدوات الذكاء الاصطناعي، وتدريب العنصر البشري على التصدي لأساليب الهندسة الاجتماعية المتطورة، وتنمية التفكير النقدي لدى الأفراد لمواجهة الاتكالية المعرفية. وقد أظهرت الدراسات أن «الصياغة المنظمة (Structured Prompting) تقلل من التفريغ المعرفي وتحسّن التفكير النقدي بشكل كبير مقارنة باستخدام غير الموجه»، مما يعني أن التكوين المعرفي القويم قادر على تحويل الذكاء الاصطناعي من أداة تُضعف التفكير إلى أداة تُعززه.

٨. تعزيز التعاون الدولي لبناء أطر ثنائية ومتعددة الأطراف: توصي الدراسة بضرورة بناء أطر ثنائية ومتعددة الأطراف للحد من التسليح في مجال الذكاء الاصطناعي العسكري، مستلهمة من تجربة الحد من التسليح النووي، مع الاعتراف بأن الطبيعة المنتشرة لهذه التقنية تجعل التحدي أعقد من أي سباق تسليح سابق، ويجب أن تشمل هذه الأطر: آليات لبناء الثقة، وبروتوكولات اتصال، وخطوطاً ساخنة مخصصة لحوادث الذكاء الاصطناعي، ومنع الذكاء الاصطناعي من شن هجمات سيبرانية استراتيجية بشكل مستقل، كما يجب أن تشمل هذه الأطر الدول العربية بوصفها أطرافاً فاعلة في المشهد الرقمي العالمي، لا مجرد متلقين للقواعد التي تُصاغ في واشنطن وبكين وبروكسل.

وفي النهاية؛ تُظهر النتائج أن الذكاء الاصطناعي قد أعاد رسم خارطة التهديدات في العصر الرقمي بشكل كامل، ولم تعد هذه التهديدات منفصلة، بل تشكل نسقاً واحداً متكاملًا: التهديد البرمجي يُنتج التهديد الأخلاقي، والتهديد العسكري يُترجم التهديد التقني إلى ميدان القرار، والتهديد المنهجي يُقوّض القدرة على فهم التهديدات كلها، وهذا التشابك البنيوي يعني أن أي مقارنة للحد من هذه التهديدات يجب أن تكون متكاملة، لا انتقائية.

وتخلص الدراسة إلى أن مواجهة هذه التهديدات تتطلب إطاراً دفاعياً متكاملاً يجمع بين الحلول البرمجية والتقنية والتنظيمية والبشرية، مع الإقرار بأن المسألة ليست اختياراً بين التقدم التقني والتخلف عنه، بل هي اختيار بين تقدم يحترم الإنسان وتقدم يستنزفه، وهذا الاختيار، في جوهره، أخلاقي قبل أن يكون تقنياً. فالمسألة ليست ماذا تستطيع الآلة أن تفعل، بل ماذا ينبغي للإنسان أن يسمح لها أن تفعل — وهذا السؤال لا يمكن تفويضه لآلة «لا تعرف معنى الكرامة ولا قيمة المسألة».



مركز المسيرة للدراسات والنشر
Al-Masirah Center for Studies and Publishing

التعريف العام بالمركز يعنى ويهتم بـ:

- النشاط البحثي والدراسات وفي مختلف المجالات.
- النشاط الفكري والثقافي العام وبمختلف الوسائل والقوالب.
- دراسة وتحليل المشروع القرآني ومرجعياته والتعريف به وبالمسيرة القرآنية.
- نشر الكتابات والأبحاث ذات الأهمية والجودة العلمية وبمختلف الوسائل.
- تقديم الخدمات المتاحة للكتاب والباحثين في المجال البحثي.
- فتح آفاق جديدة في مجال الكتابة والبحث في قضايا ومجالات هامة وهادفة.
- توفير المصادر والمراجع والمواد في مختلف القضايا والمجالات.
- بناء وتطوير القدرات والمهارات في مجال الكتابة والبحث والتحليل.
- الإسهام في النهوض بالمجال البحثي وإثرائه ورفعته بما ينفع ويفيد.



مركز المسيرة للدراسات والنشر

Al-Masirah Center for Studies and Publishing